



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم البواقي

كلية الآداب واللغات

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه الطور الثالث

الشعبة : دراسات لغوية

التخصص : البلاغة بين القديم والحديث

من طرف :

لبيض زهية

عنوان الأطروحة:

**بلاغة الخطاب الإقناعي في المثل القرآني -مقاربة
حجاجية-**

أطروحة مناقشة بتاريخ 2024/12/12 مام لجنة المناقشة المشكلة من :

الرقم	اللقب والإسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	حميد قبائلي	أستاذ	أم البواقي	رئيسا
02	طارق زيناي	أستاذ	أم البواقي	مشرفا
03	الشريف مرزوق	أستاذ محاضر "أ"	أم البواقي	مشرفا مساعدا
04	هشام بلخير	أستاذ محاضر "أ"	أم البواقي	ممتحنا
05	عبد الجليل لغرام	أستاذ محاضر "أ"	أم البواقي	ممتحنا
06	نوري خذري	أستاذ محاضر "أ"	باتنة 01	ممتحنا
07	سليم لعواريب	أستاذ	ميلة	ممتحنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، على أن وفقني لإتمام هذا العمل، والصلاة

والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه.

وبعد الحمد يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي:

أ. د طارق زيناوي، ود. الشريف مرزوق، على ما قدّمه لي من وقت وجهد

وتوجيه ومتابعة العمل من بدايته حتى خروجه حيز الوجود، وأفاداني بعلمهم

وأخلاقهم العالية فجزاهم الله الصّحة والعافية وأمدّ في عمرهم.

وما دمت في مقام الاعتراف بالفضل فأرى لزاماً عليّ أن أتقدم بجزيل الشكر

والعرفان إلى أستاذتي في جامعة العربي بن مهيدي * أم البواقي *،

وأستاذتي في جامعة الحاج لحضر * باتنة 1 * وجميع من ساعدني في إخراج هذا

العمل.

إهداء

إلى والديّ العزيزين؛

والدتي التي تدعم لي دوماً، وتراقب نجاحي...

والدي - رحمه الله - الذي كان يُناديني: بُنيّتي... بُنيّتي... من نساءه

جنيتُ.

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أهل الفضل عليّ

إلى جميع أصدقائي.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الخطابَ القرآني في جوهره خطابٌ حجاجيٌّ، ما يَعبُرُه اهتمامه بالوظيفة التواصليّة الإقناعية التي ينطوي عليها، واحتوائه على حجج مختلفة مما يصلح لهداية البشر وتنوير طريقهم إلى الحق.

والمعلوم أنَّ القرآن الكريم نزل في زمن التحدي، فقد كان من الضروري في ذلك الوقت أن يحمل الخطاب القرآني حججاً وبراهين على ما أتى به، من أحكام وعقائد إقامةً لموازنِ الحق التي أنزلها وإقناع السامع بصدق ما جاء به من دينٍ جديدٍ متممٍ للأديان الأخرى ومهيماً عليها، فجعل سبحانه - الوسيلة الوحيدة للمحاجة؛ العقل، والحجة النبئية لحلّ الخلافات، كون نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كان يواجه ما يثيره خصومه المشركون وأهل الكتاب من شبهات واعتراضات وتساؤلات، الأمر الذي دعا إلى ضرورة حضور مجموعة من التقنيات الحجاجية المناسبة للإقناع بالقضايا التي يريد الخطاب القرآني إثباتها أو نفيها، وردع المخالفين ودحض ما يأتون به بالحجة البالغة والدليل الواضح والبرهان المنير منها: أدب ضرب الأمثال لما لها في العملية الحجاجية من مكانة رفيعة ودور بارز في الإقناع وسرعة الفهم، فقد شغلت حيزاً كبيراً في الخطاب القرآني، وأنه سبحانه وتعالى ما ضربها للناس إلا ليتذكروا، ويتفكروا، ويعتبروا.

ولا يخفى علينا أنّ المثل يعدُّ من أهم المضامين المهمة والفاعلة التي أرساها الخطاب القرآني وركّز عليها، إذ يُعدُّ منهاجاً واضحاً للأطروحة الهادية إلى إدراك الحقائق الإيمانية واستيعابها، وتهذيب النفوس ونشر الحكمة والآداب، يُساق في الخطاب عموماً لعظمته وقدرته على إقامة الحجّة التي لا مرأى فيها، ما جعله خطاباً نافذاً، يحمل تربيةً قرآنيةً عاليةً لكل إنسانٍ متسامٍ يتقبل الحق والعلم النافع كما

يضطلع بالحجاجِ سواء في صيغته العقلية أو العاطفية، بعبارة أخرى، إنّنا نجد فيه مختلف الحجج العقلية والعاطفية التي تُجسد تاريخ النبوة والأمة المباركة وكيفية تفاعلها مع الصراع الأزلي، بين الحق والباطل وبين النور والظلام.

والحديث عن النظرية الحجاجية أو المقاربة الحجاجية في المثل القرآني يستدعي الحديث عن رائدها (شاييم بيرلمان) فهو أول من وضع اللبنة الأساسية للخطاب الحجاجي نظرياً وتطبيقياً وسماه "البلاغة الجديدة"، ونظريته هذه في جوهرها تبحث عن القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة.

من هذا المنطلق، تأتي دراستنا بنظرة جديدة وبفكرة أنّ المثل القرآني باعتباره خطاباً بلاغياً، حجاجياً، إقناعياً، بإمكانه أن يفتح على النظريات الحديثة القائمة على أسس تحليل "تقنيات الحجاج". وهذه التقنيات تتمثل في المنطلقات الحجاجية وفي أنواع الحجج المختلفة، يتم بسطها في الخطاب من أجل إيجاد القبول من السامع وتغيير السلوك. فالخطاب القرآني عامةً والمثل القرآني خاصةً غير قابلٍ للدحض، ومتى استعملت المقاربة الحجاجية في الخطاب إلاً وحقت التأييد والنصر لما تدعو إليه. وعليه، جاء عنوان دراستنا موسوماً بـ"بلاغة الخطاب الإقناعي في المثل القرآني-مقاربة حجاجية"- سنعتمد فيها على بعدين تُركّز عليهما البلاغة الجديدة: العقل والعاطفة، كوسيلتين للإقناع والتأثير.

إنّ يتعلّق الأمر، بأهمية البحث في المثل القرآني، لَمَّا كان رسالة الله إلى عباده ودستوره الذي أنزله إليهم ليعملوا به ويتحاكموا إليه، كان لابد من تدبّره وتفهّمه ودراسته، لذا، انتهزنا الفرصة لمحاولة قراءة آيات المثل القرآني والبحث عن تجليات الحجاج البلاغي (البلاغة الجديدة) فيه، كون هذا الأخير يمتلك الكفاية المنهجية لتحليل أنماطٍ مختلفة من الحجج المنطقية والبلاغية كاستظهار الحجج وبيان وظيفة

الآليات البلاغية، ومعرفة مدى دعم الأساليب في تقوية التأييد، هذا الذي سيجعل دراستنا تفتح على جميع جوانب المثل القرآني؛ من متكلم (الإيتوس) وسامع (الباطوس) ومثل (اللّوغوس) ومقام (أسباب النزول).

وترجع أهمية الدراسة كذلك، إلى أنها تحاول أن تتجاوز الدراسات المألوفة ذات البعد البلاغي والأسلوبي في طرحها إلى التقنيات الحجاجية الإقناعية العميقة المستتبطة من بنيته، والبحث عن الجانب الذي لا يظهر بالوجه المكتمل في الدراسات السابقة، ما يعطي للمثل القرآني هويته الحقيقية وبعده المتميز والمتعالي خاصة وأن الدراسات السابقة المستهدفة للمثل القرآني في أغلبها تتناول موضوعات وقضايا طرحت ودرست بشكل مكرر، فأصبح من الضروري اليوم إعادة قراءة المثل القرآني بنظرية حديثة لنصل به إلى ما يُجدد إيماننا ومعارفنا ويُحدِّث رؤيتنا وينهض بآدائنا في الأسرة والجماعة، ويُعمق فكرنا في إطار منظم تنظيماً عقلياً وروحياً ومادياً.

إننا نسعى وفق هذه الرؤية إلى قراءة المثل القرآني قراءة عميقة، وفق منهجية دقيقة، ننقّص بها أبعاداً عقلية وأخرى عاطفية انفعالية في إطار تواصل حجاجي وتحليله تحليلاً حجاجياً من أجل:

- التزوّد بمفاهيم النظرية الحجاجية البيرلمانية ذات المردود الإقناعي والتأثيري.
- نظرية بيرلمان نظرية حديثة قائمة على علم القانون والمنطق والبلاغة، فهي تسعى إلى تقديم تصور جديد للخطاب، وتبرز مدى قوته في تحقيق الاستمالة والتأييد وحصول التغيير.

هذا عن أسباب اختيار النظرية البيرلمانية، أمّا فيما يتعلق باختيار "المثل القرآني الصريح" موضوعاً لهذه الدراسة فإنه يرجع إلى نقص وندرة الساحة العربية

من مثل هذه المواضيع الحجاجية، في الوقت التي حظيت فيه المواضيع البلاغية والأسلوبية باهتمام كبير من قبل الأوساط الأكاديمية.

- من أهداف الدراسة كذلك الكشف عن الأطروحات المثبتة في المثل القرآني والأطروحات المضادة، واستنباط النتائج، والمفاهيم الخاصة، لتوجيه المثل القرآني نحو الخدمة الدينية والثقافية والمجتمعية والعلمية.

- الكشف عن التقنيات الحجاجية البيرولمانية التي تجسدت في المثل القرآني وبيان دورها في تحقيق الاقتناع واستمالة للسامع.

- تعزيز الجانب الإيماني والسلوكي والعلمي في أثناء التعامل مع معطيات المثل القرآني خاصة وأن التركيز يكون على نظرية بيرلمان التي تفتح على علم المنطق وعلم البلاغة وعلم القانون، ولأن التركيز على نظرية واحدة في التحليل يمنح الدراسة الدقة العلمية، كما يسمح لنا بتسليط الضوء على المظاهر الحجاجية العقلية والبلاغية بالتحديد، الأمر الذي سيخدم تطلعاتنا وتصوراتنا البحثية وإنجازها بشكل مختلف عن الدراسات السابقة، ما يعنى إبداع مساحة جديدة تفاعلية تتعلق بمتطلبات الإنسان وتشمل مستوياته كافة.

- استجلاء قيم المثل القرآني مواكبة للعصر وتصارع القيم والأفكار الفاسدة المستحدثة والاطلاع على ما يحويه من نفائس القوانين والحجج والحقائق.

- إثراء المكتبة بنوع جديد من الدراسات القرآنية التي تزوج بين المثل القرآني والنظريات الحديثة القائمة على خلفية قانونية ومنطقية لكي تتجسد ثقافة الأمثال القرآنية في الواقع.

-الرجبة في الإسهام ولو بالقدر القليل في خدمة الخطاب القرآني في مجاله الحجاجي المتعلق بالعقل، والتفكر والقلب، والتدبر.

ويتحدد إطار الدراسة للمثل القرآني الصريح الوارد في السور الآتية: سورة البقرة، آل عمران، سورة الأنعام، سورة الأعراف، سورة يونس، سورة هود، سورة الرعد، سورة إبراهيم، سورة النحل، سورة الكهف، سورة الحج، سورة النور، سورة العنكبوت، سورة يس، سورة الزمر، سورة محمد، سورة الجمعة، سورة التحريم. وسنسعى-بإذن الله- عملياً اقتفاء واكتشاف تلك التقنيات الحجاجية.

وقد جاءت إشكالية الدراسة التي يراد الإجابة عنها كالآتي:

كيف تجسدت النظرية الحجاجية البرلمانية في المثل القرآني الصريح؟ وما هي منطلقاتها وتقنياتها في التحليل؟

تستدعي هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية، من شأنها أن تفتح مسارات بحثية للباحث المهتم بقضايا المثل القرآني والتي لا تقل أهمية عنها، نوجزها فيما يلي:

- فيم تتمثل بلاغة الخطاب الإقناعي في المثل القرآني؟

- علام استند المثل القرآني في حجاجه؟

- كيف ساهمت الآليات المنطقية والعاطفية في استمالة السامع الخاص والكوني؟

- لماذا كانت الحجّة في المثل القرآني لها خصوصيتها المميزة عن باقي المضامين والموضوعات الأخرى؟

- ولماذا كانت الوجوه البلاغية والأسلوبية على ذلك النحو الخاص؟

ولعلّ الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع عدّة أسباب تشكلت على مستويين:

مستوى أوّل متعلّق بالباحثة نفسها، ومستوى ثانٍ يخصّ الموضوع ذاته.

أمّا المستوى الأوّل فيتمثل في:

- اهتمامي منذ الصغر بالخطابات، ذات الطابع الديني، وبالأمثال عموماً.

-الرغبة في الوقوف على قوانين المثل القرآني باعتبارها نواميس كونية ثابتة نحتاجها في حياتنا وفي تعاملاتنا.

- الرغبة في مكاشفة الحجج العقلية والبلاغية الواردة في المثل القرآني بهدف صقل النفوس وتهذيبها وتعليمها.

أما المستوى الثاني فيتمثل في الأسباب الموضوعية التالية:

-جدة مباحث الحجاج واستمرار تراكم معطياته النظرية وندرة تطبيقاته خاصة ما يتعلق بالنظرية البيرولمانية في الخطاب الديني والقرآني على الخصوص.

-طبيعة الخطاب القرآني بما يفرضه من قدسية في مواجهة نظريات حجاجية متشعبة في الفكر الإنساني، مما يحتم عليّ كباحثة اليقظة وبعُد النظر وعدم الانفكاك عن الأصول الدينية.

-قابلية المثل القرآني للدراسة تحت تقنيات المقاربة الحجاجية لاستنباط رؤى حجاجية إقناعية، إذ تعبر بكل عمق عن الحقائق القرآنية؛ لأنها السبيل إلى تمييز الصحيح من السقيم والمعوج من المستقيم.

- ولا شك أن العناية بهذا الموضوع لا يعدّ ابتكاراً تفرّدت الدراسة بالتطرق إليه؛ بل جلّ التقدير لتلك الجهود التي سبقتها بفضل سبق، وجودة ومثانة الطرح، لتبقى هذه الدراسة إضافةً واجتهاداً علمياً تكميلياً يهدف إلى تحسس شيء من اللمسات العقلية والمنطقية إلى جانب الوجوه البلاغية التصويرية والأسلوبية التي توشّح بها المثل القرآني وفق منظور معرفي ذوقي لا يكون عالّةً أو عبثاً على تلك الجهود بقدر ما يجعل منها قبساً يستنير به ومرتكزاً تأسيسياً له.

- الاهتمام المتزايد بالخطاب القرآني جعلني أسعى للمساهمة في هذا المقصد الأسمى، ولو بلبنة خجلى، عسى أن يرفق الله-عزّ وجلّ- ويوفقنا فيما يستقبل من الزمن في التخصص والتعمق في المثل القرآني في شقه المعرفي والعلمي والسلوكي.

من جهة أخرى، اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج التداولي لأنه أنجع أداة إجرائية تُظهر أوجه استعمال الحجاج في المثل على مستويي السّامع الخاص والكوني، حيث يمكن وصف وتتبع الحجّة المنطقية والبلاغية ورصد تداعياتها، وكذا الاستعانة بآليات بحثية كالوصف المعضود بالتحليل، قناعة أنّهما الأنسب لهذا النوع من الدّراسات، ويرجع سبب هذا التركيب المنهجي إلى قناعة الباحثة بعدم كفاية الاعتماد على آلية إجرائية واحدة في أن نستوعب المثل القرآني ونحيط بالإشكالات التي بسّطناها في الدراسة، وأن نشكل تصوراً عاماً عن هذه المقاربة داخل المثل القرآني.

هناك دراسات علمية سابقة في ميدان الأمثال القرآنية لها علاقة بموضوع الدراسة ولكن اشتغلت على التحليل اللغوي والبلاغي، وفيما يلي عرض لبعضها:

- دراسة "الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية" لـ(محمد حسين علي الصغير) نشرت في دار النشر، سنة (1981م)، عدد الصفحات 404.

-دراسة "الأمثال القرآنية دراسة تحليلية" لـ(محمد بكر إسماعيل)، مطبعة الأمانة في مصر، الطبعة 1986، عدد الصفحات 279.

-دراسة " وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم" لـ(عبد السلام أحمد الراغب)، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 2001، عدد الصفحات 483.

وللإلمام بقدر الإمكان بمعطيات وقضايا الدراسة فقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع أفادت البحث خلال مراحلها نذكر منها:

-كتاب "الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج"، شايم بيرلمان، ترجمه: الحسن بنو هاشم.

- كتاب "في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات" محمد مشبال.

ومن الكتب الأجنبية:

-Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; traite de l' argumentation la nouvelle rhétorique.

-Chaïm Perelman ; l' empire rhétorique ; rhétorique et argumentation .

بالإضافة إلى التفاسير المختلفة وكتاب السيرة النبوية وغيرها من المراجع المساعدة التي استطاعت من خلالها الدراسة رسم معالم خطة البحث التي جاءت مشتملة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول فقد جاء حاملا الجهاز المفاهيمي للبحث فكان عنوانه: "بلاغة المثل القرآني: الحدّ والبعد الحجاجي" قدمنا فيه تمهيد وثلاثة مباحث؛ أولا "البلاغة والحجاج" وفيه تعرضنا لقضايا عامة ذات صلة بإرهاص البلاغة والحجاج وتحديد مفهومهما وعلاقتهما ببعض وتقديم مفهوم للخطاب الإقناعي وأهم استراتيجيات الإقناع في المثل القرآني. ثانياً "المثل القرآني والبعد الحجاجي" عرضنا فيه مفهوم المثل القرآني وأهم أصنافه، ثم تطرقنا إلى "بلاغة المثل القرآني وعناصره الحجاجية" وفيه تحدثنا عن مدى قوة حضور المثل القرآني في الخطاب عامة والخطاب القرآني خاصة ومدى مساهمته في الإقناع والتصديق، يليه "العناصر الحجاجية التواصلية في المثل القرآني"، ثم خصصنا العنصر الأخير لدراسة "البنية الحجاجية في المثل القرآني" أشرنا فيه إلى دراسة البنية الحجاجية في المثل القرآني، باعتبارها من أهم المبادئ التي تركز عليها المقاربة الحجاجية لتحليل الخطابات. ثالثاً "قيمة المثل

القرآني وأهم خصائصه" وفيه ذكرنا قيمة ومكانة المثل في البيئة العربية وفي الخطاب القرآني، ثم قدّمنا مجموعة من الخصائص العامة والفنية والأدائية مع تقديم نماذج.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان "المنطلقات والتقنيات الحجاجية في النظرية البيرولمانية" تناولنا فيه تمهيد عام وثلاثة مباحث؛ أولاً "الحجاج: بحث في أدبياته ومنطلقاته" عُنِيَ هذا العنصر بالبحث عن أدبيات الحجاج في التواصل خاصة في المثل القرآني، وعرضنا "المنطلقات الحجاجية وفاعليتها الإقناعية" من خلال ذكر أهم المرتكزات التي تأسست عليها النظرية الحجاجية البيرولمانية ومدى حضورها في المثل القرآني ومساهمتها في حصول الإقناع بشكل فعّال ومؤثر. ثانياً "أنواع الحجج في الخطاب الحجاجي" وفيه تم توضيح أنواع الحجج في الخطاب الحجاجي -حسب نظرية بيرلمان- من حجج شبه منطقية وحجج مؤسّسة على بنية الواقع وحجج مؤسّسة للواقع. ثالثاً "حجاجية الصورة البلاغية والأسلوبية" وفيه حاولنا التعرض لأهم العناصر الحاضرة في المثل القرآني من جانبها النظري، حيث تناولنا حجاجية الصورة البلاغية من حجاجية الاستعارة وتشبيه وتمثيل ومجاز وغيرها من الجانب المفهومي ودورها الحجاجي والإقناعي بعيداً عن الجانب الأدبي، ثم عرجنا إلى حجاجية الأسلوب في الخطاب حاولنا التعرض لأهم الأساليب الخبرية والإنشائية الحاضرة في المثل القرآني من أمر ونهي واستفهام وغيرها وبيان دورهما في إيقاع التصديق وتحقيق الاستمالة.

أمّا الفصل الثالث فهو يسعى لدراسة حجاجية المثل القرآني فقد كان عنوانه: "الحجج شبه المنطقية في المثل القرآني" يضم مبحثين: الأول يهتم ب"الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنية الرياضية" وفيه تعرضنا لمجموعة من الأمثال

القرآنية ذات البنية الرياضية بأشكالها المختلفة، وحاولنا تفسيرها تفسيراً حجاجياً، وكيف سيطرت على المثل القرآني وأقنعت السامع الخاص والكوني بالأطروحات الإيمانية، ثانياً "الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنية المنطقية"، حيث حللنا أغلب الأمثال القرآنية الصريحة التي تحوي هذا النوع بشكل واضح، لاسيما حضور الحجج البلاغية والأسلوبية ما يجعل السامع بنوعية في هذا النوع خاصة ذليلاً مستسلماً لما يعرض عليه من أطروحات.

أما الفصل الرابع فقد وُسم ب: "الحجج المؤسّسة على بنية الواقع والمؤسّسة للواقع في المثل القرآني"، وفيه تناولنا مبحثين؛ أولاً "الحجج المؤسّسة على بنية الواقع في المثل القرآني" والتي تتصل بالواقع اتصالاً وثيقاً، وتتغيا تأسيس واقع جديد عن طريق الوصل بين الأحداث المتعايشة أو المتتابعة يرنو إليه خطاب المثل القرآني. ثانياً "الحجج المؤسّسة للواقع في المثل القرآني" وفيه فصلنا القول حول أهم الحجج البلاغية ومدى قابليتها في التغلغل داخل العقول الأكثر كفاءة وجحوداً ونفاقاً لحملها على التصديق بالأطروحات الإسلامية والخضوع للحكمة الإلهية وتأييدها. وفي نهاية البحث جاءت الخاتمة حصيلة لمجمل النتائج المتوصل إليها. وكأني بحث لا بد أن يلقي صاحبه فيه المشقة والعنت والصعوبة والتي يمكن أن تنحصر في:

- الغياب التام للدراسات المتخصصة في المقاربة الحجاجية البيرولمانية على صعيد الخطاب القرآني عامة والمثل خاصة، ما جعل الباحثة تجتهد على قدر المستطاع لمحاولة فهمه وفق هذه المقاربة.

- لم يكن الأمر ببسير في استشفاف وتصنيف الحجج، بحسب نوعها ومجالها وحدودها المنطقية والرياضية والواقعية والبلاغية على السواء، فالمثل القرآني دمج بينها فأخذنا بالحجّة الواضحة فيه.

أجدد الشكر والامتنان، لكل من ساعد في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة، كما لا يفوتني في الأخير أن أجدد شكري الجزيل للأستاذ المشرف طارق زيناوي، والمشرف المساعد الشريف مرزوق على تكريمهما أيّاي بالإشراف على هذا العمل، كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لقسم اللّغة العربية وآدابها لجامعة العربي بن مهدي- أم البواقي- والعاملين فيها، على تسهيلات التسجيل والانتساب إليها طيلة فترة التحضير للدكتوراه .

وفي الختام أقول أنّي بذلت ما بوسعي من الجهد، واجتهدت فيها قدر طاقتي فأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل حجة لي يوم ألقاه وما توفيقني إلاّ بالله، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

والحمد لله وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفصل الأول:

بلاغةُ المثلِ القرآني: الحدُّ والبعدُ الحجاجي

-تمهيد

أولاً: البلاغةُ والحجاجُ

ثانياً: المثلُ القرآني والبعدُ الحجاجي

ثالثاً: قيمةُ المثلِ القرآني وأهمُ خصائصه

تمهيد:

للبلّابة مكانة رفيعة وقيمة عظيمة بين علوم اللّغة، فقد كانت حاضرة في مختلف النصوص الأدبية منذ عصر الجاهلية شأنها شأن علوم اللّغة الأخرى من: صرف، نحو، عروض، وقافية، يتكلم بها البلغاء والفصحاء من العرب سليقةً ومملكةً وطبعاً إلى أن أصبحت علماً مستقلاً له مفاهيمه، وألفت فيه الكثير من المصنفات.

ومعلوم أنّ الدرس البلاغي إنّما ظهر خادماً للنص القرآني؛ فقد راح العلماء يدرسون نَظْمَ القرآن الكريم محاولين كشف أوجه الإعجاز والبيان فيه، يقول (أبو هلال العسكري) (ت 395 هـ) مبيناً أهمية البلاغة: « إنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولها بالتحقّظ- بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرّشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشكّ بيقينها»¹. ونفهم من قوله، أن إدراك البلاغة أمرٌ في غاية الأهمية فهي السبيل لفهم إعجاز القرآن، فالمتمأل في القول يستوعب درجة علم البلاغة في فهم الرسالة القرآنية ومدى إسهامها في حصول الإيمان التام ومعرفة المعنى المراد والدلالة المقصودة من آياته، فيتبين لنا أن مكانة البلاغة تظهر في أعلى مراتب الكلام بين علوم اللّغة حيث تتجلى في كل منطوق وفي كل مكتوب، بها يتم فهم الخطاب عامة وفهم إعجاز الخطاب القرآني خاصة.

¹ -أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط2، ص7.

أولاً: البلاغة والحجاج

البلاغة علم يستثمره المتكلم لضمان السلامة اللغوية والمقامية في إنتاج الخطابات، حيث تعمل على إخراج ما لا يقَرّ به المخاطب في صورة فنية مؤثرة أو في صورة بيانية واضحة، وذلك عبر تضمين البنية الخطابية علومها من بيان وبديع ومعان فأضحت ضرورة خطابية تدعم المتكلم، وقد تعددت تسمياتها ومصطلحاتها في الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة في الإطارين العربي والغربي، وارتبط اسمها بالحجاج -وعلى كل حال- سنيين في دراستنا هذه معنى البلاغة والحجاج كلٌّ على حدة:

1- البلاغة لغة واصطلاحاً:

لقد حاول الكثير من النقاد والبلاغيين العرب والغرب تحديد مفهوم دقيق لمصطلح البلاغة وقد وقفنا في هذا العنصر على أمهات الكتب القديمة واستعنا بأهم الدراسات الحديثة لتحديد مفهومها بالضبط.

أ- البلاغة لغة:

البلاغة في المعاجم اللغوية التراثية من المادة المعجمية (ب ل غ) وتعني عند العالم اللغوي العربي (ابن منظور) (630هـ - 711 هـ): « بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلوغاً: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغاً وبلغه تبليغاً... } والبلاغة: الفصاحة»¹، والمذهب نفسه يذهب إليه (محمد رضا) في معجمه أن البلاغة من « بلغ - بلوغاً وبلوغاً المكان: وصل إليه وانتهى: شارف عليه- بلوغاً الغلام والجارية: أدركا.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، ص 345-346.

وأصله بلغ اللحم {...} بلغ- بلاغة الرجل: صار فصيحاً يبلغ بعبارته كنه ضميره، فهو بليغ»¹.

والبلاغة عند (أحمد مطلوب) (و1936 م، ت 2018 م) «الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وتَبَلَّغَ بالشَّيْءِ وصل إلى مراده، والبلاغ: ما يتبَلَّغُ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. والبلاغة: الفصاحة»².

من المعاجم اللغوية القديمة والحديثة نستخلص أن البلاغة؛ تحمل معاني التبليغ والإبلاغ، فهي كل ما يبُلِّغُ به المعنى قلب السامع فتتمكّن فيه وتخلق التأثير في النفوس والإقناع في العقول وهي الطريقة التي نسلکہا في الكلام.

ب- البلاغة اصطلاحاً:

لطالما شغلت قضية البلاغة عقول الدارسين قديماً وحديثاً فقد كانت موضوع عناية واهتمام كبير، حيث إن هناك من أفرد لها من الدارسين كتباً وهناك من خصص لها فصولاً، وهناك من كتب عنها مقالات علمية، كل ذلك لتحديد ماهيتها ومفهومها وحدود اشتغالها.

في المنجز العربي:

نجد مصطلح البلاغة عند (الجاحظ) (255هـ) تهتم بالبعد التداولي يقول: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، مُتَخَيِّرُ اللَّفْظِ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام

¹ - أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، مج 01، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م، ص 339.

² - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج01، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2002م، ص401.

السُّوقَة»¹ ثم يفصل ذلك في قوله: «ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينفّح الألفاظ كل التنقيح {...} ولا يفعل ذلك حتى يصادفَ حكيماً أو فيلسوفاً عليماً»²، والمنتبّع لهذا التعريف، يُدرك أن (الجاحظ) قد ربط البلاغة بمقتضى المقام وجعل لكل مقام مقال.

أمّا عند (التهانوي) (1158 هـ) فترتبط بالفصاحة والملكة اللغوية يقول إنها: «عند أهل المعاني تطلق على معنيين: أحدهما بلاغة الكلام، وتسمى بالبراعة والبيان والفصاحة أيضاً، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته {...} وثانيهما بلاغة المتكلم وهي ملكة يُقَدَّرُ بها على تأليف كلام بليغ {...} فالبلاغة بمعنيها أخص مطلقاً من الفصاحة فكل بليغ كلاماً كان أو متكلماً فصيح ولا عكس»³

المعنى؛ أنّ البلاغة في المنجز التراثي العربي مرتبطة بإنتاج الخطابات بحيث تحمل معنى الإيجاز والانسجام مع مقتضى المقام وهي بلاغتان؛ بلاغة الخطاب في حدّ ذاته بما يحمله من أساليب وصور بيانية، وبلاغة أو براعة المتكلم في تأليف ذلك الخطاب ولا تتحقق الأولى إلا بفعل الثانية.

وقد قدّم (محمد العمري) (1945م) موجزاً عن تعريف البلاغة، فهو يرى أنّها منهج يمسّ خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام، وتتصف بمجموعة من القواعد مربوطة على أسس منطقيّة وتنتج هذه القواعد في مجموعها بناءً مُتسقاً⁴.

1 - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ط، دت، ص 92.

2 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، ج1، ناشرون (أ-ش)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، ص 342.

4 - ينظر: هنري بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل الخطاب، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999، ص16.

في حين يوضحها (محمد مشبال)(1960م) على أنّها فنُّ الإقناع بالمسائل الممكنة وفق مقتضيات المقام فهي تلك التقنيات والوسائل التي يسخرها المتكلم لإقناع غيره في مقام مخصوص¹.

من هذا التصور، نفهم أن البلاغة هي مجموعة من التقنيات والآليات المستخدمة في أثناء تركيب وترتيب الكلام؛ إذ تنحصر في طريقة المتكلم لبلوغ غايته بمعنى؛ أنّها تتدرج ضمن فكرة الإقناع بالوسائل اللغوية، والبيانية المناسبة للتأثير في السامع ضمن سياق محدد.

في المنجز الغربي:

كلّما استعرضنا تعريفاً للبلاغة في المنجز الغربي صادفتنا ثلاثة تعريفات كبرى. في أنّ البلاغة عند الفيلسوف اليوناني (أفلاطون)(Platon) (و347ق.م - 427ق.م) خداع للسامعين، وعند البلاغي الروماني (كونتليان) (Quintilianus) فنُّ إيجاد الكلام، أمّا بسط الحُجج أو الأقوال التي يجب أن تُقصد للإقناع فإنّه للمعلم الأول والفيلسوف اليوناني (أرسطو)(Aristote) (و384 ق.م - 322 ق.م)² ويعرفها بأنّها: فنُّ استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها أو هي القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في كل حالة خالصاً للإقناع³، بمعنى: أن البلاغة هي إدراك الوسائل المتاحة للإقناع فهي تهتم بالطريقة التي يتم بها

¹ -ينظر: محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، دار الرافدين، لبنان - بيروت، بغداد - العراق، ط1، 2020، ص ص 13-14.

² -ينظر: ميشيل مايير، البلاغة، تر: محمد أسيدة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار المطبوعات الجامعية الفرنسية، فرنسا، ط1، 2021، ص12.

³ -ينظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994، ص19.

استخدام تلك اللّغة¹ وفي اجتهادات الدّارس المعاصر (ميشال مايير) (Michel Mayer) هي ذلك الحوار حول المسافة بين الذوات بصدّد مسألة أو مشكل ما وهذه المنهجية البلاغية تؤسسها بنية عميقة يسميها (ميشيل مايير) بين الذات (ethos) والآخر (pathos) وبينهما (logos)، وأن البنية الأساسيّة للبلاغة هي بنية إشكاليّة تعتمد صيرورة تساؤليّة²، إنّ مَهْدَ البلاغة عنده هو وجود إشكاليّة أو هناك جدل حول قضية تم طرحها بين أقطاب العمليّة التخاطبية ويسميهم الأنا والآخر والخطاب.

وبناءً على ما سبق من بيانات لغوية لمفردة "البلاغة" يمكن القول: إنّ البلاغة هي فن القول والخطاب، أي: مجموعة من السبل التخاطبية أو التواصلية التي تسعى إلى تقديم المعنى وتصويره للمخاطب لحصول الانفعال، وبلوغ ذهن السّامع، هذا البلوغ يتم بالتأثير والإقناع أي بتقنيات انفعالية وعقلية.

1 - Exploring the Aristotelian rhetoric strategies in some speeches by mechelle obama and melana trump a political discourse analysis, hala sedky ali, prof. shaker rizk taky edine, rehem farouk el shozly, department of English, مجلة بحوث، ع 5، ج 3، ماي 2021، ص 222 .

2 - ينظر: محمد سالم الأمين، مفهوم الحجاج عند وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 28، ع 3، يناير، 2000، ص 73.

2- الحجاج (الخطابة/ البلاغة الجديدة)*:

إن نشأة الحجاج ومكانته أو إرهاص البلاغة الجديدة مقرون بالجدل والاختلاف فقد كان لأغراض اجتماعية وسياسية، فلولاه لَمَا عُرِفَ الحق من الباطل، وما أُدرك الصحيح من الخطأ، كونه من أرفع العلوم وأحسنها في التخاطب والتواصل.

أ- الحجاج لغة:

ينتمي مصطلح الحجاج إلى ميدان التداولية التي تدرس اللغة في استعمالها وتجمع المعاجم اللغوية الأساسية في تعريفه اللغوي، أنه مشتق من الجذور اللغوية التالية: حجج، حجّ، حجة، التحاجّ، المحاجة، المحاجة. وهذا التعدد إن دلّ إنّما يدلّ على مدى معرفة العرب لأهميته، فقد ورد عند العالم اللغوي (الفراهيدي) (و 100هـ - ت 175هـ) في قوله: «الحجة: وجه الظفر عند الخصومة، والفعل حاججته فحججه. واحتججت عليه بكذا. وجمع الحجة: حجج. والحجاج المصدر»¹ ويؤكد ذلك الإمام اللغوي (ابن فارس) (و329-395هـ) «الحاء والجيم أصول أربعة. فالأول: القصد، وكلّ قصد حجّ {...} وممكن أن يكون الحجة مشتقة من هذا، لأنها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب. يُقال حاججت فلاناً فحججته أي غلبته بالحج، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج. والمصدر الحجاج»².

*- مقابلها الأجنبي (la nouvelle rhetoric) يقول صابر الحباشة في كتابه "التداولية والحجاج" موضحاً ذلك: «تُعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجاج»، وقد أُبقي على المصطلح كما هو (ريطوريقاً) وهناك من ترجمه إلى العربية فسموه: (الخطابة) أمثال باتريك شارودو ودومينغو وعبد الله صولة حين ترجم كتاب بيرلمان، وهناك من أرجع المصطلح إلى البلاغة أمثال محمد العمري في كتاباته والحسين بنو هاشم وغيرهم، وهناك من جمع بينهما وجعلهما وجهين لعملة واحدة (البلاغة/الخطابة) أمثال: حافظ إسماعيل علوي في أعماله الأدبية.

¹ - الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخرومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج 3، ص 9-10.

² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1979، ص 29-30.

وحديثاً يعرف العالم المعجمي اللغوي المصري (أحمد عمر مختار) (و1933م-
ت2003م) الحجاج بمعنى: «حجة [مصدر] فعلة[و] 1- احتجاج وخصومة

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى 15] الاحتجاج. 2- بينة ودليل ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
الْبَالِغَةُ ﴾ [الأنعام 149]، الاحتجاج»¹. ويفسر (الطبري) الآية الأولى بأنها الحجّة التي
«تبلغ مراده في ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه، وقطع عُذْره إذا انتهت إليه
فيما جعلت حجّة فيه»²، وفي الآية الثانية بمعنى: «لا خصومة بيننا وبينكم»³ أمّا
البلاغي (أحمد مطلوب) فيحصره في (المذهب الكلامي) إذ يوضح ذلك حسب معنى
قوله أن احتج بالشيء اتخذه حجّة، والحجّة البرهان والدليل، وأحجّ خصمي أي أغلبه
بالحجّة، وسمي المذهب الكلامي لأنه؛ يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم
على إبطال حجج خصومهم⁴، وعند الفيلسوف الفرنسي (لالاند) (Laland) (1876-1963)
نجده يقابل الحجاج بكلمة (argument) وهو بمعنى: «استدلال
يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها»⁵. وفي قاموس (جون ديوي) يأتي كل
اهتمامه حول شكل ووظيفة الحجّة في الكلام، فقد جاء في معنى قوله، في البلاغة

¹ - أحمد عمر مختار، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ط1،
2002، ص 147.

² - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرشاني،
مج3(المائدة- الأعراف)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994، ص 376.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، مج6، (القصص- الجاثية)، ص 487.

⁴ - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1 (أ- ب)، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط 1،
2002، ص57.

⁵ - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، المجلد (g-a)، منشورات عويدات
بيروت باريس، ط2001، ص 93.

نسمي الحجّة. كل اقتراح يهدف إلى التيسير لها قيمة وظيفية في حد ذاتها ذلك حسب شكل الحجج الواردة في الخطاب إما قياساً أو مقارنة أو غيرها¹.

استناداً إلى المتاح المعرفي يمكن القول: إنّ التعريفات السابقة سواء المأخوذة من المصادر اللغوية العربية أو الغربية تصب كلّها في معنى واحد، وهو أن الحجاج مأخوذ من المصدر (حجاج). ومن الفعل (حج، يحج)، ومن الاسم (حجة)، ومن الناحية الصرفية يتكون من: المفردة (حجة)، والجمع (حجاج، حجج)، أما من الناحية الدلالية يعني؛ أنّه الحجّة والدليل والبرهان والقصد؛ أي قصد الحق المطلوب كذلك يحمل الحجاج معنى التخاصم والتجادل ومحاولة الغلبة بالحجج فهو مذهب كلامي وفعل تواصلية مؤسس على قضية وقع عليها الجدل تُعرض فيه الحجّة استدلالاً وبرهاناً على صحة الطرح الذي كان محل الحجاج والجدل.

ب- المفهوم الاصطلاحي للحجاج:

كثيراً ما يرتبط مصطلح الحجاج بالدفاع عن الفكرة أو الأطروحة لتحقيق المقاصد بين السامع والمتكلم ونجده يتضمن كل وسائل الإثارة والإقناع والتحاور غير أنه متعدد المفاهيم بحسب المجال الذي ينتمي إليه، فنجد أن هناك اختلافاً بين ما ورد في الخطاب القرآني وبين آراء البلاغيين والنقاد العرب والغرب، فمنهم من يرى بأنه نوع من التقنيات الخطابية التي نظمت بشكل مخصوص، وهناك من يرى بأنه جدل في حين يربطه البعض باللغة والآخر بالمحاورة، ولما كان الحجاج كذلك ارتأينا أن نقف على تلك المجالات لنقدم مفهوم الحجاج بالمعنى الدقيق.

¹ – Jean Dubois , dictionnaire de linguistique , Larousse, 2002, p 49

*** مفهوم الحجاج في القرآن الكريم:**

جاء مصطلح الحجاج في القرآن الكريم مفهوماً معبراً عنه بالمحاورة لكونه يحمل دور فعال في تحريك العقول وتقويم الوعي وحمل السامع على العمل بما جاء فيه، بواسطة البراهين والأدلة المنطقية والواقعية، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾¹ آل عمران [20]، أي؛ فإن خاصموك يا محمد في الدين². ويقول تعالى أيضاً: ﴿هَآأَنْتُمْ هُوَآَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونِ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (66) آل عمران [65، 66]، تدل الآية بمنطوقها على أنّ المحاجة من المنازعة والمجادلة وهي من باب المفاعلة التي تكون بين اثنين³. وهذا ما أكده الباحث (آماد كاظم البروراي) في أنّ الحجاج في القرآن الكريم يدل على الحوار والخطاب الذي يراؤ به إبانة الحقائق الإيمانية، وإبلاغها بالأساليب الإقناعية التي ترشد إلى الهداية باستمالة قلب السامع إلى الحق وبرهنتها بالحجج العقلية والأدلة الكونية، والأقيسة المنطقية⁴.

والمقصود بالحجاج في الخطاب القرآني هو المحاورة كما دلنا القرآن الكريم يعني أنّ القرآن رسالة من الله- عزّ وجلّ- لعباده إذ لا يتصور الدخول في موضع تعزيز هذه الدعوة الجديد من دون الحوار والتفاهم لأن موقف السامع يختلف إما موافقا وإمّا رافضا والخطاب القرآني مصدر غني بالخطاب الحجاجي الإقناعي الذي يؤثر بشكل إيجابي لفهم الرسالة الإلهية وتعقلها.

¹ -سورة آل عمران، الآية 20.

² -ينظر: البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، مج2، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1989، ص20.

³ -ينظر: أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معرض، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص502.

⁴ -ينظر: آماد كاظم البروراي، المحاجة العقلية في برهنة حقائق القرآنية مطارحات النورسي للفكر المادي، مؤسسة السبيل، دط، دت، ص27.

*** مفهوم الحجاج في الفكر العربي:**

يذهب الناقد العربي الحديث (صابر الحباشة) في تعريفه للحجاج موضحا الهدف منه يقول: «نظريّة الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج»¹، أمّا رائد نظرية الحجاج اللغوي في العالم العربي (أبو بكر العزاوي) (و1958م) وهو تلميذ اللساني (أرفالد ديكرو) يؤكد ما أقرّ به أستاذه يقول: «إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»²، يتعلّق الأمر هنا بالمنهج الذي اشتغل عليه (أرفالد ديكرو) في دراسته للخطابات الحجاجية بمعنى؛ أنه حصر الحجاج في اللّغة ذاتها، وعليه، تسمى نظريته بالنّظرية الحجاجية اللّغوية القائمة على الحجّة والنتيجة في الخطاب.

وحدّ الحجاج عند الفيلسوف المغربي (طه عبد الرحمان) (و1944م) مرتبط بشرط وجود دعوى يحق الاعتراض عليها، فهو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها³، يبدو أنّ الدكتور (طه عبد الرحمن) كان كل اهتمامه هو شكل الحجاج الذي يظهر في عناصره التواصلية فحسب مستبعدا مضمون بنيته اللّغوية.

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص15.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات صور الأزيكة، ط1، 2006، ص16.

³ - ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998، ص226.

*** مفهوم الحجاج في الفكر الغربي:**

يقدم رائد النظرية الحجاجية العالم البلجيكي شايم بيرلمان (Chaim Perelman) وزميلته العالمة السوسولوجية البلجيكية لوسي أولبرخت تتكا (Tyteca) في كتابهما "فلسفة البلاغة الجديدة أو مصنّف في الحجاج-البلاغة الجديدة-" عام (1958م) مُعلنين بذلك بدايةً جديدةً في البحث اللّغوي الغربي باسم (البلاغة الجديدة) التي جاءت امتداداً لبلاغة (أرسطو) وهي: «دراسة التّقنيّات الحجاجية التي تؤدي إلى حث أذهان المخاطبين على التأييد *adhésion* أو الانضواء وتعزيزه نحو فرضيات؛ أطروحات؛ اعتقادات؛ أو آراء نقترحها له من أجل الموافقة عليها»¹. وقد اهتم الباحثان كما يفصح عن ذلك عنوان الكتاب بالبلاغة في صورتها الجديدة إلا أن المتابعة الدقيقة لتعريفهما يكشف عن مسألة جوهرية لا ينبغي إغفالها، هي تلك التقنيات الخطابية التي تقود للإقناع والتأثير، هدفها التأييد وكأن الحجاج في الخطاب- حسب رأيهما- هو البلاغة.

وفي المقابل تحصرُ المنظرةُ الإسرائيلية (روث أموسي) (Ruth Amossy) في كتابها "الحجاج في الخطاب" مفهوم الحجاج في قولها: «هو الوسائل اللفظية التي يشكلها الكلام للتأثير في المخاطبين سعياً إلى حملهم على الإذعان لدعوة ما وتغيير أو دعم التمثلات والآراء التي ينسبها لهم»²، أمّا عند العالم الأنثروبولوجي (فيليب بروتون) (Philippe Broton) (1951) يتطلب الحجاج معرفة الحقل الجوهري في النشاط الإنساني فالحجاج عنده يفيد أولاً التواصل فنحن في موقف تواصلية

¹ -شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار طاهر، عالم الكتب الحديث، 2020، ص 122.

² -محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربه بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2017، ص 58.

يتضمن رسالة ومشاركين أي دينامية حقيقية¹، أي؛ يركز (بروتون) على أن الحجاج هو التواصل، ونجد الباحث الفرنسي (باتريك شارودو) (Patrick Charaudeau) يوضح أهمية الإنتاج القولي في بنيته السطحية وبنيته العميقة استناداً على مقام الإنتاج القولي (السياق) ويقول: «هو دراسة الإنتاج القولي في عمقه وأعلاه وذلك لمعرفة مقامات التواصل في شروطها وتقبّل الكلام الإقناعي في آلياته»²، وفي المعجم الفلسفي عرف الحجاج (argumentation) بأنه: «جملة من الحجج التي يُأتى بها للبرهان على رأيٍ أو إبطالها، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها»³. وعند مطالعتنا (الموسوعة البلاغة) وجدنا مصطلح الحجاج بمعنى؛ تقديم براهين بواسطة المتكلم لتبرير معتقداته وقيمه وللتأثير في أفكار الآخرين وأفعالهم⁴.

في إطار هذه الرؤية الجديدة للبلاغة، يمكن القول: إنّ مفهوم البلاغة الجديدة في الفكر الغربي يقصد بها الحجاج أي فن الخطابة والإقناع، والحجاج عند العرب هو نوع ونمط من أنماط الخطابات والنصوص، يتم فيه الدفاع عن فكرة معينة أو وجهة نظر ما ودعمها بحجج عقلية وعاطفية وهو طريقة فريدة لحصول التأييد والإذعان أو الإقناع والتأثير.

¹ -ينظر: فليب بروتون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص33.

² -باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب المعنى والمبنى ترجمة: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2009، ص9.

³ -جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص 446.

⁴ -ينظر: توماس أ.سلوان، موسوعة البلاغة، إشراف: عماد عبد اللطيف، ج1، المركز القومي للترجمة، ط1، 2016، ص 143.

3- البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة: حدود وتقاطعات

نحن نعلم أن البلاغة القديمة علم شامل مهتم بالخطاب والكلام، تتفرع منها علوم ثلاثة: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني. وهي تهتم بكيفية توظيف المتكلم لتلك التقنيات في أسلوبه وتسعى نحو تحقيق الفهم والإفهام للسامع مع الحرص على مقتضى الحال، وأنّ الحجاج منهج وطريقة فضلى نسلوها في خطاباتها، كما يُعدّ ذلك الخطاب المفعمّ بالحجج المختلفة العقلية والعاطفية التي يختارها المتكلم لإقناع السامع في قضية ما وفي سياق ما، لذلك يستدعي الأمر فحص المنطقة التي تتقاطع فيها البلاغة والحجاج مبيّنين الحدود ونقاط التقاطع بينهما.

فما يُدعم وجود منطقة التّقاطع أنّ إمعان النظر في الخطاب اليومي يُبرز لنا، أن أغلب أقوالنا تسعى إلى التأثير والإقناع معتمدين في ذلك على أدوات وآليات عقلية وتخليّة، وعليه، كانت الصورة بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة عند بعض الدارسين المعاصرين-أمثال بيرلمان-هي صورة المطابقة، نجد هذا في مقدمة كتاب الفيلسوف الفرنسي (رولان بارث) (Roland Barthes) (و1915م-ت1980م) "قراءة جديدة للبلاغة القديمة"، أن البلاغة القديمة من جانبها التداولي مرتبطة بنظرية الإقناع المعبر عنها المحاججة يقول: «لا يعني أنّه توجد اليوم بلاغة جديدة، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد، إنّ العالم مليء وبشكل عجيب بالبلاغة الجديدة»¹، والأمر ذاته عند (ميشيال مايير) في قوله: «لذلك فإن خير الوسيلة للوقاية من البلاغة هي البلاغة نفسها»²، ويعني بعبارة،

¹ -محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ط1، ص 56.

² -ميشيل مايير، البلاغة، تر: محمد أسيدة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2021، ص11.

"الوقاية من البلاغة هي البلاغة نفسها" إعادة الاعتبار للبلاغة وتحديثها وتطويرها من جانبيها الإقناعي والإمتاعي.

والبلاغة كما يتصورها (بيرلمان) هي فن الكلام علناً أمام الناس بطريقة إقناعية إمتاعية، ونظرية عامة في الحجاج تبحث في الحجج التي نستعملها في مداولة حميمية¹، تتحدد غايتها في قوله: «غاية كل حجاج أن يحمل العقول لما يُطرح عليها أو يزيد في درجه ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»²، وهي خطاب إقناعي يوظف عدّة تقنيات خطابية، تروم إقناع المستمع واستمالاته وتوجيهه وجعله يخضع للآخر³، يقودنا هذا الاستعراض إلى نتيجة مفادها أنّ أمر البلاغة هو تماماً مثل أمر الحجاج لأنّ الإطار الذي يتأسس منه الحجاج في الخطاب إطار عقلي منطقي يستعين بالجانب البلاغي التخيلي سعياً نحو التأثير لإرضاء النفوس أولاً ثم إقناع العقول ثانياً، أمّا الآليات التي تُبنى عليها البلاغة في الخطاب هي كذلك آليات تخيلية تأثيرية تستعين بالإطار العقلي لتحقيق الإقناع، ونستند على ذلك بما أقر به (بيرلمان) حين بيّن «أن الصوّر البلاغية والمحسنات البديعية ذات وظيفة حجاجية»⁴ بمعنى؛ أن الصورة البلاغية أو البيانية أو البديعية تمثل حجة.

¹ -ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 25.

² - عبد الله صوله، في نظريه الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص 13.

³ -ينظر: بليبيط رضوان، مقارنة بلاغية حجاجية لقصيدة شعرية لأبي تمام، ع42، يناير 2016، مجلة جذور، ص171. (موقع الشارخ <https://archive.alsharekh.org/Articles/174/19792/446033>)

⁴ -جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 2014، ص80.

في المقابل، هناك جهود عربية متخصصة تقف موقفا رافضا لهذه المطابقة دأبت على وضع الحدود بينهما -البلاغة والحجاج- منطلقين من فكرة أن الآليات البلاغية تحمل صفة الحجّة في الخطاب فحسب.

فاشتغلوا على بيان أنّ الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية حجاجية ذات أغراض تواصلية لأجل انجاز مقاصد محددة، والبلاغة تشمل -بوصفها مفهوماً نسقياً- منطقة يتقاطع فيها التخيل (التأثير والمشاعر) والحجاج (الإقناع والعقل) وما الأسلوبية والحجاج سوى جزء من حقل البلاغة وبابا من أبوابها¹، وقد جاء في معنى قول (صابر الحباشة) أنّه ينبغي الإشارة إلى البلاغة الحديثة التي تتعارض مع البلاغة الجديدة وهي بلاغة أدبية صرف، تدعى الأسلوبية، فهي تختزل البلاغة في دراسة الوجوه الأسلوبية أيّ؛ تهتم بشكل الخطاب وقيّمته الجمالية غير أن البلاغة الجديدة تعتبره وسيلة للإقناع²، والحجاج ليس علما موازيا للبلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم اقتراضها من البلاغة لكون مجال الحجاج هو المحتمل والمتوقع. لذا، كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يُقوي طرحه، بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية وهذه الأخيرة قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية وهذا هو المطلوب في الحجاج³، والمذهب ذاته يذهب إليه (محمد مشبال) في كتابه "البلاغة والأصول" فقد جاء حسب قوله، أن البلاغة لا تنفي المحسنات أو الحجج، ولكنها تستوعبها في أفق بلاغي مخصوص لا يفصل بين التخيل والحجاج وبين الإمتاع والإقناع⁴، نفهم من ذلك، أن الحجاج جزء من

¹ - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، إفريقيا الشرق، 2017، ص9.

² - ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص16.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص50.

⁴ - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، مرجع سابق، ص9.

البلاغة، فهو يشتغل على قضايا البلاغة في الخطاب الحجاجي ويعتبر في الدراسات الحديثة علماً قريباً منها.

ومن جانبنا نرى أنّ للبلاغة صورة أدبية أسلوبية وأخرى حجاجية، ونرى أنّ البلاغة والحجاج يهتمان بالمسألة الخطابية التي هي تتوقف كلياً على قدرة المتكلم في تنظيم الخطاب لإحداث التأييد والإذعان للسامع، وكلاهما يستدعي التأثير في المشاعر وخلق الثقة في الخطاب ليحصل الإقناع، وكلاهما يهتمان بالسامع، لكنّ نشأة البلاغة كانت مرتبطة بالإعجاز القرآني، أمّا الحجاج مرتبط بالسياسة والقانون، والبلاغة تعدّ علم كليّ يتقاطع فيها الجانب التأثري (التخييل) والجانب العقلي (الحجاج)، وأمّا الحجاج فهو ظاهرة خطابية تحويها البلاغة مثلها مثل ظاهرة الأسلوب وعليه، نقرّ بأنّ الحجاج والأسلوب يعدّان من أبرز خصائص الفكر البلاغي الغربي والعربي منذ نشأته إلى يوم تجديده، كما ننوّه إلى أنّ نجاح البلاغة اليوم يتوقف عند الوسائل الحجاجية في الخطاب.

ولدينا مسعى آخر، أنّ اعتبار الحجاج هو البلاغة، فإنّه في واقع الأمر محاولة لإقصائها وخطف الصرح العلمي الذي امتلكته منذ ظهورها، وبالتالي ما قام به الدارسان الغربيان المعاصران سوى إحياء للبعد الحجاجي التداولي الذي تحويه البلاغة القديمة وتفصيل القول فيه.

4 – ماهية الخطاب الإقناعي

لولا الخطاب لما كان هناك تواصل في المجتمع، ولولا التواصل لما كان هناك تفاعل بين العناصر التخاطبية، فهو مترجم الذات ومعبر عن مكنوناتها.

أ- مفهوم الخطاب لغة:

المقابل الأجنبي لمصطلح الخطاب هو (discours) ويُقصد به لغة: «يقال خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي، أجابه والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا، وهما يتخاطبان»¹، «(الخطاب): الكلام. وفي التنزيل العزيز ﴿ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ص [22، 23] م_الرسالة. (مج) وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب. وفي التنزيل العزيز ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴾ ص [20] وفصل الخطاب أيضا: الحكم بالبينة، أو اليمن، أو الفقه في القضاء»²، فكلمة "الخطاب" في الآية الأولى تحمل معنى: الغلبة بالحجة والجدال، وأن أخاه غلبه بحديثه وتمكن عليه بحجته الأقوى، ويقصد بتركيب "فصل الخطاب" علم الفصل في الخصومات، والفصل لا يكون إلا في متجادلين يأتي هذا بحجة وهذا بحجة وعلى الحاكم أن يفصل بينهما بأن ينصف الحق ويبطل الباطل³.

وجاء في المعجم الفرنسي أن كلمة الخطاب هي سلسلة من الألفاظ مرتبة لها وظيفة إبلاغية، من خلالها يتم الوصول إلى نية المتكلم⁴، وفي معجم (اكسفورد)(Oxford)

¹ -ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج1، (أ-ب)، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص423.

² -المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005، ص243.

³ -ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، مج1، سورة الفاتحة وسورة البقرة، ص12905.

⁴ - Pragmatique du discours: passe , présent ,futur . jacques moescler, département de linguistiques, université de Genève , p p 4-5

نجد الخطاب بمعنى المحادثة، والحديث وهو معالجة موضوع ما، ويكون على شكل حلقة دائرية¹، مركزها الخطاب وحدودها العناصر التخاطبية.

من خلال هذه التعريفات، يتحدد معنى الخطاب في التخاطب والكلام والمحاورة والمحادثة بين المتخاطبين لإيصال الفكرة وحصول الفهم والإفهام ويتجلى فصل الخطاب في حسن التخلص والبيّنة في أثناء التخاطب والتواصل أي حسن التّحاج.

-**الخطاب اصطلاحاً:** نجد مصطلح الخطاب في مجال النحو الوظيفي يُعرف بأنّه، كل مجموعة من الجمل يتم التواصل بها بين مستعملي اللغة²، وفي موطن آخر بمعنى «عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة بنحو خاص، تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة»³ ويضع الباحث المغربي (محمد بازي)(1970م) عنواناً في كتابه (صناعة الخطاب) يقدم لنا فيه تعريف الخطاب منطلقاً من التصور التأويلي يقول: «الخطاب هو مجموع المعاني النصّية المفهومة والمؤولة، المعبر عنها بوسائل أسلوبية وبلاغية سمحت بتحقيقه إنجازاً وتلقياً»⁴، فهو يركز على وظيفة البلاغة في الخطاب وما تنبئ من تراكيب وما تحدثه من فهم وبيان، ذلك من خلال توظيف الوجوه البلاغية من علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع فتحقق التأثير والاستمالة للسامع، ونجد الفيلسوف

¹ -oxford, dictionary of English , etymology, c. t. onions, r. w. burchfieeld, at the clarendon press, oxford university press, 1966, 272

²-ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنيه الخطاب من الجملة إلى النص، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص 18.

³-اندرية لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، مج (g-a)، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص287.

⁴-محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص26.

المغربي(طه عبد الرحمان) يذكّر في كتابه "اللسان والميزان" أنّه كلّما وقفنا على لفظة الخطاب سبقت إلى أفهامنا دلالاته على معنى التعامل، وأشار أن كل منطوق به يتوقف وصفه بالخطاب يقترن بقصد مزدوج؛ تحصيل الناطق لقصد الادّعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض¹.

يفضي هذا الوصف، إلى أنّ الخطاب أوسع من الجملة، يتجلى في كل منطوق واضح أي؛ كل إنتاج لغوي مقصود، هذا الخطاب يكون في الساحة التواصلية مُطلقاً من المتكلم في اتجاه السّامع، ويقترن الخطاب بين الطرفين ببعدين: الادّعاء والاعتراض، يأتي محملاً بطاقات بلاغية حجاجية ترمي إلى حدوث الاستمالة والإقناع، هذا من جهة الخطاب عموماً.

أمّا من جهة الخطاب القرآني خصوصاً فإنه شكّل رسالة سماوية وبناءً تبليغياً مؤسساً وفق مقدمات خطابية تواصلية، فكانت ظاهرة التواصل فيه مفتوحة على شؤون الإنسان في تجديدها وتطورها المسترسل، ليحقق معادلة هامة يتفاعل بمقتضاها الأصل الثابت مع الفرع المتغير²، وهو كذلك خطاب إلهي معجز، ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلاً لأنّه يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، فهو خطاب هداية وخير وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازاً لطبقة أو طائفة دون أخرى، بل جاءت عامة³، ولقد حاول (محمد الفران) أن يقدم تعريفاً لمصطلح الخطاب من خلال علاقته بمصطلح البيان فهو يرى

¹ -ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، المغرب، صص 225-226.

² -ينظر: رشيد شجيع، الحجاج وتحليل الخطاب دراسات مهداة إلى الدكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط1، 2017، ص9.

³ -ينظر: لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص93.

أنّ الخطاب القرآني يرادف البيان والتبيان من حيث كونه يقتضي طرفين مخاطب ومخاطب، يسعى الأول لتبيان وإفهام شيء معين للثاني عن طريق رسالة معلومة ويرى أن الخطاب مثل الحكمة، وعليه يمكن استخلاص الشروط المرتبطة بالكفاءة اللغوية للخطاب من الوضوح التام، الإقناع والإفهام، التمييز بين الحق والباطل، إيراد الحجّة، تنوع الوسائل اللغوية والبيانية والبلاغية، القدرة على التعبير عما في النفس¹.

وانطلاقاً من هذا المتاح المعرفي أمكن لنا القول إنّ الخطاب القرآني خطاب بياني كوني شامل لكل الثقافات والأجناس، جاء ليرسي معالمه وقوانينه بلغة واضحة وبحجة مبيّنة للتمييز بين الحق والباطل وضمن نظام استخلافي للبشرية أجمع.

ب- مفهوم الإقناع لغة:

لنحقق التواصل الفعّال بامتياز بيننا وبين الآخرين، ونجعل هذا الأخير يذعن لما نقدمه ويؤمن به، لا بد لنا من توفر عناصر الخطاب، ولا بد من السير في طريق الإقناع حتى ندرك الاقتناع.

والإقناع مقابله الأجنبي (peruasion) وهو من المادة اللغوية (قنع) وهي بمعنى:

« يقنع بفتححتين (قنوعاً) سأل وفي التنزيل: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج [36،

37] (فالقانع) السائل و(المعتر) الذي يطيف ولا يسأل {...} و(قناعة) (رضيت)²»

ويشرح لنا (ابن عاشور) أن القانع هو الفقير المتصف بالقنوع وهو الاستغناء عن كل

مُعطاء ومنوع والمعتر وهو الفقير إذا تعرض للعطاء³، و«قنع: القنوع: السؤال

والتذليل في المسألة، وقد قنع بالفتح يقنع قنوعاً {...} وقال الفراء: هو الذي يسلك فما

¹ - ينظر: الشريف مرزوق، مصطلح الخطاب بين التراث العربي والفلسفة الحديثة تنوع في الدلالة وثراء في المعاني، مجلة النص، مج 06، 2020، ص ص 57-58.

² - الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، ط2، ج 2 (ض-ي)، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 517.

³ - ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 17، دار التونسية للنشر، 1884، ص ص 256-266.

أعطيته قبله. والقناعة بالفتح الرضا بالقسم {...} وأقنعه الشيء أي: أرضاه»¹، ومن ثمة فإن الإقناع هو الرضا بما يعرض علينا والأخذ به.

- مفهوم الإقناع اصطلاحاً: يعدّ الإقناع أحد الأسرار العظيمة التي لا تزال تكتنف الخطاب عامة والخطاب الحجاجي خاصة. يقدم السياسي الكندي (هاري ميلز) (Harry Mills) (و1874م-1959م) مفهوماً دقيقاً للإقناع قائلاً: «هو عملية تغيير أو تعزيز المواقف، أو المعتقدات أو السلوكيات»²، لذلك فإن الخطاب يتميز بقدرته على تحريك القلوب والعقول، وتغيير الناس مواقفهم بطرق قوية، تتعلق بعض حالات الإقناع بالتأثير على الحالة العقلية للجماهير التي تكون بمثابة مقدمة للعمل³، والتحرك نحو المطلوب، ويحدثنا أبرز خبير في مجال الإقناع (ديف لاکاني) (Dave Lakani) في كتابه "الإقناع فن الفوز بما تريد" يقول: «متى أقدمت على الإقناع فلا بد أن تفكر فيما تريد أن تقوله وفي الرسالة التي تريد توصيلها وما تريد من المتلقي أن يفعل ثم تبدأ في صياغة قصدك»⁴، مركزاً على ثلاث نقاط هي: التفكير في القول ثم تصميم الرسالة ثم تحديد القصد المطلوب من السامع.

ونجد (بيرلمان) قد فرّق بين مصطلح الإقناع ومصطلح الاقتناع فهو يرى أن «الاقتناع بالشيء هو الرضا، ويطلق على اعتراف الخصم بالشيء عند إقامة

¹ - أبو نصر إسماعيل بن حمادة الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مج1، 2009، ص ص970-971 .

² - هاري ميلز، فن الإقناع، كيف تؤثر في الآخرين وتغيير آراءهم وتؤثر عليهم، مكتبة جرير، ط1، 2001، ص2.

³ - توماس أ. سلوان، موسوعة البلاغة، إشراف: عماد عبد اللطيف، ج1، المركز القومي للترجمة، مطبعة جامعة أكسفورد الفرنسية، القاهرة، ط1، 2016، ص163.

⁴ - ديف لاکاني، الإقناع فن الفوز بما تريد، تر: زينب عاطف، مؤسسه هنداي للنشر، ط1، 2016، ص192.

الحجّة»¹، فالمرء في حالة اقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، أمّا في حالة الإقناع فإنّ الغير هم الذين يقنعونه². وفي تحليل الخطاب ينظر إلى الإقناع على أنه نتاج سيرورات عامة من التأثير.

وصفوة القول: إنّ عملية الإقناع هي عملية تفاعلية تقوم على التأثير والتأثر لتغيير المواقف والمعتقدات، وتُعنى بجعل السّامع في دائرة الموافقة لما يعرض عليه، وتحدث بفعل فاعل مقصود أي المتكلم.

أمّا الاقتناع فهو الإيمان التّام والإحساس بالرضا العاطفي والعقلي من طرف السّامع عن تلك القضايا التي هي محلّ التّحاور والنّقاش، وعليه، فالإقناع يستلزم معرفة علميّة عميقة بالنّفس الإنسانيّة وميولاتها في وضعيّة معيّنة، لذا وجب على المتكلم تشخيص أو استقراء أحوال السّامع ليتمكّن من بلوغ عقله وقلبه.

ج- مفهوم الخطاب الإقناعي:

يذهب الفيلسوف الفرنسي (ألفي ربول) (Olivier reboul) (1925م-1992م) إلى أن بلاغة الخطاب الإقناعي يقصد بها الجانب البلاغي في أي خطاب، واتحاد مضمون الخطاب مع شكله يجعله مقنعا؛ والمقصود بالمضمون المحتوى والبنية المنطقية للخطاب، وبالشكل كل ما ينبع من الوجدان كما يقصد البناء والأسلوب ثم الأداء في آخر المطاف³ ونجد (أرسطو) يحدد عناصر بناء اللّغة في الخطاب الإقناعي والتي تتمثل في وسائل البراهين، ثم الأسلوب أو البناء اللغوي

¹ -جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج 1، ص111.

² -ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص15.

³ -ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، ط2، 2012، ص218.

ثم ترتيب أجزاء القول¹، فالخطاب الإقناعي هو كل خطاب تم بناؤه بقصد الإقناع أي، بقصد التواصل والتفسير وإضفاء المشروعية على وجهه نظر ما واقتسامها من أجل تغيير سلوك أو موقف².

وعموماً فإنّ ماهية بلاغة الخطاب الإقناعي تبدأ من طرق التعبير عن الأطروحات والأفكار وصياغتها بأساليب تدفع السامع بالقيام بالمطلوب، وتستدرج الخصم نحو التسليم، لكون الخطاب الإقناعي يجعل السامع سواء من بنيته الداخلية (انفعالاته ومشاعره) أو من بنيته الخارجية (الإقناعية) يقبل ما جاء به الخطاب كما يتحدد الخطاب الإقناعي أيضاً في تجلي الحجج المنطقية وفي المهارات البلاغية والأسلوبية الهادفة نحو التأثير في السامع وإقناعه بالأطروحات الجديدة وهو السبيل الذي سلكه خطاب المثل القرآني في استقطاب الناس نحو الدين الإسلامي وترك الموروث الجاهلي.

د- إستراتيجيات الإقناع في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أسلوب فريد معجز، تقف عنده الأبواب وتتأمله القلوب فيدركه الخاشع ويعقله العالم، هو أسلوب جامع بين الإقناع والإمتاع في بناء حججه لزيادة تأييد المؤمن لإيمانه واستدراج الكفار، وكشف أعمال ونوايا المنافقين مراعيّاً طبقات كل منهم، وقد اعتمد الخطاب القرآني على ثلاث إستراتيجيات متعددة لإقناع مخاطبيه وسنفضل القول فيهم مع تقديم نماذج من الأمثال القرآنية كالاتي:

¹-ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، (الخطابة في القرن الأول نموذجاً)، (منشورات سوق الأزيكة)، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002، ص20.

²-ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور لبلاغه الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص 22.

الإستراتيجية الدينامكية النفسية: وفيها تكون القدرة على تغيير الوظائف البنائية النفسية الداخلية للسامع حتى يستهويهم إلى السلوك المرغوب، ويتجلى هذا في آيات الترغيب والترهيب غايته صلاح الفرد¹. ونستشهد بقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)﴾ البقرة [136، 137]، فهذا المثل القرآني يركز في مخاطبته على الجانب النفسي والانفعالي للسامع أكثر من الجوانب الأخرى وذلك عبر إثارة حاجته للإيمان بالله وحده لا شريك له وما يحققه من نتائج إيجابية من هداية وصلاح وأن المستمسك بالشرك بالله تعالى سيكون مآله غضب من الله.

الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية: ويكون بالانطلاق خطاب المثل القرآني من المجتمع وما ساد فيه، والمتطلبات الثقافية، فخطاب القرآن الكريم ترتبت عنه إستراتيجية المعجزات لدى الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- حيث كانت المعجزة تتفق مع القيم والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع كل نبي؛ فكان زمان نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- زمن البلغاء والفصحاء وتجارب الشعر فأنزل الله الكتاب المعجز ليتحدى به ذلك العصر²، ويتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)﴾ الروم [26، 27] يركز هذا المثل بشكل كبير في مخاطبته للسامع على العادات والتقاليد والثقافة السائدة في ذلك الوقت، فقد كان واقع الجاهلية هو التغني باللّغة وتقديس الأشعار والأمثال والحكم فهذه العلوم محل تحدي بينهم،

¹ -ينظر: معتصم أبكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، سلسله كتاب الأمة، ع 95، السنة 23، ص78.

² -ينظر: المرجع نفسه، ص86.

ويعتبرون أنفسهم أهل الفصاحة والبيان، ليأتي الخطاب القرآني باللغة والبيان المعجز والمثل الأعلى لإحلاله محل ثقافتهم وتعميمه ليتم تعليمه والعمل به.

إستراتيجية إنشاء المعاني: وفيها يتم صوغ معاني جديدة في خطاب المثل تبديلاً لأخرى سابقة لها رغبة في تغيير مجتمع كان يعيش في جهل ووثنية فكانت الحاجة ماسة إلى صوغ معاني جديدة تقوم على قيم فاضلة وأخلاق حميدة وتغيير معانٍ أخرى كانت راسخة، تتجلى هذه الإستراتيجية في النهي والأمر في خطاب المثل القرآني¹، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)﴾ النساء [140] يهدف هذا المثل إلى استقطاب السامع نحو الجديد من السلوكات والمعتقدات رغبة في تبديل وصياغة معاني جديد تتأسس على قيم فاضلة وأخلاق حميدة وسلوكيات يجب أن تتبع من ترك ومغادرة المجالس التي يتم فيها انتهاك حرمة آيات الله تعالى وتكذيب حججه، وهو ما كان سائداً في وقت ظهور الدعوة المحمدية، فالله تعالى يدعو السامع إلى ترك مثل هذه المجالس التي تحمل صفات الكفر والنفاق حتى لا يكون السامع مثلهم في الصورة وفي هذا تغيير للمعاني فأيات المثل القرآني تصحيح للمفاهيم الجاهلية.

وتأسيساً على ما أومأنا إليه نقول: إن الإستراتيجية النفسية تسعى لتعديل الجانب الإدراكي للفرد في حين تسعى الإستراتيجية الثقافية إلى ضبط قواعد السلوك الاجتماعي من خلال نتائجها وعقوباتها وتركز على العلاقات الاجتماعية، بينما إستراتيجية إنشاء المعاني فهي تسعى لتصحيح وتغيير معان السامع وخلق معان

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

جديدة وجميعها تسهم في إعادة صياغة الصورة العقلية والإدراكية للسامع وهذا ما يجعله يتخذ القرار الصحيح. وقد مثل خطاب المثل القرآني هذه الاستراتيجيات الإقناعية بشكل بديع.

ثانياً: المثل القرآني والبعد الحجاجي

لاشك أنّ المثل القرآني باعتباره خطاباً بلاغياً، إقناعياً يضمّ عناصر التواصل الحجاجي: من إيتوس وباطوس، ولغوس، وفحوى هذا الأخير أنّه محمّل بوسائل تأثيرية إقناعية تُبرز المقصود والغاية من التخاطب، فقد خاطب المثل القرآني النفوس من الباطن وقدم لها عبراً عن الماضي، وبيّن لها رؤية المستقبل ووجهتها ليُبقّيها مطمئنة، فلكلّ منّا ثوابٌ وأجرٌ، لأنّ خطاب المثل القرآني خطاب تكليف ومسؤولية.

وعليه، فإنّ المثل عموماً يُمثّل الأمة بأجمعها، ودلالاته أصدق من أي خطاب، فهو يوافق ذوق السّامع، فمن خلاله نستطيع أن نفهم الدرجة التي وصلت إليها الأمة ونستطيع أن نعرف كثيراً من أخلاقها وعاداتها¹، يؤتى به في الخطاب القرآني كحجّة ودليل على صحة القول، حيث يندرج في المنجز البلاغي تحت مبحث علم البيان، وفي الدراسات اللسانية الحديثة-الحجاج- يندرج تحت صنف الحجج المبنية للواقع، لتأسيس القاعدة والبرهنة عليها.

1- المثل القرآني: المفهوم والأصناف

المثل القرآني جاء في أحسن صورة وأبلغ نظم، ودلالاته اللغوية والمصطلحية جاءت متعددة لدى العلماء والفقهاء والمفسرين والباحثين المعاصرين. وفي بداية هذا العنصر لا بد لنا من وقفة عن ما المقصود بالمثل لغة واصطلاحاً وتحديد أصنافه مع تقديم نماذج عنه.

¹ -ينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام(في الحياة العقلية)، مطبعة الاستمداد، مصر، ج1، ط2، ص ص72، 73،

أ- المثل لغة واصطلاحاً:

تعددت معاني ومفاهيم المثل عند البلاغيين والمفسرين واللغويين، فمن مفاهيم المثل نجد:

ما ورد عند الأديب (الراغب الأصفهاني) (502هـ) بمعنى التشبيه: «مثل الشيء أي انتصب وتصور والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره»¹.

المثل بمعنى الشبه: «ومثل الشيء صفته وصورته والمثل والشبه والنظير»².

أمّا العالم المفسر (ابن القيم) (691م-751م) فيرى أن المثل: بمعنى التصوير والصفة فيقول: «صيغة المثل وما يشتق منها تفيد التصوير والتوضيح والظهور والحضور والتأثير فالمثل هو الشيء المضروب الممثل به الذي تتضح به المعاني وهو صفة الشيء أيضاً»³، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ محمد [15]

أي صفاتها أو نموذجها.

المثل بمعنى آية قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الزخرف [59]، في صفته صفة نبينا عيسى عليه السلام آية تدل على نبوته⁴، وتفسر الآية كلمة "مثلاً" بالعبارة والعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم فينتهوا عن الكفر بالله⁵.

¹-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: سيد كيلان، دار المعارف لبنان، ص 362.

²-أحمد رضا، معجم اللغة موسوعة لغويته حديثه، مج5، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص145.

³-ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد النمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 28.

⁴-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص3134.

⁵-ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرشاني، مج6، (الفصص- الجاثية)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، ص 529.

المثل بمعنى الحكمة: وقد سمي المثل حكمة لانتصاب صورتها في الأذهان ولأنها مشتقة من المثل والانتصاب¹.

وقد ورد في المعجم «مثل الشيء بالشيء: سواه، و شبهه به، وجعله على مثاله ومثل الشيء لفلان صورته له»².

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا، أنّ معنى المثل هو الصورة الفنية للشيء المراد توضيحه أي، أن المثل يحمل خصوصية التشبيه ومعنى الشيء وذاته وصفته يؤتى به لغرض تصوير المعاني، أمّا المصطلحات المتعلقة بالمثل كالتمثيل والمثالات وغيرها من المشتقات «كلها أفعال تدل على المشابهة»³، أمّا المعاني التي تشير إلى العبرة والآية وغيرها يظهر لنا أن استعمالها ليس كمعان للمثل في حد ذاته « وإتّما هي غايات من سوق المثل والتنظير له»⁴، أي أخذ العبرة منه ليتعظ بهم الآخرين وجعله بمثابة الحكمة، وضرباً في توضيح ما جاء به من معنى جديد وآية في إعجازه وقداسته ونزوله تلك هي حدود معاني المثل القرآني وهذا ما أشار إليه القرآن العظيم وبلغنا به رسولنا -صلى الله عليه وسلم-.

المثل اصطلاحاً:

¹ -ينظر: سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم في المثل والمثل والمثالات، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، لبنان، ط2، 2009، ص34.

² -جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص342.

³ -محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشيد للنشر، (سلسله دراسات 228)، منشورات وزارة الثقافة والأعلام-الجمهورية العراقية، 1981، ص 42.

⁴ -المرجع نفسه، ص47.

في القرآن الكريم اقترن مصطلح الأمثال بلفظ الضرب فكثيرا ما يرد لفظ المثل مع لفظ الضرب يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التحريم [10] والمراد بضرب المثل إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشابهة لها في الغرابة¹.
بمعنى الضرب هو المثل والمراد هو التمثيل أي مثل لهم تمثيلا وقد يكون بمعنى نصبه للناس بإشهار ليستدل عليه خواطرهم كما تستدل عيوبهم على الأشياء المنصوبة². بذلك نفهم أن ضرب المثل تأتي من أجل التوضيح والبيان.

والمثل مأخوذ من المثال « وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه»³، ويتوجه المفسر الفقيه (السيوطي) (849 هـ - 911 هـ) في كتابه "الإتقان" إلى أنّ كلمة (مثل) لا تستعمل إلاّ في حالة أو صفة لها شأن وفيها غرابة⁴ وهو «عبارة عن قول شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر»⁵ والمثل خطاب ألقى في واقعة لمناسبة اقتضت إلقاء ذلك الكلام ثم تداولت عبر الزمن في الوقائع التي هي على غرارها⁶، يركز هذا المفهوم على أن المثل يقتضي مناسبة لذكره (يستلزم السياق) وأنّه يتصف بالتداول والاستمرارية

¹ - ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مج 14، دار المعارف، 1992، ص 481.
² - ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز، مؤسسة الإمام صادق عليه السلام، إيران، 1420 هـ، ص ص 34-36.
³ - ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1981، ص 32.
⁴ - ينظر: جلال الدين للسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 2008، ص 506.
⁵ - ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، المرجع السابق، ص 30.
⁶ - ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 16.

في حين، هناك من يرى أن المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة¹ وفي هذا يشير الدكتور (محمد عشتار) أن المثل لا يعبر عن الوقائع بشكل مباشر وإنما يمثل لها تمثيلاً عبر صورة أو قصة لذلك كان كل مثل في جملته إشارة تحيد إلى معنى أبعد²، أما عند (أرسطو) فيتحدد معنى المثل في قوة حضوره في الخطاب كحجة تسعى إلى استقراء وبيان حال الصورة الثانية بحالة الصورة الأولى ويوضح ذلك في قوله: «يقوم المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق أو المثل هو استقراء بلاغي والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها ويراد استنتاج نهاية أحدهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها»³، وأدق تعريف للمثل نجده عند (اللاندر) وهو التحول من الاختلاف إلى التشابه والتمثيل قياس وهو الحكم على شيء معين أو أشياء أخرى معينه على أن الحكم على المعنى المتشابه فيه إثبات حكم في أمر لثبوته في الآخر لعل مشتركة بينهما والمثال صورة الشيء الذي تمثل صفاته والقالب أو النموذج الذي يقرر على مثله والجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصالها إلى فهم السامع⁴.

وفي كل تمثيل مُمَثَّلٌ ومُمَثَّلٌ فالمُمَثَّلُ هو الذات المدركة ومُمَثَّلٌ هو الشيء المدرك والمثال هو الجامع بينهما ومن شروط المثال أن يكون مطابقاً للشيء يرمز إليه وينوب عنه⁵.

¹ -ينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي، دار نهضة، مصر - القاهرة، ص144.

² -ينظر: عشتار داوود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 40.

³ -محمد مشبال، بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية-الخطابة في القرن الأول أنموذجاً- إفريقيا الشرق، ط 2، 2002، ص 82.

⁴ -ينظر: المرجع نفسه، ص ص 334-335.

⁵ -ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج1، مرجع نفسه، ص 341.

وبناء على ما سبق نخلص إلى أنّ المثل ينتمي إلى علم البيان الذي يعد القسم الثاني للبلاغة بعد علم المعاني وعلم البديع، والمثل خطاب يُعرف على أنه لا يعبر عن الوقائع بشكل مباشر إنّما يقوم على التشبيه وعلى وصف ظاهرة معينة مصدره حكاية قد حصلت في زمن مضى أو تم بناؤها افتراضياً، يُلقى في سياق مشابه لمورده، بعبارة أخرى؛ يقوم على التجربة لأن مسعاه إقامة الإجماع وحلّ الخلافات، مستعينا بالأشياء الملموسة؛ لأنها أثبتت في العقل والذهن ويتميز بالإيجاز والبعد التأويلي.

ب- أصناف المثل القرآني وأقسامه:

ورد المثل في القرآن الكريم بصور متنوعة وبشكل مختلف؛ المثل الظاهر (المصرح) والمثل الكامن (المضمر):

أمّا المصرح هو ما صرح بلفظ (المثل) أو يدلّ على التشبيه وهذا كثير في الخطاب القرآني¹، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة [17]

أما المثل الكامن فهو الذي لا يظهر فيه لفظ (المثل)². كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة [68]، وميزة هذا النوع من المثل أنّه لم يصرح فيه بلفظ المثل ولكنه يحملُ معناه.

وقد بيّنا سابقاً أنّ المثل القرآني قائم على تمثيل شيء بشيء لوجود عنصر أو أكثر من عناصر التشابه بينهما وينقسم إلى الأمثال الظاهرة والكامنة التي تحوي المثل البسيط والمثل المركب ونفصل القول فيهما كما يلي:

¹ - ينظر: صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2001، ص 10.

² - ينظر: سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم في المثل والمثل والمثلات، مرجع سابق، ص 48-49.

التمثيل البسيط: وهو المشتمل على التمثيل بمفرد لأن الممثل له يشابه الممثل به في وجه من الوجوه أو جانب من الجوانب كتمثيل الجاهل بالأعمى والعالم بالبصير قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة [5].

التمثيل المركب: وهو التمثيل الذي يقدم على شكل لوحة تصور أكثر من مفرد أوجه الشبه فيه لا يكون مأخوذ من مفرد بعينه بل يكون مأخوذ منه ومن غيره أو من الصورة العامة ويتفرع إلى شكلين:

1- إما أن يكون على شكل عناصر متلاقية تقابل أمثالها في الممثل له كتمثيل الإنفاق وإخلاص بالزرع الذي تزرع فيه الحبوب في أرض طيبة مباركة¹، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة [261]

2- إما أن يكون على شكل وحدة مركبة متداخلة تعطي بجملتها وجه الشبه دون ملاحظة التقابل الجزئي بين الممثل والممثل له مثل ضرب الله مثلا لفريق المنافقين²، في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)﴾ البقرة [17]

ومجمل القول، إن أصناف المثل القرآني المنحصرة في الظاهر والكامن تتفرع إلى بسيط ويكون تشبيهه بمفردة واحدة، وتتفرع إلى مركب فيكون عبارة عن لوحة تصويرية يحمل عناصر مقابلة في الممثل له أو يحمل وحدة مركبة يعطي وجه الشبه في المثال بطريقة مدمجة ومتداخلة بين الممثل والممثل له ما يجعل انفعالات السامع

¹ - ينظر: الميداني، الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها، دار القلم، دمشق-بيروت، ط1، 1980، ص10.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تتحرك نحو التأييد والتغيير كما ورد في المثل القرآني لكونه حقيقة معقولة أزلية ثابتة.

2- بلاغة المثل القرآني وعناصره الحجاجية:

يتميز حضور المثل في الخطاب ببلاغة خاصة لما يحمله من توضيح وشرح وتقريب للمعاني، فهو يسعى للوصول إلى ذهن السامعين، واستعماله في الخطابات اليومية أو العلمية أو الدينية أو الأكاديمية وغيرها، يعزز الآراء ويقوي الأطروحات بشكل كبير لما يحويه من قوة إقناعية، فهو يعدّ من وسائل الاحتجاج والإقناع، لكونه يبلغ بالخطاب ما لا يكاد أيّ خطاب يبلغه.

أ- بلاغة المثل في الخطاب القرآني:

للأمثال القرآنية وجهة نظر مخصوصة في أثناء التحاّج، لما تحمله من «روعة إذا برزت في أثناء الخطاب»¹، حيث إنها كلّما ظهرت في الخطاب زاد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد وهو خاصية العقل². ونعني؛ أن المثل القرآني يشتمل على أساليب متنوعة من علم المعاني والبيان والبديع، ما يحدث في النفس تأثيراً واستقطاباً نحو وجهة المثل.

يقول الفقيه الحافظ (الماوردي) (ت 450 هـ) مبيّناً مكانة الأمثال في الخطاب القرآني: «لها من الكلام موقع الاستماع والتأثير في القلوب (...) فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رُسله وأوضح بها الحجّة على خلقه لأنّها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة»³ أي؛ أنّها تخلق التأثير والإقناع باعتبارها

¹ - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه: أحمد عبد السلام، أبو هاجر محمد سعيد بن بيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1988. ص 10.

² - ينظر: ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد النمر الخطيب، مرجع سابق، ص 22.

³ -الماوردي، الأمثال والحكم، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، قطر، ط2، ص 20.

دليلاً وبيّناً للسامع، وكدليل على ذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (27) الزمر [27]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَصَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ إبراهيم [45]. ويفسر ذلك النحوي والناقد العربي (ابن وهب) (125هـ-197هـ) بالإشارة إلى أن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو محتاج إلى ما يدل على صحته والمثل مقرون بالحجة، كذلك دوتت القدماء علومها فجعلت من الأمثال والقصص وسيلة لها، أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها والمقدمات مضمونة إلى نتائجها وتصريف القول في ذلك حتى يتبين لسامعه ما آلت إليه¹ ونجد المفكر والفيلسوف المغربي (محمد الجابري) يبيّن ذلك مشيراً إلى أنّ المثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان من أجل العبرة من أجل البرهنة على صحة القضية التي استشهد فيها بالمثل²، لذا كان حضوره في الخطاب القرآني حضوراً وظيفياً لكونه السبيل نحو الإقناع وتفنيد ما جاء به المشركون وأهل الكتاب من حجج مضللة.

وإذا تمعنا في قول الأديب الروسي (بوشكين) (Pouchkine) (1799-1837م) أدركنا قوة وبلاغة المثل في التخاطب يقول: «إن الأمثال، خاصة، مفيدة في حالات لا نجد فيها الكثير لتبرير أنفسنا»³، لأننا لا نستطيع أن نقدم رأياً مفنداً للأمثال فهي تعمل بوصفها وسائل حجاجية تأثيرية أولاً ثم إقناعية ثانياً وطريقة إبلاغية جاهزة بامتياز، ولا يتكلم بالأمثال إلا صاحب البلاغة لأنها تنهي المعنى في قلب السامع وتفهمه بالأمر بشكل بيّن وواضح. وعليه، فإن حضور المثل في الخطاب القرآني

¹ -ينظر: ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: طه حسين، عبد الحميد العبادي، ص ص 117-119.

² -ينظر: محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 2019، ص 447.

³ -ليونيل بنجر، عدة الأدوات الحجاجية، تر: فوطال فضيلة، من كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته حافظ إسماعيل علوي عالم الكتب الحديث، ج5، الأردن، 2010، ص 152.

ليس لغاية الإمتاع أو التخيل وتقديم المعرفة فحسب، بل إنه خطاب إقناع ومسؤولية يقيد السامعين بالعمل بالدعوة التي جاء بها الخطاب القرآني.

كما نوّه (محمد مشبال) بقيمة بلاغة المثل القرآني وتفسير حاجيته بأنه يتوقف على مبدأ، أن تصديق دعوة القرآن تمرّ عبر تصديق المتكلم بمعنى؛ توثيق الصّلة بين الحاجّ والمُجّاج، فالإيمان بالدعوة القرآنية والإقناع برسالته يقتضيان الإيمان بالذات الإلهية والاقتناع بصفاتها، وتطلب هذا الأمر وجود إستراتيجية حجاجية في الخطاب القرآني يقوم على تشكيل صورة الذات الإلهية جديرة بالتصديق والإيمان والثقة¹.

وبناء على ما سبق، فإن بلاغة المثل في الخطاب القرآني خاصة تتجلى في أن المثل يعد منهجاً واضحاً للأطروحة الهادية إلى استيعاب الحقائق الإيمانية، وسبيلاً لتهديب النفوس ونشر الحكمة والآداب والقيم السامية، فحضوره في الخطاب يُراد به استقراء المعنى من الحالة الأولى وتبينها لمعرفة نهاية الحالة الثانية، هذا ما يكسبه النفاذية للعقول والقلوب، لكونه الدليل القاطع والبرهان المطلق في خطاباتنا لما يحمله من تربية قرآنية عالية، لذا يساق في الخطاب لعظمته وقدرته على إقامة الحجة التي لا تقوم عليها حجة، وكذلك تظهر بلاغة المثل القرآني في اعتباره تقويماً دقيقاً للموقف المراد الإخبار عنه أو البلوغ إليه، وهذا هو الطابع الكلّي للقرآن الكريم.

ب-العناصر الحجاجية في المثل القرآني:

لو تأملنا مفهوم المثل لأدركنا أنه، إنتاج أدبيّ فكريّ موجه إلى جماعة محددة في زمان محدد حيث يشكل دعامة أساسية في الخطاب ويشكل في حدّ ذاته خطاباً قرآنياً مكتفياً وموجزاً، ومن يطّلع عليه يُدرك أنّ في علاقاته التركيبية اللغوية إطاراً تواصلياً حجاجياً.

¹ -ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص 254.

وباعتباره خطاب فهو سلسلة من الصور الفنية تتخللها لغة شارحة واصلة بين الصورة والصورة، فالخطاب لا يتحقق قصده ودلالته إلا عن سبيل التصوير¹.

وفي السياق ذاته يُشير (بيرلمان) إلى أنّ المثل أيضاً خطاب حجاجي يستهدف تغيير أساليب تفكير مخاطبيه وطرق تشكيل معارفهم عن طريق تعديل الفرضيات أو الأطروحات أو الاعتقادات لديهم نحو تجسيد الفعل².

انطلاقاً من هذا الطرح، يتضح لنا، أن المثل حجة فهو كذلك خطاب، هذا الخطاب يتضمن ضمائر تعود على المتكلم وضمائر تعود على السّامع الأوّل وضمائر تعود على السّامع الثاني أي؛ على الله-عز وجل- وعلى محمد-صلى الله عليه وسلم- وعلى الأمة. وعليه، فالمثل خطاب حجاجي، والخطاب الحجاجي يقوم على أربعة عناصر تواصلية: الباطوس(المتكلم)، الإيتوس (السّامع)، اللّوغوس (الخطاب) المقام(السياق)، نوضحها في النقاط التالية:

الإيتوس: ويقصد به أخلاق المتكلم وفي الخطاب القرآني يتجلى في الصفات والمظاهر الإلهية، ويجمل (محمد مشبال) أهم ما يمتاز به الإيتوس القرآني فيما يلي: - أنّ الحديث عن الصورة الإلهية أو مفهوم الإيتوس في الخطاب القرآني تنفي ثنائية ما اصطلح عليه بالأخلاق الخطابية والأخلاق الواقعية*، فالمظهر الذي تجلى به القرآن لا وجود سوى لإيتوس خطابي تندمج فيه حقيقة الذات الإلهية المتكلمة بمظهرها.

¹ -ينظر: عميش عبد القادر، الخطاب بين فعل التثبيت وآلية القراءة مركزية البنية وامبريالية الدلالة، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2012، ص7.

² -ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار طاهر، عالم الكتب الحديث، 2020، ص123. * لأنها ثنائية تتعارض مع العقيدة الإسلامية التي لا تقوم بالتفصيل بين الوجود الحقيقي للذات الإلهية وبين مظهرها.

- أن المسافة اللامحدودة بين منزلة الذات الإلهية وبين منزلة السّامع يجعل الحجاج في الخطاب القرآني المقدس يتميز بصفة القسري (الحجاج القسري) الذي يقوم على الترغيب والترهيب

- أن حضور الذات الإلهية في النص القرآني تشكل تارة بواسطة الإحالة إلى الذات عبر أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو ضمير الغائب أو ما قاله الله -عزّ وجلّ- عن ذاته و بالصفات التي أسندها إليه¹.

ومن الآيات التي تمثل ذلك بوضوح قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)﴾ الروم [27]، فيظهر الإيتوس في صفات الله تعالى أنه عزيز حكيم.

الباطوس: يقصد به المرسل إليه، ويُطلق عليه (بيرلمان) اسم الجمهور وهو نوعان؛ جمهور مستمع (auditoire) ويتكون من شخص واحد وهو السّامع الخاص، وجمهور كوني (auditoire universel)، وهو السّامع الكوني المكوّن من البشرية جمعاء وصفه بيرلمان بأنه جمهور مركب من عدت أبنية ثقافية² وفي القرآن الكريم يختلف السامع الخاص من نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- الذي يعرف كل مسلم سيرته فقد كان هو المستقبل الأوّل للخطاب القرآني والمكلف بتبليغه، والحاضرين معه، أمّا السّامع الكوني يقصد به الأمة كافة وهي غاية الرسالة، ويتجسد هذا في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)﴾ يس [76-79] فالله-عزّ وجلّ- منزل الآيات إلى عباده عن طرق نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- إلى

¹ -ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، مرجع سابق، ص 246-248.

* وسنقف-إن شاء الله- في الفصل الثالث على دلالة هذا التوظيف ضمن حجة السلطة.

² - ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص43.

السّامع الخاص وهو السائل عن إحياء العظام وهي رميم، وأمّا السامع الكوني فهو كل من هم على شاكلته أو كل من يحمل نفس المفاهيم والمعتقدات والرؤية اتجاه قدرة الله تعالى في أي زمان ومكان، وعليه يمكن أن نصنف الجمهور الكوني إلى ثلاثة أصناف: صنف المؤمن بالله وصنف الكافر المعاند، و صنف المنافق، ثم تتعدد صور الاتصال في الخطاب القرآني حسب تعدد الآيات والهدف من الخطاب.

اللّوغوس: بمعنى الخطاب أو الرّسالة ويحمل جملة من الكلام المقصود فكل خطاب أو رسالة فيها لغة واسطة بين المتكلم والسّامع في إيصال الإخبار¹. يقول الباحث المصري (نصر حامد أبو زيد) (1943م-2010م): «إن القرآن يصف نفسه بأنه رسالة تمثل علاقة اتصال بين مرسل ومستقبل من خلال شفرة أو نظام لغوي»²، هذا النظام اللّغوي يدعى في الدرس الحجاجي ب(اللّوغوس) فقد جاء الخطاب القرآني بلغة ذلك الزمن عبر نظامهم الدلالي الثقافي واللّغوي «فالقرآن الكريم رسالة اتصالية صممت كأساس للإقناع من خلال الطرح الرباني المتكامل»³، أي؛ أنّنا نجد في القرآن مختلف الحجج العقلية التي اصطلح عليها اللّوغوس على نحو قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يس [13] ومن ثمّة، فإن طريقة كلام الله أو إنزال القرآن الكريم إلى البشر كان عن طريق الوحي (الملك جبريل) الذي يوحى بأمر من الله للنبي محمد -عليه الصلاة والسلام- ما يشاء من خطاب متنوع من أمثال، أحكام، قصص وغيرها، وهي الأداة التي تم إلقاء القرآن أو تنزيله حتى يصل ويبلغ للنّاس كافة.

¹ -ينظر: محمد عبد الفاروق التهانوي، اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع عبد النعيم محسن حسين، ج3، تراثا الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1902، ص 73.

² - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2014، ص 24.

³ -معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 102.

المقام: وهو من مقومات السياق، ويحتوي على مقومات سياقية فرعية: المتكلم، والسّامع والزمان والمكان¹، ويقصد به ظروف الخطاب أي؛ السّياق وهو مصطلح وضعه عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعي (برونسلاف مالينوفسكي) (Bronisław Malinowski) (1884 - 1942) واللّساني البريطاني (فيرث) (Firth) (1890 - 1960م) يقابله في الفرنسية (la situation de discours) وهو مجموعة الظروف التي يحصل فيها فعل كلامي²، يعني أنّ كل خطاب أو كلام يُقال داخل ظرف معين أو أحوال معينة.

ويبين المؤرخ الجزائري (محمد أركون) (1928-2010م) ذلك في قوله: «تدعو الوضعية العامة للخطاب مجمل الظروف التي جري في داخلها فعل كلامي (سواء كان مكتوباً أو شفويًا) ويخص ذلك في آن معاً المحيط الفيزيائي المادي والاجتماعي الذي نُطق فيه هذا الكلام كما يخص الصورة التي شكّلها كل واحد منهم عن الآخر كما يخص الأحداث التي سبقت مباشرة عملية التلفظ بالقول وبخاصة العلاقة التي كان المتخاطبون يتعاطفون فيما بينهم ثم التبادلات الكلامية التي اندرج فيها الخطاب المعني»³، فهذا القول يوافق قول المفكر الإسلامي (سميح عاطف) (1926م) في معرض حديثه عن أثر السّياق لتبيان معنى الآيات القرآنية ومكانة الأمثال يقول: «حيث لا تتجلى عظمة أمثال القرآن إلّا في سياق الصورة الموجودة فيها وفي الموضع المرسوم لها بين آيات هذه الصور»⁴.

¹ - ينظر: يان هوانغ، معجم اكسفورد، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2020، ص181.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 178.

³ - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2001، ط2، 2005، ص 114.

⁴ - سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم في المثل والمثل والمثلات، مرجع سابق، ص8.

من هذا الطرح المعرفي نقول: إنّ المتأمل للعناصر التواصلية في المثل القرآني يُدرك أن المثل خطاب حجاجي إقناعي والنشاط التواصلية فيه من منظور الدراسات الحجاجية تتميز بالحضور الفعلي؛ حيث نلاحظ، أن الإيتوس يتجلى في صورة الذات الإلهية في خطاب المثل القرآني وأنّ الباطوس يمثل السامعين (الخاص والكوني) من نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- الذي يعدّ المبلّغ لهذا الدين إلى الناس منهم المؤمنين والكافرين، وكان ذلك عن طريق اللوغوس أي؛ اللغة التي جاءت مكثفة بالتقنيات المنطقية والبلاغية حاملة في طياتها معانٍ مُبَيَّنَّة على منهج حجاجي تتغيّر التأثير والإقناع وعليه، فالأبعاد التواصلية الحجاجية حاضرة بقوة في المثل ومندمجة في لغته. وبالاستناد علي فحوى هذه الأخيرة تكشف العلاقة القائمة بين العناصر الحجاجية.

3- البنية الحجاجية في المثل القرآني:

نقصد بالبعد الحجاجي امتداد البنية النسقية الحجاجية في المثل القرآني وشموله للمظاهر والسمات الحجاجية وكيف تشكلت في أعماقه وامتدت، والبنية الحجاجية تعدّ طريقة لاستخدام التحليل العقلي والمنطقي، غرضها حلّ الخلافات والمنازعات واتخاذ قرارات محكمة والتأثير في السامع الخاص أو الكوني لتغيير وجهات نظره وسلوكه، ولا ننسى أنّ الخطاب الحجاجي هو «بناء المتكلم لتمثل خطابي "خطاطة" بهدف تعديل تمثّل مخاطبة حول موضوع معين»¹ ما يستدعي منّا الخوض في النقاط التالية:

- الأطروحة (theses): وهي موقف ظاهر أو ضمني من القضية المتناظر حولها مفترض إحاطتها بمجموع الجوانب كاستحضار الأطروحة المضادة المحتملة للعمل

¹ -توبي الحسن، الحجاج والبنية المعرفية، دار رؤية للنشر، 2020، ط 1، ص 68.

على دحضها بنفس الحجج الداعمة للأطروحة والانتهاة إلى تأكيد مشروعيتها مقارنة بها¹ تتجلى في المثل القرآني في ما كلّ يحثنا الله-عزّ وجلّ- إليه.

-الأطروحة المضادة (Contre-thèse): تحوّل تصورا معارضا لأطروحة أخرى وظيفتها عقد تباينات على مستوى تمثل القضية مثال الجدل وإبداء مخالفتها ل طرحها ونقضها لدعاماتها²، تتحصر فيما ينهانا الله-عزّ وجلّ- عنه ويدعوننا إلى تركه.

-الحجّة (argument): تشير بشكل صارم إلى مجموعة من القضايا التي يؤمن بها الجميع، والتي تعتبر بمثابة دعم لحقيقة تلك القضية وتحتوي الحجّة على شيئين: مجموعة من المقدمات والاستنتاج³، ويذهب الدكتور المغربي (أبو بكر العزاوي) إلى أنّ الحجّة هي عنصر دلالي متضمن في القول يقدمه المتكلم ليؤدي عنصراً دلالياً آخر والذي يمنحها طبيعتها الحجاجية إنّما هو السياق⁴. ترد في المثل القرآني على أصناف مختلفة مناسبة للسامع الخاص والنوعي.

-النتيجة: أو الدّعى هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، تُذكر صراحة وقد تُضمن، ولها معنى خصوصي نسبيا، وتقول أكثر مما تقوله الحجّة، والنتيجة التي يُدافع عنها الخطاب أو المثل القرآني يمكن تماما أن ترد في المرتبة الأولى سابقة

¹ -ينظر: أمينه الدهر، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص 168.

² -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ -Martin Hinton ; Evaluating the language of argument, Argumentation library, Volume 37, springer, university of lodz, p60.

⁴ -ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سوق الأزيكة، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص127.

للحجة، بخلاف خاتمة خطاب ما التي تُحدد تحديداً آلياً على أنها نهاية النصّ المعني¹، وتتمثل في وعود الله تعالى الظاهرة في المثل القرآني.

- **قانون العبور:** يقابل ما سماه أرسطو بالقياس الحجاجي، مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة فسمى المقدمة الكبرى بقانون العبور لأنه يسمح لنا بالمرور من الحجة (المقدمة الصغرى) إلى النتيجة. تتجلى وظيفته في نقل الرضا من الحجة إلى النتيجة هذا العبور يستوجب دائماً قفزة واختلافاً في المستوى بين الملفوظ الحجة وملفوظ النتيجة، والنتيجة تتضمن دائماً في آن واحد أكثر وأقلّ ممّا في الحجة، ويوفر قانون العبور للحجة (المعطى) المعنى الحجاجي الذي لم يكن له من قبل وهذه مصادرة أساسية للحجاج الخطابي فمنها تستمد الحجة توجيه نحو النتيجة، إنّه يعبر عن حقيقة عامّة من نمط مثلي ينسب أحياناً إلى متلفظ جمعي² أي متفق عليه. مثلاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)﴾ البقرة [26-24]

وبتباع ما أسماه (تولمين) "مراحل الحجة" التي تكون في حالة وجود رأي أو قضية أو أطروحة ونسعى للدفاع عنها حيث تسمح لنا بتقديم الحجة في سلسلة من المراحل

¹ - ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، فصول مجلة النقد الأدبي علمية محكمة، ع 60، ص 45. وينظر: بلانتان كريستيان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، بلانتان كريستيان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، (سلسلة: مقالات اللغويين) تونس، 2010، ص 46.

² - ينظر: بلانتان كريستيان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مرجع سابق، ص 47.

تبرر استنتاجات هي نفسها المراحل التي مررنا بها للحصول على الإجابة وتأسيسها من خلال إنتاج حجج داعمة تسقط حجة مضادة¹

فنعيد كتابة وتحليل هذه الآية الكريمة بوصفها حجة بطريقة تبرز طابعها الجوهري في قانون العبور بالشكل العيني التالي:

النتيجة	الضامن	قانون العبور	الحجة
يهدى المؤمنين ويضل الفاسقين	بمقتضى الأمر الرباني	على السّامع أن يؤمن بآيات الله	أن الله قادر على ضرب المثل بما يشاء فهو العالم بمكنونات عباده

وعلى هذا التفسير تصبح النتيجة أن المؤمنين يعلمون بقدرة الله ويخضعون لأوامره و الفاسقون يجادلون في ذلك.

إذن؛ الفاسقون في ضلال وهذا الشكل المنطقي جعل الحجة غير قابلة للشك.

انطلاقاً من هذا التصور المعرفي تبيّن أنّ البعد الحجاجي في المثل القرآني مبنيّ على خطاظة حجاجيّة منطقيّة رغبة في تحقيق المقاصد والأهداف الإسلاميّة والدّفاع عن المواقف والأطروحات القرآنية، فهو يحمل السّامع الخاص والكونيّ بتصديق الدّعوى (النتيجة) واستمالاته نحو الإيمان بالأطروحة وتجنب الأطروحة المضادة وهنا يتجلى دور الحجة الذي يتجاوز نطاق التأثير والإقناع إلى نطاق التفكير والتدبر في رسالة الله.

¹ –Stephen Toulmin, The uses of Argument, Updated Edition, Cambridge university press, 2003, p16

ثالثاً: قيمة المثل القرآني وأهم خصائصه:

من أشرف علوم القرآن الكريم علوم الأمثال، نزلت بصورة معجزة تتحدى العرب الذين برعوا فيه، فقد جاء كحجة ودليل للإرشاد والتوجيه، ويمكن القول إن المثل القرآني خطاب بلاغي إقناعي، بوصفه شكلاً من أشكال الممارسات الاجتماعية المقنعة، خاطب الناس وما زال يخاطبنا عن قضايا أخلاقية وقيم دينية بوسائل تأثيرية إقناعية، إما لتعزيز موقف ما أو تغييره نحو السبيل الصحيح، الذي يقود الإنسان إلى الحق والتوحيد والإيمان. وفي بداية هذا العنصر نعرض قيمة المثل عند العرب، والحديث عن قيمة المثل القرآني يقتضي الحديث عن خصائصه ومزاياه يتبع ذلك بتقديم نماذج من المثل القرآني لتحليلها.

1- قيمة المثل القرآني في الثقافة العربية:

قيمة الشيء في اللغة قَدْرُه، وقيمة المتاع ثمنه، يقال قيمة المرء ما يُحْسِنُه، والقيمة الثمن وقيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوباً ومرغوباً فيه¹، والمثل فن من الفنون النثرية في الحياة العربية، فهو إحدى الطرق الأدبية والفكرية واللغوية المُعبِّرة عن الواقع، ولرسم قيمة المثل القرآني في الثقافة العربية، التي تتجلى في ما أشار إليه القرآن الكريم، وبما بلغنا به رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وما وقف عنده العلماء والمفسرون العظماء والتي تظهر فيما يلي:

حينما نتأمل في حال العرب وقت البعثة نرى أنهم كانوا في ذروة البلاغة، وقمة الفصاحة وقد بلغ بهم الأمر إلى التفاخر بأمثالهم²، والمتتبع لواقع الحياة البشرية يجد

¹ -ينظر: جميل صليبا، معجم فلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، 1982، ص212.

² -ينظر: أماد كاظم البرواري، المحاجة العقلية في برهنة حقائق القرآن مطارحات النورسي للفكر المادي، مرجع سابق، ص 131.

أنّ الناس قد درجوا في حياتهم على استعمالها بما يعبر عن أفكارهم ومشاعرهم حتى صار المثل صنوّ الحكمة الشعبية واعتادوا على الاستعانة به¹ والأمثال العربية القديمة بحد ذاتها كانت مرتبطة بأصحاب السلطة، وأن أصل كلمة المثل هي تلك الكلمة القوية في نظر الناس المفعمة بالهيبة والسيطرة² فحضوره في الخطاب مثله مثل الرموز والإشارات التي يلوّح بها على المعاني لتلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً³. ويذهب (محمد عشتار) أن المثل يُعدّ من قصارى فصاحة العرب وجوامع كلمها لأنه مُكتمِلٌ بنيوياً فهو يصلح أن يكون موضوعاً لعمل أدبي كبير⁴

وعطفاً على ما سبق، فإن أسلوب المثل كان من اهتمامات العرب لما له من أثر بالغ في الإقناع وتقريب المعنى وإيضاحه من خلال بنيته المكتملة والمشابهة للحكمة، يُسهم في إبراز الحقائق والقيم بأسلوب ممتع ومقنع.

أمّا المثل في القرآن الكريم؛ فيشكل عنصراً من عناصر بناء الخطاب القرآني بوصفه خطاباً إلهياً دعوياً، فقد احتل أسلوب المثل مساحة تربع على ربع القرآن الكريم، مما يؤكد أهميته وفعالته ووساطته في خدمة الدّعوة⁵، وتعدّ الأمثال في بعض خصائصها من أنواع الحكمة، والتي يمكن استخدامها كوسيلة ثقافية للتوعيّة

¹ -ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، المرجع السابق، ص8.
² -ينظر: عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه: كلية الآداب بجامعة القاهرة، إشراف: مراد كامل، دار مصر للطباعة، ط1، 1956، ص19.

³ -ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القسم الأول، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 55.

⁴ -ينظر: عشتار داوود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني-دراسة-، مرجع سابق، ص 39.

⁵ -ينظر: عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مكتبة الأدب المغربي، مؤسسه أفاق للدراسات والنشر والاتصال، المغرب ط1، 2017، ص9.

والإرشاد أو أداة تربوية للإعداد والتوجيه¹، ويُطالعنا القرآن العظيم على آيات المثل المتنوعة ونلاحظ أن الله -عزّ وجلّ- يضرب الأمثال لنا ويختص العالم في فهم معانيها وتعقلها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ (43)﴾ العنكبوت [43]، والعقل هنا بمعنى: الفهم أي؛ لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام² ويذهب بنا (الطبري) إلى تفسير هذه الآية؛ أن هذه الأشباه و النظائر نُمثّلها ونُشبهها ونُحتج بها للناس وما يعقل أنّه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا إلا العالمون بالله وآياته³ وقد بيّن وفصل لنا الله -عزّ وجلّ- آيات المثل لعلنا نتقي فقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ العنكبوت [43] بمعنى؛ كل مثل يحتوي على جميع نماذج الناس وخصائصهم، وكلّها تحمل العبر والعظات والبراهين، فنزول المثل كان جامعا لأسرار الحياة الدنيا بأسرها، وبمختلف خلائقها وما يحيط بها ويؤثر على وجودها، وكلّها مُعبّرة وصالحة لكل زمان ومكان⁴ ويدعونا الله -عزّ وجلّ- إلى التفكير والتأمل والتدبر فيها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾ الحشر [21] بمعنى؛ يضرب الله لنا هذه الأمثال لنتفكر فيها، فنُنِيبُ إليه ونُنْقَاد للحق⁵، ومثل الله أعلى من كل مثل في العلو بقريّة المقام⁶، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ النحل [60].

¹ -ينظر: سميح عاطف الزين، الأمثال والمثل والتمثل والمثالات في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، دار كتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط2، 2000، ص 13.

² -ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 19، مرجع سابق، ص 255.

³ -ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني، مج7، الأحقاف إلى الناس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، ص75.

⁴ -ينظر: سميح عاطف، الأمثال والمثل والتمثل والمثالات في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص44.

⁵ -ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج7، مرجع سابق، ص 267.

⁶ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، مرجع سابق، ص 187.

أي؛ الأمثال القرآنية أحكام وتشريعات جعل منها الله سبحانه وتعالى من أنفع وسائل الهداية ومعالجة النفوس¹.

كذلك تظهر قيمة المثل في قول رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: «إنّ القرآن نزل على خمسة أوجه؛ حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال»² رواه (البهقي) في "شعب الإيمان"، ويقول (الماوردي): «من أعظم علوم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه»³، ويبيّن لنا (إبراهيم النّظام) صفات تفرّد المثل قائلاً: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكفاية فهو لها نهاية البلاغة»⁴.

فالأمثال لم توضع عبثاً، بل كان وراءها أسباب اقتضتها وأحداث أفرزتها وكانت ترمي إلى تصويب لأوضاع المجتمع، وتوجيه الناس ومعالجة المشاكل⁵. وتماشيا مع ما تم ذكره، يمكن أن نخلص إلى أنّ قيمة المثل القرآني في الثقافة العربية أو أنّ الشيء الذي يجعل المثل القرآني مطلوباً ومرغوباً في التخاطب والتواصل هو أنّ:

-المثل القرآني خطاب قرآني جاء خادماً لدعوة التوحيد (العبودية)، وأيّ شيء متعلق بالقرآن فهو مقدس ومرغوب فيه.

¹-ينظر: أبو سامر جابر كامل خليل بشير، الأمثال في القرآن موكب الإيمان، مرجعة، طارق فتحي عبد الهادي أبو بكر، ط1، 2018، ص 9.

²- صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوب، كشف المنهاج والتفاحيح في تخريج أحاديث المصابيح، تح: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العلمية للموسوعة، 1425هـ، ص 150.

³ -السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأنثووط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2008، بيروت- لبنان، ص671.

⁴ -ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، مرجع سابق، ص22.

⁵ - ينظر: سميح عاطف الزين، الأمثال والمثل والتمثل والمثالات في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص12.

- المثل القرآني مثل يتصف بالكمال في كل جوانبه، فهو وسيلة للتوعيّة والإرشاد وإتمام النقائص من القيم والأخلاق.
- أنّ المثل القرآني يعدّ الوجه الخامس من أوجه نزول القرآن فهو من أشرف وأعظم علومه.
- أنّ فهم وتعقل الأمثال من صفات العالمين فحسب، أي منزلة المثل متعلقة بمنزلة العلماء.
- بيّن لنا المثل القرآني جميع النماذج البشرية لنقيس عليهم ونعتبر.
- يَحْتُنُّنا اللهُ - عز وجل - على تعلم وتعليم الأمثال القرآنية، والتفكر والتدبر فيها وتذكرها دون إنكارها.

2- خصائص المثل القرآني:

جاء المثل القرآني مخاطباً العقل والقلب، مرشداً ومسدداً وهادياً للحق، داعياً إلى التفكير والتأمل والتدبر، لنكون على بينة من الأمر، وَلِنَنْتَفِعَ وَنُقْتَبَعَ بِهِ، فهو حجة حتى ولو كان بشكل غير مباشر، فضلاً عن ذلك فالمثل القرآني ذو طابع إرشادي جمالي مقنع، جعل من الجمال والفن والبيان وسيلة لغايته الإرشادية، وسنعرض في هذا العنصر خصائص المثل القرآني ونتبعه بمجموعة عن نماذج من الأمثال القرآنية لتحليلها وبيان الخصائص، ونوجز ذلك فيما يلي:

أ- الخصائص العامة للأمثال القرآنية:

تتمثل الخصائص العامة للأمثال القرآنية في تلك السمات والصفات التي تتميز بها لغته عن باقي من الخطابات الأخرى لكونه خطاب إلهي فهو خطاب متسام نورد أهمها.

- **خاصية الأمثال قواعد:** الأمثال القرآنية قواعد كليّة، تجمع تحتها كل القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية، فهي خالدة على مرّ الزمان وصالحة لكل زمان ومكان

مقبولة عند الخاصة والعامة¹، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ البقرة [259-261]، فالقاعدة التي يحملها المثل ضامنة للتكافل وهي قاعدة الإنفاق لوجه الله، والقيمة التي يحملها هي الإحسان والتقوى، أما الصورة التي رسمها فتتجلى في صورة السنبل، فالصورة مقبولة صالحة لكل زمان ومكان لدى الناس كافة، فالأمثال القرآنية قواعد وضوابط وهي أصل في بناء العلاقات، والأخذ والعمل بها أمر ضروري.

-**خاصية تصوير الحقائق:** تصوير الحقائق المجردة تصويراً لا يبعد عن الواقع الحسي بمعنى أن ما فيه من تشبيه أو استعارة، أو كناية أو مجاز إنما هو من مقومات الوصول إلى الحق والحقيقة بعيداً عن الخيال المقصود لذاته²، ونجد هذا واضحاً في القرآن كله ونختار كنموذج قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة [17]، صور الله لنا حقيقة المنافقين تصويراً حسياً، باستعمال المجاز من باب التوضيح والوصول للحقيقة، حتى ندرك واقع هؤلاء، ونفهم حقيقتهم متجاوزين البيان لذاته أنهم مثل مستوقد النار، والنار تنير ثم تخدم أي لا يستمر ضوءها.

-**خاصية أسلوب المثل:** أسلوب المثل حكيم فهو لا يجيء في عزلة عن الآيات السابقة له واللاحقة، وإنما يأتي مفسراً لما قبله ممهداً لما بعده، مصحوباً بالحكم على من أطاع ومن عصي، فالآيات التي قبلها وبعدها تفسره، وتمثل المثل لما بعده مع الحكم على من ضرب فيهم المثل³، كما جاء في الآية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة [171]، والآية التي قبلها تُمهّد له قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

¹ - ينظر: محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنارة، ط2، 1999، ص306. من موقع المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/10002>

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 308.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 308.

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) ﴿البقرة [170]، أما الآية التي بعدها فهي تفسير وبيان الحكم المقصود من المثل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ أَنْ تُقْرَبُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (172) ﴿البقرة [172]، ويمكن القول: إن المثل متعلق بالمحور العام للسورة.

-**خاصية الغرض:** يحتوي المثل القرآني على أكثر من غرض ديني واحد فقد يرد تصوير المثل بغرض تقريب صورة الممثل له إلى جانب أغراض أخرى مثل الإقناع والترغيب أو الترهيب فتصوير الأمثال القرآنية يحقق أغراضاً عدّة قد تجمع وحدها في المثل تتضمنه بعض الإيحاءات اللفظ القرآني¹، فآية واحدة تحمل أغراضاً عدّة أي؛ موضوعات متنوعة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح [29] فلو تأملنا هذه الآية لعرفنا الأغراض التي تحويها؛ مدح أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ووصف حقيقتهم في الواقع، حين مثلهم بالزرع لتقريب الصورة وتذكير بوعد الله أي المغفرة لأولئك.

-**خاصية المثل الحقيقي والفرضي:** المثل القرآني قد يكون حقيقياً وقد يكون فرضياً؛ في حال تعبيره عن الحقيقة فإنه يطلق على ذات الشيء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران [59]، وقد يكون فرضياً فإنه يأتي على صورة التشبيه كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة [5]

¹ -ينظر: عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، مكتبة لسان العرب، ط1، 2001م، ص160.

- **الخاصية المطلقة والشمولية والكلية:** تميز بها المثل القرآني من خلال معالجة الأمور جملة دون تفصيل فيها، ودون أن يأخذ الأمر على حدة وبصورة إفرادية¹ ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ونس [24] فالله- عزّ وجلّ- عبّر عن الحياة بأكملها دون ذكر تفاصيلها ودقائقها وربطها بمراحل النبات من لحظة زراعته للحظة اندثاره وهذا الواقع المطلق للنبات، والأمر ذاته، مع مراحل الإنسان بداية من لحظة نفخ الروح فيه إلى لحظة خروجه وهو واقع الإنسان المطلق أيضا.

إنّ الخصائص العامة للأمثال القرآنية تظهر في طابع القرآن كله في صفاته ومميزاته التي يتفرد بها عن غيره من أمثال العرب، مثلا: لغته، مصدره الإلهي الكمال، الخلود، المنطقية الواضحة وغيرها من الصفات التي يميز بها الخطاب القرآني عموما، وتفتقدها الخطابات الأخرى.

ب- الخصائص الفنية للمثل القرآني:

تتعلق الخصائص الفنية في المثل القرآني بأسلوبه وبلاغته وبيانه، في تصوير وبيان قضايا الكفر والإيمان، والحياة الدنيا والبر والإنفاق وغيرها من القضايا التي تخص الدعوة الإسلامية، وسنعرض أهم هذه الخصائص الفنية.

- **خاصية الدقة والواقعية:** يظهر ذلك في الصياغة الفريدة للألفاظ والتراكيب وحسن النظم لتحقيق التأثير في النفس والإقناع في العقل². من الدقة في التعبير ما نلاحظه في هذه الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت [41]، وإذا تم تحليل هذا

¹ - ينظر: سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، 2009، ص 51.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 54- 58.

المثل إلى عناصره المفردة الدقيقة نلاحظ أنه مثل الذين اتخذوا الأصنام إليها يرجون نفعه مثل من اتخذ بيت العنكبوت مأوى لأن؛ بيت العنكبوت ضعيف، وهذا هو واقع الحال، والأمر عينه لهؤلاء، هؤلاء لا تتفهم الأصنام ولا تغنيهم من شيء كحال بيت العنكبوت.

- **خاصية الدعوة إلى التفكير والتبصير:** وهي من أهم الجوانب الفنية للأمثال وتتجلى في أننا نجد أنفسنا في تلك الأمثلة في مجالات تستدعي التفكير بمعانيها ومقاصدها والدعوة تحت العقل ورؤية الحقيقة كما هي دون إنكار¹. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾ الحشر [21]، فنحن ملزمون بتذكر الأمثال والتفكير والتدبر فيها، لرؤية الحقيقة ومعرفة المقصد والأخذ بالعبرة.

- **خاصية التأثير النفسي:** تستمد الأمثال القرآنية مدلولاتها من عناصر الحياة ذاتها لكي تكون قريبة في فهم الإنسان لها فيقتدي بوحياها وإلهامها، لذا اتخذت من الطبيعة والكون ميدانا لرسم الصورة المعبرة عن الموقف²، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)﴾ إبراهيم [24]، حيث اتخذت من الطبيعة؛ الشجرة، الجبل وغيرهم ومن الحشرات مثلا: البعوضة والعنكبوت كمدلولات أي؛ تشكل صورا ذهنية لما تحيل إليه أو ما يفهم من تلك الكلمات التي تحمل دلالة خاصة

- **خاصية التنوع في عرض الأمثال:** ويكون التنوع في عرض الأمثال مرة بالتشبيه ومرة بالتمثيل البسيط وأخرى بالتمثيل المركب الذي يطابق كل جزء من الممثلين،

¹ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومرة بالتشبيه ومرة بالعرض المفاجئ وغير ذلك من فنون القول وأساليبه¹. ونلاحظ هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)﴾ الجمعة [5]، وإذا تم تحليل هذا المثل تجده يعطي عددا من الأمثال البسيطة والتي يمنحنا صورة متناسقة لكامل المثل.

-**خاصية الحذف:** يحذف في المثل القرآني مقاطع من الصورة التمثيلية اعتمادا على نكاء أهل الاستنباط، إذ باستطاعتهم أن يتصوروا في أذهانهم كامل الصورة ويتم ما حذف منها². وهو قريب من ما يسمى في التداولية بالافتراض المسبق ونمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)﴾ آل عمران [117]، نأخذ نموذج للحذف، حيث نلاحظ أنه لم يعرض من صورة الممثل له إلا مقطع واحد وهو: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وهذا المثل يستلزم ما وراءه حتى النتيجة، فهو المقطع الأول من صور الممثل له، ويلاحظ في صورة المثل أنه قد حذف منها المقطع الأوّل وعرض المقطع الأخير والمقطع الأول المحذوف هو: قوم حرثوا أرضا وزرعوها، فانبتت لهم نباتا حسنا، ولم يبق عليهم إلا أن يجمعوا نتاجها والمقطع الأخير المذكور هو: ريح فيها برد شديد، أصابه الحرث فأهلكه³.

- **خاصية الحقائق العلمية:** تحمل الأمثال مضامين من الحقائق العلمية الكونية الكبرى، كما لها كذلك من الإقناع والتأثير فهي تقنع العقل وتمتع العاطفة⁴، على سبيل المثال: بيت العنكبوت، فهذا البيت له من الحقائق ومن الأسرار ما يعجز

¹ - ينظر: الميداني، أمثال القرآن الكريم وصوره من أدبه الرفيع، مرجع سابق، ص 115.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 122 - 123.

⁴ - ينظر: فضل الحسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشري، 1989، ص 140.

العقول ويُذهل القلوب، خاصة الخيوط التي يصنعها من جسده الضعيف، حيث يتم صنعه من مادة البروتين الحرير الذي يسمى (الفاكيرتين) على شكل خيط عديد الطيات من الأحماض الأمينية المجدولة حلزونياً يفرزها العنكبوت من غدة موجودة في بطنه ثم تنتقل عبر قنوات عُديّة إلى الرأس حيث هناك آلة بمثابة مدافع تسمى المدافع العنكبوتية لضخ البروتين وتكوين خيوط الحرير مع تحكم العنكبوت في ذلك¹، ولا يزال العلم يبحث عن أسرارهِ.

- **خاصية البنية الإيقاعية:** فهي آلية من آليات التكوين الجمالي داخل الخطاب القرآني عامة والبياني خاصة فهي التي تكسبه المتعة الجمالية، حيث يعمل الإيقاع الصوتي كوسيلة من وسائل التأثير في السّامع بقصد الاستجابة والإذعان، لما تتمتع به الحروف والكلمات من حرارة وتوهج يضيء المعنى المراد، فكل كلمة بحروفها تناسب صورتها الذهنية فالنظام الموسيقي الكامن في المثل القرآني لا يأتي منفصلاً عن مجال الدلالات والمعاني المُكْتَنَزَة داخل الخطاب². يقول دراز: «فإذا ما اقتربت بأذنك قليلاً قليلاً، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجه من مخارجها الصحيحة. فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر وآخر ينزلق عليه النفس. وآخر يحتبس عنده النفس»³، كل ذلك يعمل على تفعيل أجواء مشحونة بالعواطف والانفعالات المناسبة لنفسية السّامع فيؤمن بما جاءت به الأمثال ويتقبلها أو يرفضها ويعارضها، نلاحظ هذا في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ

¹ -ينظر: محمد لخضر سعيدات، ضرب المثل من كلام الكبير المتعال، ط1، 2016، ص ص 190-191.

² -ينظر: لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص ص 173-174.

³ -محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، تح: عبد الحميد الداخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 2000، ص132.

كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿النور [35]،
والمتمامل يُدرك المتعة الجمالية للإيقاع الصوتي والصورة الذهنية لهذا المثل ويحس
بحالة من الأُنس لأنّ الكلمات جاءت مناسبة للدلالات على المقصود في الآية
الكريمة.

تتجلى الخصائص الفنية في تلك السمات الجمالية للمثل القرآني، وفي تلك الأساليب
البيانية والأسلوبية القوية مثلا الإيجاز والتشبيه والاستعارة، وهي من الأمور
الضرورية في الخطاب، والتي تترك انطبعا لدى السامع.

ج-الخصائص الأدائية للمثل القرآني:

إلى جانب تلك الخصائص هناك خصائص تتعلق بالأداء في المثل القرآني نجملها
فيما يلي:

- للأداء القرآني طابع بارز في القدرة على استحضار المشاهد والتعبير والمواجهة
كما لو كان المشهد حاضرا بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر ولا
يملك الأداء البشري تقليدها لأنه يبدو مضطربا غير مستقيم مع أسلوب الكتابة¹،
على سبيل المثال قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)﴾ البقرة [17] فتظهر قوة
العرض في التعبير والاستحضار في طريقة تقديم آية المثل والانتقال فيها فنلاحظ
أنه يسرد: مثلهم كمثل الذي استوقد النار ثم يفصل: فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله
بنورهم، تركهم في ظلمات. ثم مصيرهم فهم لا يبصرون.

- أن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة يستحيل على البشر
أن يعبروا عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير وأجمله وأحيائه

¹ -ينظر: عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، بيروت-
لبنان، ط1، 1981، ص 256.

أيضا مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة وجمال التعبير ودقة الدلالة في آن واحد¹ وقد عبر عن ذلك (أبو يعقوب السحيم) بجودة السبك وإحكام سرده، فالخطاب القرآني بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وآياته وصوره مبلغا لا يُدانيه فيه أيّ كلامٍ مع تنوع مقاصده وتلوينه في الموضوع الواحد².

- أن الخطاب أو النص القرآني الواحد يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء وكل قضية تنال الحيز الذي يناسبها بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى ويبدو في كل مرة أصيلا في الموضوع الذي استشهد فيه وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا المجال ولهذا الموضوع³. فإذا تأملنا في هذه الآية ندرك تلك الخصائص الأدائية السابقة وهي حاضرة بشكل غزير ومكثف، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)﴾ البقرة [265]، أدركنا وأحسنا بالمشهد الذي استحضره المثل من خلال الأداء؛ ومثل الذين... تثبيتا من أنفسهم... أتت أكلها.. فإن لم يصبها... والله بما تعملون بصير.

والتعبير هنا كما لو كان المشهد حاضرا، وتميز الأداء بالتعبير عن قضايا كبرى كقضية التزكية والإنفاق لوجه الله في هذا المثل، وتم تناوله بأنسب مدلول مثلا: جنة برية، وابل، فطل، وأدق تعبير وبأسلوب بديع مشوق.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 257.

² - ينظر: أبو يعقوب عبد الرحمن بن عبد الله بن صالح السحيم، مسائل في علوم القرآن تهم الدعاة والمناضلين، 1439هـ، الرياض، د.ط، ص ص 90-91.

³ - ينظر: عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، مرجع سابق، ص 258.

-خاصية اقتران المثل بالقصة فسمي المثل "بالمثل القصصي"¹، كقصة أصحاب القرية كما جاء في الآية: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يس [13]

نُجْمِلُ القول حول تلك الخصائص الأدائية فهي تجمع بين الخصائص العامة والفنية وإقائه الآيات بأساليب متنوعة وبطريقة تثير الكوامن الوجدانية، وتحرك العقول للتدبر في الآيات كما يليق بكتاب الله وهي غاية مطلوبة ومحمودة.

ومن جانبنا نرى، أن القرآن الكريم معجزة في كل أبعاده البلاغية واللغوية والعلمية وغيرها، وأن المثل القرآني مثلٌ إعجازي في نظمه وفي نسقه، وبخصائصه كافة العامة والفنية والأدائية، نجد فيه كمالات في عرض المعاني المقصودة، ما حقق له في الثقافة العربية هزة روحية، إيمانية، دينية، علمية، مشكّلا نسقا ثقافياً تواصلياً خالداً مبني على قواعد ثابتة، هادفة للتأثير والإقناع والتعزيز والتغيير، وهذا هو الشيء الذي جعله يتميز بخصائص غلياً مطلقة لا يُدانيه أحد وهنا تظهر قيمته، ويعدّ كذلك مقياس أساسي في تواصلنا مع الآخرين، فنحن كثيرا ما نحتاج إلى بيان مطلق ثابت يُدعم ويُوضح ما نقول وما نريد إيصاله للسامع.

ولا ننسى أن ما ذكرناه من خصائص متنوعة وما حاولنا من بلوغه في الجمع بين تلك الخصائص وتوضيحها، لا يزال هناك ما نكشف عنه في دراستنا من خصائص المثل القرآني لكن من جانب آخر.

¹ -ينظر: سعد قدور سعد، بلاغة القرآن: دراسة في الأساليب، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير، إشراف: زراي نور الدين، جامعة وهران، قسم اللغة والأدب العربي، 2015م، ص 47.

الفصل الثاني:

المنطلقات والتقنيات الحجاجية في النظرية البرلمانية

-تمهيد

أولاً: الحجاج، بحث في أدبياته ومنطلقاته

ثانياً: أنواع الحجج في الخطاب الحجاجي

ثالثاً: حجاجية الصورة البلاغية والأسلوبية

تمهيد:

بعد تحديد نوع الخطاب (المثل القرآني) بكونه خطاباً حجاجياً، إقناعياً، والإقناع هذا يكون صفة أو هدف الخطاب، ومن ثم، فالخطاب الإقناعي من أجل أن يتضمن بلاغة إقناع اعتمد على آليات حجاجية خاصة و آليات بلاغية خاصة، والمثل القرآني ينطوي على تلك الطاقات البلاغية والحجاجية الهائلة، من أجل هداية النفوس وتغيير السلوك والمعتقدات حيث يُدَمِّ دعوة ما، مُدَعِّمةً بحجة عقلية قوية، وبصورة بلاغية مؤثرة، وبطريقة تعبيرية فريدة، كلّها تتمحور أساساً حول إقناع السامع وجعله مقتنعاً بتلك الدعوة أو القضية. وانطلاقاً من هذا، نلاحظ أنّ علاقة المتكلم بخطابه الحجاجي تمر بثلاثة مدارات؛ وعليه نجد عنوان الفصل جمع بين ثلاثة متغيرات:

الأولى: الحجاج: بحث في أدبياته ومنطلقاته، خصصناه لتقديم نظرة عامة حول أدبيات التواصل الحجاجية والمنطلقات الحجاجية وهما بمثابة نقطة بداية للتواصل الحجاجي المتعلقة بالمتكلم والسامع ومدى فعاليتها الإقناعية، مع تقديم نماذج من الأمثال القرآنية وتحليلها وفقاً لهذه العناصر.

الثانية: أنواع الحجج في الخطاب الحجاجي؛ مركزين على عرض أصناف الحجج ومدى قوتها في الإقناع، وتتعلق الحجج باللوغوس.

الثالثة: حجاجية الصورة البلاغية والأسلوبية في الخطاب؛ إذ تُعد وسائل البلاغة وأشكال الأسلوب كنماذج للتأثير في السامع بصور متنوعة، وقد يكون الخطاب بأسلوب خبري أو بأسلوب إنشائي ليثير أهواء السامع ويحقق أهداف التواصل، يقول

(الحسين بنو هاشم): «فالجسر الذي تمت عبره إثارة هذا الباطوس هو الأسلوب»¹
وهنا يصبح الحديث عن الخطاب يعني الحديث عن الأفعال.

إنّ المقاربة الحجاجية للخطاب البلاغي الإقناعي تستند على ركيزتين أساسيتين: العقل والقلب، يقول (عبد الله صوله) موضحاً ذلك: «فالحجاج حجاجين حجاج عقلي قوامه العقل وحجاج ثاني يرمي إلى دغدغة العواطف وإثارة الأهواء»².
وسنعمل في هذا الفصل، على التمييز بين التقنيات الحجاجية والمقولات البلاغية، ونماذج من الأساليب التعبيرية، بالرغم من أن هذه المجالات الثلاثة للبناء اللغوي للخطاب متداخلة في ما بينها إلا أننا سنقف على وظيفة ودور كل عملية، ومدى مساهمتها في تحقيق التأثير والاقتناع بالاعتماد على طرق متنوعة، وسنرى مدى مساهمتها في انتظام الخطاب الحجاجي وأداء القصد.

¹ -الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط1، 2014، ص 306.

² -عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت- لبنان، ط1، 2001، ص 28.

أولاً: الحجاجُ: بحثٌ في أدبيّاته ومُنطلقاتِه

لبناء خطاب حجاجي إقناعي لا بد من الوقوف على محطّتين: محطة ما قبل الخطاب ومحطة بناء الخطاب؛ تقوم المحطة الأولى على مجموعة من الأدبيات الحجاجية أو المبادئ الأساسية في التحاج ذي الصبغة البلاغية، لها دور وظيفي تحمل معاني يُريد صاحب الخطاب أن تصل إلى السّامع، في حين تقوم المحطة الثانية على بناء الخطاب ذاته، ينطلق المتكلم من معتقدات ومعلومات المستمع (أهواء الباطوس)، التي تحظى بموافقة الجمهور العام يعمل المتكلم على تحويلها إلى صورة مثيرة للانفعال والمشاعر ضمن بنية لغوية إيضاحية تصويرية مختارة وملائمة للمقام، ما يُعطي للخطاب قوته الإقناعية والتأثيرية، ويوجه السّامع نحو القصد، تسمى "المنطلقات الحجاجية". وسنعمل على توضيح أدبيات الحجاج في الخطاب القرآني عامة لكونه يحوي صفات الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأنه مُبلّغ الخطاب القرآني بما فيه المثل، ثم نخصص المنطلقات والتقنيات الحجاجية بتحليل المثل القرآني في حد ذاته، وعليه، تم تقسيم المبحث إلى عنصرين:

1- أدبيات الحجاج في التواصل:

للحجاج أدبيات كثيرة ومتعددة، ترتبط ببناء الخطاب وأسلوب تقديمه فإذا تمكّن المحاجج من إتباع هذه الأدبيات والمبادئ الأساسية لمجال الحجاج، في أثناء مشاركته بإحدى الحلقات الحوارية فإنه يُعدّ من المحاججين المقنعين بالفعل، نذكر منها:

- **سُمو الأخلاق:** يقف المتكلم من المستمع الخاص والكوني موقف القائد أو الرائد، يَهْدِي إلى الحق ويُبصِرُ بالخير ويَحذِرُ من الهلاك والغفلة، ويُشجِع على أفعال ويدعو إلى الطّاعة، فإذا كان يتصف بحسن السّيرة أثر كلامه في سامعيه، لأن حسن سُمعته تأتي كمقدمة للاقتناع بكلامه، إذ الصفات الخلقية العالية تبعث على

تصديق حجج المتكلم وتفنيد حُجج خصمه بأدب رفيع¹. يقول (بيرومان): «إنَّ حجاجاً ناجعاً هو الذي ينجح في مضاعفة كثافة التصديق هذه على نحو يثير عند السامعين الفعل المتوخى (فعل ايجابي أو الامتناع)، أو على الأقل، أن يخلق لديهم الاستعداد للقيام بالفعل، الذي سيتجلى في اللحظة الملائمة»²، فمضاعفة كثافة التصديق تتجلى في الخطاب في صورة المتكلم وأخلاقه، فأخلاق المتكلم تدفع نحو تأييد خطابه والعمل بما جاء به، فحين يكون المتكلم أهلاً للثقة وذا أخلاق رفيعة يتجلى ذلك في الخطاب بقوة ونقصد هنا الإقناع بواسطة الإيتوس، لأننا بطبيعتنا نمنح ثقتنا للصادق الأمين، حينها يكون الحجاج بالتي هي أحسن ولنا خير مثال عن ذلك، مواقف نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في نشر دعوته مع الكفار، باعتباره هو المتكلم بالخطاب القرآني كما أمره ربه فقد كان متخلقا على أتم وجه رغم سوء معاملة المشركين له، وذلك صريح في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران [159]، فالله -عز وجل- يحدثنا في هذه الآية عن صفات نبينا -صلى الله عليه وسلم- وهو الأسوة والقدرة الممتلئ بالرحمة ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب³. وقد وصفه الله تعالى بأعظم وصفٍ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم [4].

-مراعاة نوع الخطاب: أنواع الخطاب ثلاثة عند (أرسطو) تتناسب مع السامعين، لأن كل خطاب يتألف من ثلاثة عناصر: المتكلم، الموضوع، السامع، والذي يستهدفه الخطاب، هذا الأخير ينقسم إلى ثلاثة أنواع: الخطاب المشوري (السياسة): وهو

¹ -ينظر: فن الخطابة، أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر، د.ط، 1938، ص34.

² -محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 59.

³ - ينظر: عمر سليمان عبد الله الأشقر، المعاني الحسان في تفسير القرآن، مج1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ج4، ط1، 2015، ص 567.

خطاب يحمل في مضمونه حُضٌّ على فكرة أو نهْيٍ عنها، والزمن المناسب له هو الزمن المستقبل، غايته بيان النافع والضار¹، وتمثيلاً لذلك قال تعالى نهياً عن الشرك

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ الحج [73]، لبيان هلاك المشركين بالله تعالى. أمّا الخطاب المشاجري (القضائية) وفي فحواه اتهام أو دفاع ويتعلق بالزمن الماضي وغايته تتمثل في إظهار العدل أو الظلم²، وتمثيلاً لذلك قول تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) ﴾ الأعراف [176]، تظهر الآية مدى ظلم المشركين لأنفسهم. وأمّا الخطاب البرهاني (الحفلي) فيأتي على شكل مدح أو ذم كل الأزمنة تناسبه وغايته وصف الشريف والخسيس³، كما جاء في قوله تعالى عن نفسه: ﴿ اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ النور [35].

إنّ الهدف من التنوع بين القضائي والاستشاري والمدح أو إن مراعاة هذه الأنواع الخطابية في العملية الحجاجية كان لغرض-حسب فهمنا-تكتيف وإثراء دلالة الأمثال وربطها بالسياق، وإضفاء روح التفاعل في السامع، ما يجعل من خطاب المثل القرآني خطاب مرن يصلح لكل زمان ومكان، كذلك يظهر الهدف من التنوع المساهمة في الإقناع، وبيان غرض الموضوع بشكل واضح: نهيا، دفاعا، مدحا، فَيُفْهَمُ المعنى المقصود من المثل القرآني، إلا أنّ (بيرولمان) لم يلتزم بهذه الأنواع بل جعل الخطاب الحجاجي شاملاً لكل الخطابات اليومية وحتى الخطاب الداخلي مع النفس.

¹ -ينظر: أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، (سلسلة الكتب المترجمة 14)، 1980، ص ص 36-38.

² -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-الكفاية الثقافية: إنّ الخطابات (المثل) تختلف أنواعها وموضوعاتها في حاجتها إلى ثقافة المتكلم، وفي نوعها، كذلك يختلف القدر المطلوب منها بحسب السامعين فكل جمهور مستوى ثقافي يناسبه، فالخطب المشورية والتشاجرية، تحتاج إلى قدر من المستوى العلمي أكثر مما تتطلب الخطب البرهانية. لذا، على المتكلم أن يُلمّ بنظم الحكم وأصول الأخلاق وأنواع الأدلة وما تقتضيه أحوال المجتمع آنذاك¹ والمتكلم في جميع تلك الأنواع محتاج إلى أن يكون مزودا بقسط من المستوى العملي والثقافي ليضيف إلى معارف السامع جديدا ويقيم الموضوع الذي يقدمه فيسترعى الانتباه ويبيّن الغاية من الخطاب. وفي القرآن الكريم يخاطبنا الله -عزّ وجلّ- بشتى أنواع الخطابات الإقناعية وصولاً بالقلوب إلى الهداية وبالعقول إلى الاقتناع، مراعيًا المستويات العقلية والعاطفية، فأقام الحجّة على السامعين بحسب اختلافاتهم الفكرية وبحسب عاداتهم وتربيتهم، على سبيل المثال:

الأمثال القرآنية التي نزلت إثر موقف سياسي أو في حالة سياسية* لها علاقة بالعقيدة ثقافتها تختلف عن الثقافات الموجودة في الآيات الأخرى، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة [17]

في هذه الآية اتخذ من دلالة النّار كثقافة مناسبة للسامع المنافق؛ لأنّ ذلك المجتمع تقوم حياته على عملية استوقاد النّار فهي عملية محورية في حياتهم لما لها من

1 - ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، مرجع سابق، ص 19.

* أن قوما تكلموا بالإسلام لكن لم يعطوه ولاءهم ولاء حاسما للإسلام وللكيان السياسي والعقدي الذي يمثله، بل تنذبوا في الولاء وكانوا ينتصرون لأقوامهم الكافرين مزعزين للكيان الإسلامي، ينظر: آيات في السياسة، مدحت القسراوي

<https://ar.islamway.net/article/49261/%D8%A2%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9>

وظيفية أساسية من طهي ودفء وسهر وضوء وغيرها، أما الأمثال القرآنية التي تدافع عن أفكار ومعتقدات الشريعة وفي الآن ذاته تدحض معتقدات المشركين لها مستوى فكري مختلف عن الآية السابقة يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ العنكبوت [41]، ويتضح لنا أنه اتخذ من الحشرات المعروفة لديهم (العنكبوت) ثقافة ملائمة لهؤلاء، وظّف الله تعالى هذه الحشرة للدلالة على حالة المشرك، فهو العالم بما في نفوسهم وعقولهم. أما الأمثال التي تهتم بأمور المدح والثناء لها كذلك مستوى ثقافتها الذي يختلف عن النوعين السابقين كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ إبراهيم [24]، مُتَّخِذًا من عالم الطبيعة (الشجرة) ثقافة للدلالة على كلمة التوحيد، ولم يكن هذا اختيارا اعتباطيا (النار، العنكبوت، الشجرة..). بل جاء مقصودا من الله تعالى ليرد على السامع بما يراه في الواقع ويدركه، ويجعله على بينة ويُفهمه حقيقة الموضوع ليحقق الخضوع والاستسلام لدعوة الله تعالى.

معنى هذا أن؛ لكل مثل قرآني ثقافة معلومة لدى السامع الخاص والكوني من حيث عاداته وتربيته، وعناصره التصويرية مأخوذة من محيطهم وعالمهم، الأمر الذي يجعلهم على بينة وهذا ما يسمى بالكفاية الثقافية التي تهتم بالمرجعيات الثقافية للسامع بنوعيه، فهي مجموعة من المعلومات والمعارف والعلوم التي يملكها المتكلم فيستعملها استعمالا وظيفيا في الخطاب أو المثل، مراعى الجانب السوسيو-ثقافي للسامع، كذلك تهتم بالوضع الثقافي لذلك المجتمع، والثقافة أنواع؛ دينية، تاريخية، علمية... وفكرة الكفاية الثقافية تتدرج ضمن الإقناع بواسطة القوة المعرفية للإيتوس.

- **الوعي المبكر:** الوعي المبكر لدى المحاجج بالتصورات والأفكار الحاصلة لدى سامعيه، والتي عليها يمكن أن تتأسس ردود أفعالهم السلبية المعارضة لمقدماته هو شخصا، فبهذا الوعي المبكر سيسبقهم ويفاجئهم بطرح هذه الأفكار، في سياق جديد

يحيكه بكفاءته، وذلك لكي يجعلهم يعملون طاقاتهم التأويلية في التساؤل عن مدى مصداقية الأنساق الحاضرة لتصوراتهم السابقة¹، مثل حال الكفار والمنافقين حين أنزلت آيات قرآنية تخاطبهم عن صفاتهم ومصيرهم، ما جعلهم يترددون بين الإيمان والكفر.

وهذه العملية تبرز مدى كفاءة المحاجج ومنهجه في بناء خطفه الخطابية لذا، فإن المحاجج إذا أحس بأن السامعين يسلمون سلفاً بفكرة أو بعنصر ما يرمي إليه، فإن عليه إبراز هذا العنصر وتدعيمه بكل ما يعضده ويجعله حاضراً في المقدمة ويزيد من أهميته².

إذن؛ الوعي المبكر أو الوعي المسبق ضروري للمتكلم، فهو يبيّن تصورات ورؤود المستمع مسبقاً حول تلك المواضيع التي هي محل نقاش وحجاج والاهتمام به يحقق الوصول إلى مستوى فهم السّامع وإقناعه ودحض حججه ومن ثم، إبعاد ما كان في ذهنه وإحلال ما يريد المتكلم مكانه، وبالتالي الحصول على النتائج المرجوة، أيضاً يسهم الوعي المسبق في تحفيز البنية التأويلية لدي السّامع والتساؤل عن مدى مصداقية تصوراته السابقة. هذا من جهة المتكلم عموماً، أمّا من جهة المتكلم في الخطاب القرآني نجد آيات تدل على الكمال المطلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى بكل شيء أي، تتعدى فكرة الوعي المسبق، لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق والعالم بعباده، يعلم كل صغيرة وكبيرة في الكون وهذا جليّ في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) ﴾ النور [35].

- الاهتمام بوعي ونفسية السّامع: بمعنى التركيز على الأفكار المهيمنة والتصورات الراسخة عند السّامع، وذلك بشرحها وإطنابها مع الإلحاح عليها وعلى ما يكملها من

¹ - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، مرجع نفسه، ص 114.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أفكار، فالمحاجج قد يتخذها مَعْبَرًا إلى أبنية أخرى، والموضوع المطرق إليه يمثل مشغلا معيناً لدى السّامع¹، ما دام هدف المتكلم أن يتغلغل في نفوس سامعيه معتمداً في ذلك على إثارة عواطفهم وانفعالاتهم.

فالمتكلم قبل أن يحاور يكون قد أنشأ عن المستمع الواقعي تمثيلاً ذهنياً وصورة متخيلة انطلاقاً من معطيات سياقية تخص المستمع الواقعي²، وهذا واضح في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (74) النمل [74]. لأنّ تأسيس النفوس هو المقدمة الطبيعية للسلوك السوي، فالجوارح تنقاد من الداخل البشري ولا يمكن أن تنقاد من الخارج لأنّه أشبه بالإكراه³. المعنى؛ أن يستعين المتكلم بالتنوع والتنقل في موضوعاته بين الصوّر الكلاميّة والأشكال الأسلوبية كل حسب الأهواء* والانطباع والأخلاق الخاصة بالسّامع، لأنّ الانفعالات تختلف بحسب الموضوع من سكينه وحزن وتختلف فيما يثيرها؛ فعواطف المؤمن يثيرها ما لا يثير عواطف الكافر والمنافق فبعضهم حساس بالأخلاق الفضيلة، وبعضهم الآخر بما يرتبط بالآخرة وبعضهم فيما يتصل بالدين أو بالصنم كآلهة وغيرها، على سبيل المثال: خطاب المؤمن يختلف عن خطاب الكافر كما نرى في مخاطبة المؤمن في موضوع الجنة قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

² - ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، مرجع سابق، ص 285.

³ - ينظر: جواد بحر الننتشة، عالم الأنفس حركة العلاقة بين النفس والقلب والسلوك، فلسطين مطبعة بابل الفنية، ط1، 2006، ص 19.

* نلاحظ أن بيرولمان فصل بين الأهواء حيث أشار من جهة إلى أهواء بمعناها السّلبية المرفوض وإلى أهواء بمعناها الإيجاب المقبول المتمثل في القيم، لأنّه اعتبر القيمة مفهوماً أقلّ عرضة للقدح من مفهوم الهوى وقابلاً للانصهار في النظرية الحجاجية.

آسِن¹، وفي مخاطبة اليهود والمنافقين فيما يخص الأخلاق والمعاملات قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ الحشر [16]

حيث تعمل هذه الآيات على إقناع السامع والتأثير فيه بما يثير الرغبة والإحساس لديه، فالمؤمن تثيره عواطف الرضا والاستسلام والسكينة، فكان حضور صورة الأنهار ملائمة لتلك العواطف، في حين أنّ الكافر تناسبه صورة الشيطان فهي التي تثير عواطف الرهبة والخوف.

إذاً، فالانطلاق من أهواء السامعين هو العامل الأساسي لتقديم الخطاب والإقناع به فهم يُدفعون بواسطة هذا الخطاب إلى الإحساس بانفعال الرغبة والرهبة. وعليه، فإنّ السامع في خطاب المثل القرآني من طبقات مختلفة والمثل القرآني خطاب كوني لا يخص ثقافة بعينها أو سامع بذاته، فقد جاء منطلقاً من الانفعالات المحركة للبشرية جميعاً ولها حيز خاص في العقول، ومن الأفكار المسيطرة عليه والتي تمثل موضوع تفكير لديه، لأننا لا نُصدر أحكامنا على نفس الشاكلة بحسب ما إذا كنّا مؤمنين أو كافرين، ونلاحظ أن المثل القرآني يحوي المؤثرات النفسية والانفعالية ليصل من أقرب الطرق إلى إقناع السامعين.

-**السامع صنيعة المتكلم/ المحاج:** انطلاقاً من مراعاة نفسية ووعي السامع، ينبغي التنبيه هنا، أن أهواء السامع وانفعالاته مقولة حجاجية وليس مفهوماً سيكولوجياً باعتبارها من وسائل الإقناع²، وذلك من خلال؛ العمل على التشارك في المواقف المضمرّة، إنشاء السامع وصناعته حضورياً أو افتراضياً والذي يتمثل في صورة جماعية تختزل السامع وترسم هيئته، إظهار السامع أحياناً في علامات لفظية ظاهرة؛ تسميات صفات، لعبة ضمائر الخطاب وأحياناً أخرى يتجلى في المعتقدات

¹-سوره محمد، الآية 15.

² - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 258.

والقيم، ويعمل المتكلم على اقتراح صورة خاصة يدعو السامع من خلالها إلى التوافق معها والإيمان بها¹. ولكن في الخطاب القرآني يعدّ المتكلم هو الله - سبحانه - فهو بكل شيء عليم قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ البقرة [235] وأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - مبلغ الرسالة فقد كان يمتلك معرفة بأبعاد السياق الاجتماعي والنفسي للمخاطبين ما جعل خطاب المثل القرآني يحمل قدرة خطابية حجاجية وقدرة إقناعية تختلف عن الحجاجية الجاهلية. ولمعرفة شيء عن هذا المبدأ، سنقف عند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15)﴾ الحشر [15]، فقد جاءت الآية تبين أهواء السامع الخاص وتوضح صفته في موضوع نقض العهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث تبين الآية صفة السامع المنافق وتحدد شخصيته بتوظيف علامات لفظية ظاهرة؛ مثلاً: ذاقوا؛ وبال، عذاب أليم. فخضوع السامع لهذه الأهواء وتصديق خطاب المثل، يقوم على قبوله للأسباب الداعية إليها والتي تخضع لموافقة مبادئه لكون السامع هو المهماز والمحرض على إنشاء خطاب المثل، فالمثل يُبين معالمه ويُقيم صفاته باستعمال الأهواء التي تثير انفعالاته المستمدة من معايير وقيم ومعتقدات مضمرة، فخطاب المثل يُترجم الصورة التي عليها السامع كما يراها الله تعالى ولا ننسى أن الصورة التي عليها حال العباد تختلف باختلاف المواقف والسياقات.

- **الاعتماد على المجال الحسي:** وهو أن ينطلق المتكلم من العالم الحسي المؤلف للسامع فيعمد إلى ما يكثر دورانه على العيون وتدرّكه الحواس في أغلب الأوقات لأنّ العيون هي التي تحفظ صورة الأشياء على النفوس، وأنّ يأخذ المتكلم بعين

¹ - ينظر: علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، سكيلاني للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص29.

الاعتبار الآثار النفسية للتصوير والتخيل¹، بمعنى، أن الخطاب الحجاجي حتى يكتمل مبناه ومعناه على المتكلم أن يستعين بالمحسوسات والماديات التي لها حضور في التصورات الذهنية للسامع، والاعتماد على ما هو في متناول إدراكهم كالمجال الاجتماعي أو الحيواني أو للزراعي أو للتجاري أو غيرها، أو أن تكون مستمدة من مقوماتهم الثقافية، ليتسنى له فهم دقائق الخطاب، على سبيل التمثيل:

قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [122] الأنعام [122]

تصور لنا هذه الآية حقيقة المؤمن والكافر تصويرا لا يبعد عن الواقع الحسي للسامع الخاص والكوني على السواء

حيث شبه المؤمن بالحي والكافر بالميت، وهذه الظواهر أو الصفات هي تصورات تهز خيالاتهم وتحرك نفوسهم، وتدخل النفس لمشاهدات حالة غريبة لم تكن من قبل لتكشف عن القوة الحجاجية والمقصد الحجاجي، أن المؤمن حي بالدلائل والمعارف القرآنية وأن الكافر بمثابة الميت لجهله بآيات القرآن الكريم.

-التفاعلية بين المتكلم والسامع: فالحوار الذي يتم فيه تبادل جاد من الحجج، مع مراعاة لأراء ومواقف الطرف الآخر باحترام المسلمات والبعد عن التناقض بطريقة مقبولة، يؤدي إلى نتائج جيدة وحاسمة²، كذلك تتمثل التفاعلية في حصول ضرب من النشاط والالتقاء الثقافي بين المتكلم والسامع، وهو ما ينتج عنه منح أهمية معتبرة للظروف النفسية والاجتماعية³، والتفاعل في القرآن الكريم يتجلى في الأساليب الإنشائية، يوضح ذلك (عبد الله صولة) مؤكدا أن القرآن الكريم يحوي الكلمات ذات

¹ - ينظر: حسن المودن، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مرجع سابق، ص ص 307 - 308.

² - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 119.

³ - ينظر: علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال، مرجع سابق، ص 16.

المحتوى التقويمي مثل حسن/ سيئ، طيب/ قبيح، وهذه الكلمات هي في الظاهر ترجمة لمفوض من قبيل استحسن أو استهجن، وهو موقف يقدمه المتكلم في خضم التفاعل بينه وبين أطراف التخاطب الأخرى، وهو توجيه الطرف المقابل إلى فعل ما وعمل ما، كنتيجة حتمية¹، وهذا ما لاحظناه في أغلب الأمثال القرآنية التي تحوي أساليب إنشائية، منها قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)﴾ النحل [75]، فمحل أسلوب الاستفهام في هذا المثل هو تحقيق التأثير والتفاعل والحركية بين الأطراف التواصلية، ما يمنح للمثل المرونة والاستمرارية في كل زمان ومكان.

ومما سبق، فإنّ الفعالية بين المتكلم والسّامع تكمن في مراعاة أساسيات ومبادئ المحاجة وأسس الإقناع، فالمحاجج المقنع هو الذي يوظف الصورة الملائمة للمستمع فيعرف كيف يختار المنطلقات والأساليب والحجج الكفيلة لنقل المعاني وإقناع السّامع بالتغيير.

وإجمالاً، يمكن القول إنّ: الأدبيات الحجاجية تساعد المتكلم على الإلمام بمختلف الآراء ومعرفة خلفيّة السّامع وتشكيلته النفسية والاجتماعية استعداداً للمحاجة وتقويم الوعي وبهذه الأدبيات التي يلجأ إليها المتكلم يُكسب خطابه المعقولة والمصدقية والقبول، فهي تلعب دور المحرك الفعّال في ذلك، وهذا، من العوامل التي تجعل من المتكلم مؤثراً ناجحاً فيعتمد على الأخلاق لتغيير السلوك، ويهتم بالجانب الفكري والنفسي للسّامع للحصول على التأييد، ويعتمد على الجانب الحسي للحصول على ردّ فعل، لأنّ عملية الإقناع تنشأ من خلال تكامل تلك الأدبيات شيئاً فشيئاً مع

¹ -ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 324-325.

العناصر التواصلية ولأن المتكلم لم يتكلم عبثاً ومن دون قصد، بل النقط المعطيات السياقية والنفسية والاجتماعية والثقافية الخاصة بالواقع المادي للسامع وصاغها في قالب لغوي واضح قصداً للتغيير، والمتأمل في هذا العنصر يُدرك سيادة صورة المستمع (الباطوس) عند المتكلم (الإيتوس) وأفعاله لبناء الخطاب، لأن السامع في العملية الحجاجية له مكانة علياً فهو حيز الزاوية فنظرية (بيلمان) قائمة على المستمع الخاص والمستمع الكوني وهو من يصنع الخطاب، فتظهر صورته في النسق الخطابي، ومن ثمة، على المتكلم أن يكون على دراية بالحالة البسيكولوجية للمستمع من جانبها الحجاجي.

وبناء على ما أومأنا إليه، يتسنى لنا تأويل الموقف التواصلية للخطاب (المثل القرآني) والكشف عن حجج المتكلم، ونوع الانفعال والعاطفة الخاصة بالمستمع، ونوعية الاستجابة للدعوة تصديقا أو تكذيبا.

2- المنطلقات الحجاجية وفعاليتها الإقناعية

لمّا كانت الأدبيات تقف على صفات المتكلم (الإيتوس) والسامع (أهواء الباطوس) لحدوث التأثير في الرأي فإن إنتاج الفعل و التحكم في الإرادة يقتضيان الاستعانة بالمنطلقات الحجاجية لبناء خطاب حجاجي إقناعي. وعليه، فالخطاب الحجاجي حتى يستوي مظهرا وجوهرا وحتى يحصل الإقناع والاقتراع في التواصل كان لزاما على المتكلم أن ينطلق من مسلمات يقبل ويسلم بها السامع وهي مُنطَلَقُ الحجاج تسمى "المقدمات"، واختيار تلك المقدمات يشكل لنا منهجية حجاجية لها قيمة عظيمة لتحقيق المقصود من التخاطب، وهي بمثابة نقطة استدلال في الخطاب ومن هذه المنطلقات؛ الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، الهرميات، المواضع. وسنصل القول في كل منطلق من هذه المنطلقات في بُدِّ على حدة وسنرى لكل منطلق حده وفعاليتها، من خلال تحليل نماذج من المثل القرآني:

أ- المنطلقات الحجاجية:

***الوقائع (les faits):** تقوم الوقائع بدور ناجح في بناء الخطاب بوصفها:

- أول منطلق ينطلق منه المتكلم للدفاع عن فكرته.
- هي كل مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس.
- الوقائع غير قابلة للدحض فهي محل يقين وتصديق.
- الوقائع تتعلق بالمقام و مطابقة للواقع.
- الوقائع تقتضي إجماعاً كونياً والتسليم بها من قبل السّامع ليس إلا تجاوباً منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق¹.
- بمعنى؛ أن الوقائع عبارة عن حوادث تاريخية مشتركة لها مقام خاص ووصف ثابت لا يتغير على مرّ الزمن أي؛ هناك واقعة وقعت بالفعل نتيجة تفاعل المتكلم والسّامع والزمان والمكان.

ونجد في القرآن الكريم نزول مجموعة آيات عقب واقعة أو سؤال*، وأصبحت تلك الآيات مرتبطة بأسباب النزول بحسب الظروف والمناسبات الخاصة والمحددة، فالنص القرآني اقترن بطائفة من الوقائع التاريخية والأسباب، وتم التعامل معها على أنها خلفيات سياقية حيوية بالنسبة إلى من يريد فهمه وتفسير معناه². مثلاً: واقع النفاق؛ بعد عودة الرسول-عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة ظهر النفاق فيها، فنزلت سور وآيات حول ذلك الواقع، يوضح لنا (ابن كثير) ذلك أنه لما قدم الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وأسلم من أسلم ولما كانت واقعة بدر العظمى وأظهر الله

¹ - ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص24، وينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 111.

* وقولنا أن في القرآن مجموعة من آيات نزلت عقب واقعة يقتضي أن هناك وجود مجموعة أخرى غير مقترنة بالأسباب والوقائع.

² - ينظر: محمد الحيرش، النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ظل التأويلية المعاصرة، تقديم: عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، ط1، 2013، ص 194.

كلمته وأعلى الإسلام وأهله أظهرت طائفة ممن معه الدخول للإسلام وإخفاء الكفر¹ وانطلاقاً من ذلك السياق أنزل الله تعالى قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)﴾ البقرة [17] نلاحظ أن الآية جاءت واصفة ومطابقة لواقعهم الذي يعيشونه تماماً، وهذا الحاصل الاعتقادي تكاد تشترك فيه جُل الديانات لذلك يسهل على من يتلقاه أمر استساغته لأنه مشهور راسخ، وبذلك تظهر صورة المنافق تحمل صورة الزائل متصلاً بمراتب الذل.

*الحقائق (réalités): تمثل الحقائق موضوعات متفق عليها ومن ثمة:

- يقوم المتكلم بالربط بينها وبين الوقائع ليمنح حجاجه بداية قوية نافذة.

- تتأسس على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية

- يعمد المتكلم إلى الربط بين الوقائع والحقائق ليحدث موافقة السامع الخاص والكوني على واقعة معينة غير معلومة².

يقدم (د. عبد الله صولة) شرحاً وافياً لذلك: كأن يضاف التيقن والتسليم بالواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشاء التيقن والتسليم من (ب)، ومعنى ذلك أن التسليم بالواقعة (أ) وبالنظرية (س) يعني التسليم ب(ب)³.

يقودنا هذا الاستعراض إلى نتيجة مفادها أن: الحقيقة هي شيء مثبت وصحيح ومسلم بها ومقبولة لدى الجميع، والتي يجب علينا حفظها والدفاع عنها، تبنى على نظريات علمية، دينية، اجتماعية وغيرها، ولنا في المثل القرآني كشف ومعالجة للكثير من الحقائق. ولو عدنا للمثال السابق وتأملنا فيه لأدركنا الحقيقة التي يعالجها وهي حقيقة خطر المنافقين على الأمة الإسلامية، أيضاً على سبيل المثال قوله

¹ - ينظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: عادل بن يوسف العزازي، ط 1، 2017، ص 329.

² - ينظر: محمد سالم محمد الطلبة، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 111-112.

³ - ينظر: عبد الله صولة، في نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 24-25.

تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ آل عمران [117]، فالحقيقة التي تم معالجتها في هذا المثل هي حقيقة جزاء إنفاق الكافر من أمواله ومن غنائمه للصدّ عن طريق الحق والشرك بآيات الله. فكان كل من كفر بآيات الله مصيره الخزي في الدارين، وهذه هي الحقيقة التي يريد الله سبحانه وتعالى أن يحمل السامعين على التصديق والإيمان به؛ لأنّ التيقن والتسليم بالواقعة (كل من كفر مأواه النار) إلى النظرية (ريح باردة أصابت الحرث) لإنشاء التيقن والتسليم من أن (الإنفاق من أجل الشرك نتيجته الحرق)، ومعنى ذلك أن التسليم بالواقعة وبالنظرية يعني التسليم بهلاك الكافرين.

***الافتراضات (les présomptions):** تمثل الافتراضات مسارا مهما في بناء الخطاب حيث:

-تسوق الافتراضات إلى الاتفاق المسبق، غير أنها أقل حجاجية من الوقائع والحقائق؛ فبرغم من أنها قد تحضى بالموافقة العامة، إلا أن التصديق والتسليم بها ليس بقوة الوقائع والحقائق، ولذلك يجب أن تكون مدعمة بحجج أخرى لتقوي طاقتها الحجاجية¹

-تحدد بالقياس إلى المحتمل والعادي لأنها تقاس بالعادي، والعادي المجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانات الفردية والجماعية
-تكون موافقة عامة، إلا أن التسليم بها يستمد من عناصر أخرى في المسار الحجاجي.

-ليست ثابتة، بل متغيرة بتغير الوسائط والمقام والمتكلم والسامعين².

¹ - ينظر: رضوان بليبط، أساليب الحجاج والإقناع من البلاغة اليونانية إلى البلاغة العربية المعاصرة، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن- إربد، 2023، ص 82.

² - ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، كنوز للمعرفة، ط1، 2016، ص 162.

ويمكن القول إن: الافتراضات هي التقدير الافتراضي الذي من شأنه أن يمنح الخطاب أسباب تقدمه ودليل حركته¹، واحتمال ينطلق منه المتكلم لإثبات قضية معينة أو هو عبارة عن مسلمات يمكن الاعتماد عليها لتفسير العلاقة بين المتخاطبين والحصول على النتائج وتنتقل من انتماء السامع لبنية مجتمعية ما، ثم إنها متغيرة تبعاً للوسط الخطابي لأنها تقاس بالعادي، والافتراض أسلوب من أساليب القرآن الكريم يظهر في الأمثال في صورة تصويرية يؤتى بها من بنية الواقع، من حادث حصل ليثبت قضية ما كما جاء في الآية الكريمة قال تعالى في تبيان جزاء الكافر والمؤمن: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود [24]، فواقع الناس منقسم إلى فريقين؛ فريق مؤمن مؤيد لدعوة الرسول-صلى الله عليه وسلم- وفريق كافر رافض لدعوته-صلى الله عليه وسلم- وهذا التصوير جاء ليثبت ويعالج قضية وجوب توحيد الله وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له، فحال الكافر نحو الله -عز وجل- كالأعمى والأصم في عدم الانتفاع بنعم الله تعالى، وحال المؤمن كحال البصير السميع المدرك لكل المنافع بإذن الله تعالى، فيبدو أن المثل جاء ولو بشكل غير صريح رداً على رأي آخر حيث يقوم المثل على علاقة يقرها المتكلم بين موضوع الخطاب (جزاء الكافر والمؤمن) والسامع (المشركين) وهكذا فإن هناك احتمال بموضوع السامع هو:

- ليس من المنطق أن يتساوى الأعمى والأصم والبصير والسميع والأمر ذاته مع المؤمن والكافر.

- أن فطرة الإنسان هي الإيمان ووظيفة هي العبودية لله واجتتاب الشرك والكفر.

¹ - ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة بحث في الإشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ط1، ص102.

وهذه هي الملامح التي يضمها مقام المثل وسياقه وهو يمس موضوع الإيمان فهو بذلك يمس عقول الجمهور الخاص والجمهور العام.

***القيم (les valeurs):** يرى (بيرولمان) أن القيم تكون أمام تراتبية بين شيئين فيكون أحد الشيين أرفع من شيء آخر أو أخط منه حيث يحكم على شيء بأنه أرفع ويجب تبعاً لذلك أن يخص بالتفصيل¹، فقد كان مسعاه في تجديد البلاغة، بناء منطق للقيم وأحكامها وهو ما يطالعنا به في نصه هذا يقول: «إن هذا المشروع الرامي لإعادة الاعتبار إلى البلاغة هو فن استعمالات القيم وكيفية الاستفادة منها في الحياة الاجتماعية»²، بمعنى؛ تحقيق أهداف تداولية محكومة بالقيم الإنسانية وتعاليم عالية وللقيم دور بارز في الحجاج فهي:

- أساس الإقناع؛ لأنها تحمل السامع على القيام باختيارات معينة بدل أخرى وخصوصاً من أجل تبرير تلك الاختيارات بشكل يجعلها مقبولة مؤيدة من قبل الآخرين.

- تحقق القيم الأهداف اعتماداً على شحنتها التقييمية³.

- تستطيع القيم تشكيل الحقيقة المطلوبة فهي التي يعول عليها المتكلم لجعل السامع يذعن لما يطرح عليه من الآراء والقيم نوعان؛ قيم محسوسة كالوطن والقيم المجردة من قبيل العدل والحق⁴، والصدق والأمانة والتقوى والاستقامة...

- تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته

الاجتماعية وقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتخذها هادياً ومرشداً⁵.

¹ - ينظر: كمال الزماني، حجاجية القيم في خطبة الوداع، مجلة أبولويس، مجل 6، ع1، 2019 جامعة القاضي عياض، مراكش- المغرب، ص81.

² - شامب بيرولمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار الطاهر، مرجع سابق، ص 8.

³ - ينظر: كمال الزماني، حجاجية القيم في خطبة الوداع، مرجع سابق، ص 82.

⁴ - ينظر: عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص26.

والقيم في الأمثال القرآنية تدعونا إلى الإيمان بوحداية الله وبما أنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد جاءت بالمبادئ الفاضلة، والأخلاق الطيبة والمثل العليا التي نزل بها الوحي لبناء العلاقة بين الإنسان وغيره وخالقه، وكدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة [261])

فالإنفاق في الأعمال الصالحة، والقيمة الظاهرة هنا هي الإخلاص لوجه الله وهي قيمة دينية والقيم الدينية سلوكيات نتبناها وفقا للدين والعقيدة.

إننا نلجأ إلى القيم في تواصلنا وتخطبنا، لكي نحقق الإقناع ونحمل السامع على القيام بالفعل المطلوب، لأن القيم هي مركزية الحياة، كذلك هي قواعد حجاجية ثابتة متفق عليها وواضحة بشكل يجعلها غير قابلة للنقاش فبالقيم نستطيع أن نختار ونقرر الصفات التي تعيننا على معرفة ونشر الحق والباطل، الخير والشر، النور...

*الهرميات (les hiérarchies): تلعب الهرميات دورا كبيرا في عملية الإقناع

حيث إن:

-حضور هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها، وتكون درجة التسليم بها مختلف من جمهور لآخر وهو ما يثبت القيم درجات، فالشيء الذي يميز كل سامع ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها¹.

فكرة الهرمية موجودة في القرآن الكريم خاصة في المثل لأنها قوتها تفوق القوة الحجاجية للقيم نفسها، بحيث توجه السامع الخاص والكوني توجيهها مقصودا نحو خدمة قيم معينة وترك أخرى، ويذهب بنا (محمد الطاهر ابن عاشور) موضحا التراتبية تحت اسم العطف يقول: «عطف مثل الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله

⁵ -ينظر: كمال الزماني، حجاجية القيم في خطبة الوداع، مرجع سابق، ص 81.

¹ - ينظر: عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 26.

على مثل الذي ينفق ماله رثاء الناس لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البون وتأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص»¹، مثلا: قال تعالى عن الإنفاق ابتغاء لمرضاته لا غيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)﴾ البقرة [265]. وتتجلى الهرمية في تراتبية الصور التمثيلية للقيم حيث نلاحظ الآية القرآنية تحوي قيمتين؛ قيمة سلبية هي الصدقة الباطلة (الرياء) التي هي منشأ الجهل وقيمة ايجابية هي الصدقة الخالصة لوجه الله (البر) جاءت مرتبة بهذا الشكل -من الرديء إلى المترفع- لإحداث أو لضمان نقلة من السامع بهدم القيمة السائدة في ذلك الزمن وبناء القيمة المفروضة علينا فالله يضعنا أمام ظاهرة منتشرة ثم يدعونا إلى ظاهرة منشودة ومن ثمة، يتم الرُّفْعُ من درجة تأييد السامع للصورة الذهنية المشكلة للقيمتين في ذهنه وتبيان الفارق بينهما لتقوده نحو المرغوب وترك الممنوع ويحصل الإقناع.

ونحن نعلم أن (بيرولمان) يقر بتراتبية القيم مركزا على طريقة ظهورها في الخطاب فتظهر بين أمرين أحدهما أرفع على الآخر، لبناء موازين الحياة الاجتماعية التداولية والأمر عينه في الآية السابقة، فكل منا قيم متسلسلة في ذهنه (أي هرمية معينة) حسب معرفته بدينه وثقافته ومجتمعه وسياسته وغيرها من الجوانب الحياتية والتي تسمح لنا باكتشاف وترتيب جوانب الحياة ومعرفة القرارات والاعتقادات النافعة و المفضلة.

¹ -ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، مرجع سابق، ص51.

*المواضع (les lieux): لا يقوم الحجاج على التأييد لوقائع وحقائق أو الافتراضات مسبقاً أو بقيم ومراتب هرمية فحسب، بل أن يكون قادراً على الاستناد إلى توافقات تتعلق باعتقادات وأقوال مرجعية عامة للغاية والتي يمثل استحضارها عنصراً كافياً لتوجيه خياراتنا وهي ما يعرف بالمواضع المعرفة أو الاعتقادات المفضلة¹، ويطلق عليه "الإيجاد" والمواضع مصطلح مركزي في الخطاب يتمثل في:

- المواضع عند بيرلمان بمثابة الخانات أو الأقسام التي تقع تحتها الحجج التي يلجأ إليها المتكلم كلما أراد التشريع لمطلبه من الخطاب لما فيها من صبغ استدلالية وهي الأقرب للإقناع مثلها مثل الأوتاد تشد الملفوظ إلى مرجعية لها سلطة دامغة تجعل من المتقبل يذعن ويسلم بما في الخطاب².

- المواضع تمثل رافداً للقيم وهرميتها لاستنادها إلى المشترك من التقاليد والمنظومات والأفكار والمبادئ بين أفراد الأمة الواحدة وهذا يجعلها ذات سلطة دامغة³.

المواضع عبارة عن مخازن للحجج ومستودعات يلجأ إليها المحادثة لبناء القيم وترتيبها وهي من الطرائق التي يستخدمها المتكلم طلباً للتصديق ولها دور في الدفع إلى الفعل فتجعل السامع يذعن ويسلم بما في الخطاب وهي أنواع: مواضع الكم، والكيف، والتركيب، والوجود، والجوهر.

إن الهدف من الاهتمام بالمواضع في الخطاب هو المعرفة الكاملة بالمنطق الذي يحكم البناء الخطابي للمواقف التي ينبغي بشكل مثالي أن تبرر عاطفة معينة ومدارها على مجموعة من الأسئلة كما عرضها (بلانتان) (من؟ ولماذا؟) ومثل

¹ - ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 99.

² - ينظر: حافظ إسماعيل علوي، الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، حقوق النشر والتوزيع محفوظة، ط1، 2011، ص 97.

³ - ينظر: كمال الزماني، حجاجية القيم في خطبة الوداع، مرجع سابق، ص 82.

ماذا؟¹، تستند المواضع على توافقات تتعلق بالاعتقادات وأقوال مرجعية عامة لبث أهواء معينة لدى السّامع، على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ الأعراف [176]، فالحدث أو الواقعة تتعلق بأمر الله لبني إسرائيل أن يتقبلوا ويعملوا بما هو منزل في أحكام التوارث باجتهاد منهم ويذكروا العهود والمواثيق والعمل بها، وبأسباب لا إنسانية كفروا بها فتبّعوا أهواء الشيطان فصاروا من الخاسرين والهالكين لمخالفته أمر ربهم وتباع طريق الشيطان، وبنظير لا إنساني مثلهم بالحمار إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

إذن؛ توظيف المواضع واختيار النوع الملائم لصياغته في الخطاب عموماً يكون من أجل حصول الإقناع.

إنّ هذه المقدمات باختلاف أنواعها ووظائفها تشكل الشروط الأساسية والتنظيمية لبناء المسار الحجاجي للخطاب الإقناعي فهي خاصة بالمتكلم عموماً ومتعلقة بالسّامع بشكل ضروري، وتبين وجهة نظر الله - عزّ وجل - وموقفه من الموضوع كاشفاً عن موقف السامع وردوده.

ب- فعالية المنطلقات الحجاجية:

لم يكتف (بييرلمان) بذكر المنطلقات الحجاجية فحسب، بل أضاف لها مراعاة المواقف التواصلية، فلا يكفي أن تكون للمتكلم مقدمات من قبيل ما ذكرناه حول حضور المنطلقات في العملية الحجاجية لوحدها، ما لم تتوج بالاختيار التفاعلي التداولي الجيد، فيقع هذا الاختيار على أساس نوعية السّامع والغرض الحجاجي؛ لأنّ هذا الاختيار هو الذي سيحدد ما هي العناصر التي يعرضها للسّامع ليمنحها حضوراً قوياً فتتصف المنطلقات بالفاعلية الحجاجية، لذا سعى إلى سن جملة من

¹ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 271-273.

الشروط يكون وصف الخطاب الحجاجي من دونها معدوما وهذه الشروط يمكن جمعها في النقاط التالية:

-الاعتماد على وسيلة الحضور، والحضور هو « ذلك العامل الذي يستدعي انتباه المستمعين وتركيزهم على جانب ما أو واقع ما»¹، ويتمثل ذلك في استحضر العنصر المنتقى للمحاجة وجعله ماثلا بين أعين المخاطبين². ما نعنيه أن في أثناء التجاج لا بد من إقامة صورة ذهنية أو تصوّر واضح المعالم يُبين القضية المطروحة، بحيث يكون لها تأثير على الذهن والوجدان من أجل أن تتحرك الإرادة وهذا لا يتأتى إلا بالاستناد على المشاعر والعواطف بالصور البلاغية والتشبيهات والمجازات والأساليب المتنوعة وغيرها.

- استخدام أشياء مادية من أجل التأثير وهو أيسر السبيل للإقناع والتأثير مثل: تلويح (أنتلوان) بثوب القيصر الملطخ بالدم في وجوه الرمان، وكان يُحضر أبناء المتهم أمام القضاة لاستدراج الشفقة³، والاعتماد على الأشياء المادية يدفع إلى جعل الموقف حيّ لأنه عبارة عن تحريض وبالتالي الحصول على قوة في المشاعر المساند للموقف.

- وجوب تأويل هذه المعطيات: المعطيات هي المصادقات والموافقات المتاحة للمتكلم التي يعمد عليها في حجاجه، ولأن الملفوظ الحجاجي مُعطى فهو يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات، لذا وجب على المتكلم أن يضيف إلى مجهوده في اختيار المعطيات الحجاجية مجهودا يبذله من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه والملائم، والسبيل إلى ذلك هو المقام فهو المسؤول عن توجيه الدلالة.

¹ -شاييم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 34.

² -ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ص 30-32.

³ -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-اختيار معطيات المحاجة وفقاً للمقام، أي: انتقاء النعوت والصفات على أساس نوعية السامع الخاص والكوني فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة التي اخترناها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع، ومن ثمة، فإن إطلاق صفة ما إنّما من قبيل المصادرة على المطلوب أي؛ التسليم بها¹، ويذهب (شاييم بيرلمان) إلى أن الحجاج: «يقوم في الأساس على اختيار معطى وقبل فحص الاستخدام الحجاجي لهذا المعطى، من الضروري إذن لفت الانتباه إلى الوظيفة التي يضطلع بها الانتقاء المسبق للعناصر التي ستشكل نقطة انطلاق الحجاج، والانتباه إلى ملائمة هذه العناصر لأهدافه»².

إنّ مراعاة المقام يعدّ نوعاً من الاتفاق الجماعي بين المحاججين، وكيفية التفاعل لأن استعمال الحجج يتطلب تقديمها في الخطاب أن يكون استنتاجها صحيحاً وخادماً للأهداف، جاء في قوله تعالى عن المشركين: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ الأعراف [176] على أن المقصد الحجاجي من إطلاق صفة الكلب ليس وضع الموصوف (المشركين) في خانة الحيوانات لتشاركهما نفس الصفات، أو الكشف عن موقف اتجاهه، وإنّما؛ المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة، وتحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه أو أن يعرف به.

ونلاحظ تغييب عنصر الأداء في فاعلية المنطلقات فمن دون الأداء الجيد الملائم للأهواء لا يتضح المراد أحياناً نبراً وأحياناً تنغيماً، فهو يساعد على خلق الأحاسيس ومضاعفتها وتأكيد الأطروحة في وعي السامع.

خلاصة القول: أنه لما كان للأدبيات الحجاجية دور فاعل في إظهار وإثبات مدى مصداقية المتكلم، وما تزيده من جدية للمتكلم، ولما كان أيضاً اختيار المنطلقات

¹ - ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 331.

وعرضها في الخطاب للسامع يستند على قيمتها ووظيفتها في العملية الحجاجية فإن اختيارها يمنح لتلك العناصر المنتقاة حضوراً قوياً في الذهن والعمل بالمطلوب، لذا، على المتكلم أن يختار من المنطلقات؛ الوقائع، والحقائق، القيم، الهرميات والمواضع ما يناسب السامع ويتلاءم مع السياق، وأنّ يقدّمها بالأسلوب الذي يؤدي للغاية، وعليه، فاختيار المعطيات هو في حدّ ذاته بعد حجاجي، والمثل القرآني قد مثّل هذه المبادئ بشكل يجعل كل من يقرؤه يفهم ويقنتع بأطروحاته ويعمل بأفكاره.

ثانياً: أنواع الحجج في الخطاب الحجاجي

تعدّ فكرة الحجّة النقطة الجوهرية في النظريات الحجاجية*، والحجة في الخطاب القرآني حجة متقنة ومحكمة وقاطعة. وكدليل على ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[الأنعام 149]، ويفسر لنا (وهبة الزحيلي) أن لله تعالى الحجّة الكاملة على ما أراد من إثبات الحقائق وإبطال الباطل بِالِغَةِ غَايَةَ الْمُقْصَدِ¹، أضف إلى ذلك، أن المطلوب منّا في هذه الآية أن نكون على دراية؛ قولاً وفكراً وعملاً بأن الحجّة البالغة تعود لله وحده.

فمن حكمة الله -عزّ وجلّ- أن أنزل آيات وسور تحمل حججا متنوعة وملائمة للسياق وظيفتها دعم الأطروحة والبرهنة على مصداقيتها وضمان انسجام أجزائها²، منها حجة المثل لأنّ المعارضة بين الخطاب القرآني وقريش كانت قائمة على التمثل أو ضرب المثل، ذلك أنّ «الحرب القائمة بين الطرفين قد اتخذت من الأمثال سلاحاً لذلك»³، إذ ضمّن القرآن بطريقته الحجاجية مع المخالفين الحجج الجدلية والبراهين العقلية والأقيسة المنطقية بأساليب خطابية تتناسب المستويات المختلفة والطبقات المتفاوتة⁴، إثباتاً للحقائق الإيمانية، والكونية والعلمية وغيرها؛ لأنّ التحديّ تحدّي عقلي فكري .

* - هناك عدّة أنماط لاستخراج الحجج منها؛ أنماطية (بيرولمان وتكا): استعملا فيها تصنيفا ذا ثلاثة مداخل، الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسّسة على الواقع، والحجج المؤسّسة للواقع، أنماطية (تولمين ريك وجانيك): تميز هذه الأنماطية بتسعة أنماط من الحجج بدون مستويات وسطى بينها، بالتماثل، بالتعميم، بالعلامة، بالسبب، بالسلطة، بالمأزق، بالتصنيف، بالمعارضات، بالدرجة. ثم أنماطية (فان إيمران وقروتندورست)، إنها أنماط قياسات مغالطة تعتمد نسقاً بعشر قواعد يقوم عليها النقاش وتحديده هذه القواعد العشرة عقد التواصل لحجاج معقلن، أي أداء دور البرهان الذي يتميز بالمنطق، ينظر: كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، 2008، ص ص 66-67.

¹ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج1، دار الفكر بدمشق، ط1، 2001، ص 623.

² - ينظر: أمينة الدهر، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 169.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 549.

⁴ - ينظر: آدم كاظم البروراي، المحاجة العقلية في برهنة حقائق القرآن، ص 24.

فجاء القرآن الكريم يتحداهم فأعجز أصحاب البلاغة، وأفقد الكهان صوابهم وأنساهم ما كانوا يتكلمون به من أنباء الغيب التي لا أساس لها، وأنقذ قرآء التاريخ من الخرافات والافتراءات والأكاذيب، وأرشدهم إلى أحداث الماضي ووقائع الكون النيرة¹ المعنى؛ أنه جاء بالحجج المتينة الحكيمة لرد على هؤلاء بحسب قدر السامع، ليتم بناء القيم والمعاني الإيمانية كالإيمان بالله وبالرسل، والمعاني الروحية كتحقيق التقوى، والمعاني الإسلامية كالتسامح والعدل.

وفق هذا المنظور يشتغل الحجاج على انتقاء مسبق للوقائع والقيم وعلى وصف لها بحجج خاصة تختلف بحسب الأهمية، وبحسب الهدف المراد تحقيقه. وعليه، صنف (بييرلمان وتتكا) في كتابهما "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة" أهم الطرائق الحجاجية التي تشمل مجموعة من أنواع الحجج وفي نظرها نوعين من الطرائق:

طرائق الاتصال (procèdes de liaison) وطرائق الانفصال (procèdes de dissociation)، فالمقصود بحجج الاتصال؛ الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءاً وفي الأصل، وتسعى إلى إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها أي؛ إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً ايجابياً أو سلبياً²، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: الحجج شبه المنطقية، الحجج المؤسّسة على بنية الواقع، الحجج المؤسّسة لبنية الواقع.

أمّا طرائق الانفصال في الحجاج فتقوم على الحجج القائمة على الفصل، والفصل هنا لا يكون بين المفاهيم المستعملة في الحجاج بل ينصب على الخطاب نفسه إذ يتعلق بمدى مصداقية الخطاب (صحة الحجج- صدق مشاعر الخطيب- واقعية

¹ -ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، تر: قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط1، 2011، القاهرة، ص225.

² -ينظر: عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 41.

الأحداث المذكورة) بحيث نكون أمام الثنائية التالية تصنّع/ واقع¹، أي؛ فصل المفاهيم إلى أزواج تراتبية مثل: ظاهر/ واقع، وسيلة/ غاية، معنى حرفي/ معنى مجازي. تسعى حجج الوصل إن الفصل الأساسي هو رفع التمانعات، وهذا نفسه ما يجعله مقنعا ومستديما²، بمعنى؛ حمل السامع أو القارئ على تمثيل بمظهرين اثنين للشيء الواحد مظهر زائف ظاهر تتركه الحواس ومظهر الحقيقة عينها³. مركزين في دراستنا* على صنف يقوم على آليات الوصل دون سواها، والتي تشمل الحجج التالية:

1- الحجج شبه المنطقية:

نعني بالحجج شبه المنطقية الحجج التي تُحدد على أنها قريبة من الدلائل الصورية ولكنها تختلف عنها من حيث إنها ليست ملزمة، وأنها تفتح إمكانية النقاش⁴، لذا وصفت بالمشابهة لأنها تماثل وتقارب الصياغة المنطقية التي تعتمد على مبادئ عقلية منطقية. ومن بين الحجج شبه المنطقية نذكر منها:

أ- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية:

وهي حجج واضحة ومقنعة بشكل كبير، إذ يتم فيها بناء الحجة وفقا لقوانين رياضية بديهية يسلم بها العقل البشري وحضورها في الخطابات يزيد من صارمة الموضوع، الأمر الذي يجعل السامع في حالة استسلام لما يعرض عليه:

- حجة المقارنة (Argument comparatif): تتشكل حجة المقارنة من الأوزان والمقاييس والاحتمالات لا لتؤدي إلى وزن أو قياس فعلي باستخدام نظام الأوزان

¹ - ينظر: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 62.

² - ينظر: أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2017، ص 220.

³ - ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 175.

* وسنكتفي بعرضها وبيان حدودها ليكون لنا تفصيل أمرها بالتفصيل المنهجي - بإذن الله تعالى - في الفصول اللاحقة.

⁴ - ينظر: كريستيان بلانتان، الحجاج، مرجع سابق، ص 66.

والمقاييس، لكن لإحداث التأثير¹، تكون من خلال الجمع بين أفعال مختلفة تضعها في مستوى معين يقبله المتحاورون للكشف عن الاختلاف حول هذا الموضوع وإحداث التأثير²، ويفسرها الدكتور المغربي (جميل حمداوي) بأنها تلك الحجّة الرياضية البرهانية القائمة على الموازنة بين الأطراف والترجيح بينها قياساً ومقداراً والبحث عن أوجه التشابه والاختلاف³، يقول (شيشرون): «يعني التعبير عن حكم يمكن الدفاع عنه بالاستعانة بمجال مختلف تماماً عنه وذلك من خلال الجمع بين حدين بعيدين جداً يؤدي أحدهما إلى رفع الحد الأدنى وإلى خفض الحد الأعلى وهنا يحدث التأثير»⁴

إنّ المقارنة في إطار الحجاج تستعمل لتقوية دليل يدعم خلاصة أو حكماً وذلك بإحداث إما تأثير بيداغوجي من أجل الدّعم والإفهام على نحو أفضل⁵. وبالنظر إلى هذه المعطيات، ندرك أن حجة المقارنة تمنح لنا فكرة دقيقة عن التصورات أو القضايا المطروحة بالاستناد إلى أوجه التشابه والاختلاف للوصول إلى نتيجة تحدد الموضوع إذا كان مفاضلة أم موازنة أم نقد أم تقييم.

- **حجة التعديّة (Argument de contrefaçon):** فالمثال الأكثر بياناً لهذه الحجّة عند (بيرلمان) هو المقولة المشهورة "أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي"، التي تقول بأنّه إذا كان (أ) يتضمن (ب) وكانت (ب) تتضمن (ج) عندها يكون (أ) متضمناً

¹ 103 - Chaïm perelman ; I empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p https://books.google.ws/books?id=FwVTQ77hkz4C&printsec=frontcover&source=gbs_vpt_reviews#v=onepage&q&f=false

² 104 - Chaïm perelman ; I empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p

³ - ينظر: شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، تر: جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، ط1، 2020، ص 47.

⁴ - Chaïm perelman ; I empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p103

⁵ - ينظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب من كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الوديني، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009، ص 88.

(ج)¹. ونستنتج أن العلاقة موجودة بين (أ) و (ج) وقد تظهر هذه الحجّة على أشكال من العلاقات أحيانا علاقة التساوي وأحيانا التفوق وأحيانا التضمن².

تقترب حجة التعدية من البرهان لكونها تعتمد على المنطق بشكل كبير، فهي تسعى إلى بيان العلاقة بين العناصر المقدمة على أنها علاقة تساوي أو علاقة تفوق أو علاقة التضمن بين القضايا.

- حجة إدماج الجزء في الكل: أو حجة الاشتمال، فهي تهتم بأنه ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، مثل: ما أسكر كثيره فقليله حرام.

- تقسيم الكل إلى أجزائه: وتسمى بحجة التقسيم أو التوزيع وهي الحجة التي نستخلص منها نتيجة متعلقة بالكل بعد أن نستدل على كل جزء من أجزائه³، على سبيل المثال: الإنسان هو روح وجسد وعقل.

وفي هذا الإطار نخلص إلى أنّ؛ (بيرلمان) قد أشار بأنّ ما يدعم الطّابع شبه المنطقي للحجج هو التقارب بين البرهان والحجاج وهو ما يعطي الحجّة شبه المنطقية قوتها الإقناعية⁴، أي؛ ما يعطي للحجج صفة شبيهة المنطقية هو ميولها للجانب العقلي وبنائها على مقاسات منطقية حيث تعتمد على بعض من الصيغ الرياضية في تشكيل اللغة الطبيعية، هادفة إلى الدّفاع عن صحة وصدق الأطروحة المقدمة بين الطرفين، مستمدة قوتها الحجاجية من تشابهها بالاستدلالات الصورية الواضحة وغير قابلة للنقض.

¹-ينظر: فيليب بروتون، جيل جونيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح نادي الغامدي، مركز النشر عبد العزيز، جدة، ط1، 2011، ص 47.

²-ينظر: عبد الله صوله، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 46-47.

³- ينظر: جميل حمداوي، شايم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 47

⁴-ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

ب- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

تعتمد هذه الحجج في صياغتها على المبادئ العقلية الواضحة وتعمل على طرق الاستدلال الصحيحة لتقديم حقيقة ثابتة، فحضور المنطق في الخطاب يماثل تماماً حضور القواعد في اللغة، ما يجعل السامعين يقتنعون بما يعرض عليهم وبالتالي يحل الحمل على التصديق والاقتران.

- **حجة التعريف (Argument de définition):** إنَّ التعريف حالة من المماثلة مادام يدّعي إقامة تماثل بين المَعْرِف والمَعْرِف على نحو إننا نملك حق أن نستبدل أحدهما بالآخر في الخطاب دون أن يتغيّر معناه، فكل تعريف حجة مادام يفرض معنى ما على حساب معاني أخرى¹، ويكون التعريف إمّا معيارياً وإمّا وصفاً أو خليطاً من الاثنين² وتتنحصر وظيفة التعريفات على التبرير الحجاجي لأن التعريف يحرك العملية الاستدلالية ويقدم اختيارات دون أخرى كما أنّه يشكل حكماً على الأشياء وتقويمها³. ومنه؛ حجة التعريف هي حجة تفسير وشرح مميزة أو هي تقديم ماهية الموضوع وصفاته الخاصة للإيضاح والبيان والتعرف عليه، وتسمح للمُعْرِف أن يكون في مكان المَعْرِف.

- **حجة العدل أو الحجّة التبادلية (Argument de justice ou argument de réciprocité):** وتتعلق هذه الحجّة بوضعيتين متماثلتين وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل، التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلية في مقولة واحدة⁴، تكون (أ) بالنسبة ل (ب) هي (ب) بالنسبة ل (أ)⁵، وعلى هذا الأساس يتم

¹ -ينظر: ألبيني روبول، مدخل إلى الخطابة، مرجع سابق، ص ص201-202.

² -ينظر: فيليب بروتون، جيل جونيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 48.

³ -ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 169.

⁴ -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ -ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، ط1،

التعبير عن هذا المبدأ في حقل الحجاج يحيل إلى القاعدة التي تقول: «إنّ الكائنات المنتمية لصنف أساسي واحد يجب أن يتم معاملتها بطريقة واحدة»¹ بمعنى؛ أن حجة العدل أو التبادلية تأسس على مبدأ المساواة بين القضايا المعروضة، فالحكم الذي صدر على القضية الأولى نفسه يطبق على القضية الثانية أي تعلق قضيتين متماثلتين وتماثلهما ضروري لتطبيق الحكم عينه.

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع (Arguments basés sur la structure de la réalité):

تدعي الحجج شبه المنطقية صلاحية معينة بفضل جانبها العقلاني الذي يستمد من علاقتها الوثيقة إلى حد بعيد مع بعض الصيغ الرياضية. لكن من النادر أن تكون الحجج شبه المنطقية قادرة بمفردها على حمل القناعة إذ يجب استكمالها بحجج مبنية على بنية الواقع²، لكون هذه الأخيرة تهتم بالربط بين عناصر الواقع مع بعضها البعض في رابط معترف به، فمن الممكن أن نبني عليها حجة تسمح لنا بالانتقال من ما هو مقبول إلى ما نريد أن نقبله³، أي إنّها تستغل العلاقة الموجودة بين الأشياء الواقعية لتؤسس قوة الحكم وقوة الدفاع عن الرأي وبالتالي تفرض على السامع التأييد لرأيها.

فمعظم الحجج المؤسسة على بنية أو هيكل الواقع تعتمد على روابط تعاقب مثل العلاقة بين السبب والنتيجة أو روابط التعايش مثل العلاقة بين الشخص وأفعاله هاتان الطريقتان مختلفتان في بناء الواقع، ففي روابط التعاقب فإن الظواهر فيها

¹ -فيليب بروتون، جيل جونيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 49.

² 108-Chaïm perelman ; I empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p

³ -Chaïm perelman ; I empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p95

ترتبط من نفس المستوى في حين أن روابط التعايش مبنية على مصطلحات غير متساوية المستوى مثل الجوهر والمظاهر¹، ولبيان تلك الحجج نوضحها فيما يلي:

أ- روابط التعاقب أو التتابع (Liens en cascade ou séquentiels):

تتمثل في العلاقة بين الوسيلة والغاية التي تُعد أساس بعض الحجج، فوجود وسيلة فعّالة تعطي الرغبة اتساقاً كافياً لتحويلها إلى غاية²، تقوم بنيات الحجج التي تحددها علاقات التعاقب على وصل ظاهرة ما بنتائجها وبأسبابها فالمحاجج قد يعتمد في حجاجه على ذكر السبب الذي كان وراء الفعل أو الموقف أو الدعوة التي يروم إيقاع التصديق بها وقد يعتمد على ذكر النتيجة التي تؤول إليها هذه الدعوة، فيربط الفعل موضوع الحجاج بسبب ما³. وعليه تتيح رابط التعاقب الحجج الآتية:

- **الحجة السببية (Argument causal):** يعد الرابط السببي أو الحجة السببية مكوناً جوهرياً ضمن روابط التعاقب القائم على الحجة والنتيجة وقد جعلها بيرلمان على ثلاثة أنواع:

- تلك التي تميل إلى ربط حدثين متتاليين ببعضهما البعض عن طريق علاقة سببية
 - تلك التي تميل في ضوء حدث ما إلى الكشف عن وجود سبب قد يحدده
 - تلك التي تميل في ضوء حدث معين إلى إبراز التأثير الذي يجب أن ينجم عنه⁴
- فالشخص يمكن أن يستمد قيمة ايجابية أو سلبية في نظر الآخرين وفق العلاقة السببية التي تربطه بمواقف مقبولة أو غير مقبولة كما أن ربط الفعل موضوع

¹ - المرجع نفسه، ص 110 .

² - المرجع نفسه، ص 116.

³ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص ص 158 - 159.

⁴ - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca ; traite de l'argumentation la nouvelle rhétorique, 5 edition, edition de l'universite de bruxelles, 1988 ,1992,2000; p 354

الحجاج بنتيجة متحققة أو مفترضة ينطوي على قصد تقييمي يتمثل في نقل القيمة من النتيجة إلى السبب¹.

ومن خلال هذا العرض نستطيع أن نقول إنَّ الحجّة السببية تتجه تارة نحو البحث عن الأسباب وتارة أخرى نحو تقييم حدث بوساطة نتائجها فهي حجة قائمة على بيان الأسباب أو الأفعال أو الأقوال كثيرا ما ترتبط بالمضمون الدلالي للخطاب.

- الحجّة النفعية (L'argument pragmatique): يقول (بيلمان): «نحن نسمي الحجّة البرغماتية تلك التي تجعل من الممكن تقدير الفعل أو الحدث وفقا لعواقبه الايجابية أو السلبية ولها دور أساسي في الحجاج»²، التي يبدو أنها تقلل من قيمة السبب إلى قيمة عواقبه فتعطي الانطباع للنتائج³، ثم يبين ذلك، بأنها جيدة لكون نتائجها المتوقعة جيدة وفي هذه الحالة يتعلق الأمر بالانتقال من قيمة مرتبطة بالثمرة إلى قيمة مرتبطة بالشجرة⁴، المعنى أنّ الحجّة النفعية هي المبنية على علاقة سبب ثم نتيجة، والتي تقوم على تقييم حدث ما بناء على قيمة النتيجة الايجابية أو السلبية، فهي تربط قيمة السبب بقيمة نتائجه.

- حجة الاتجاه (Argument de direction): وتعرف أكثر بالميل المائع⁵، تتمثل أساساً في التحذير من انتشار ظاهرة ما وتسمى حجة الانتشار أو حجة العدوى، أو تحذير من مغبة إتباع سياسة المراحل التنازلية⁶، وتكون أيضا لتفادي هدر الجهود المبذولة من أجل تحقيق غاية معينة، لمواصلة العمل في نفس الاتجاه، كما تعمل

¹ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص ص 158 - 159.

² - Chaïm perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; traite de l argumentation la nouvelle rhétorique, 358

³-Chaïm perelman ; l empire rhétoriques ; rhétoriques et argumentation ; p 111

⁴ -ينظر: فيليب بروتون، جيل جونييه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 50.

⁵ -ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - ينظر: عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص ص 50-51.

هذه الحجة على تشجيع أولئك الذين لديهم مواهب رائعة أو معرفة أو مهارات استثنائية على عدم خذلانهم في حين أنّ ما هو غير ضروري يتم بموجب هذه الحقيقة التقليل من قيمته وبالتالي سيتم تحقيق الانجاز المرغوب، وتحمل توقعات للأحداث المستقبلية¹. ويستمد هذا النوع من الحجج قوتها الإقناعية من نفوذ المتكلم وسلطته².

حضور حجة الاتجاه القائمة على علاقة الوسيلة ثم الغاية في الخطاب تهدف إلى إطلاق طاقات نحو توجيه السامع نحو أطروحة مرغوب فيها، وجعله خاضعا لها.

ب- روابط التعايش (Liens de coexistence):

تقيم هذه الروابط صلة بين حقائق غير متساوية المستوى، فتوحد حقيقتين غير متساويتين في المستوى أحدهما أكثر جوهرية وأكثر تفسيراً من الآخر³، تضم مجموعة من الحجج منها:

- حجة الشخص وأعماله (L'argument et les actions d'une personne):

إن علم الأخلاق والقضاء يعتمدان مفهومي "الإنسان وأعماله" وهذا ما أسماه (بيرولمان) التداخل بين الشخص وأعماله، والإنسان في الحجاج ذا صفات معينة منشأ لأعمال وأحكام معينة⁴ وذلك يوحى بالعلاقة بين الفعل والجوهر فإن كل ما يقال عن الإنسان تبرره الطريقة التي يظهر بها نفسه، لكن وحدة الإنسان وثباته هي التي توحد جميع النوايا المنسوبة إليه، هي التي تعطي معنى ونطاقاً تفسيرياً لسلوكه⁵، فهو موضوع تقويم من قبل الآخرين والحكم على الشخص يتم في ضوء أعماله فهي جزء منه لا

¹ - Chaïm perelman ; L empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p 116

² - ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 172.

³ - Chaïm perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; traite de l argumentation la nouvelle rhétorique ; 394

⁴ - ينظر: عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 51-52.

⁵ - Chaïm perelman ; L empire rhétorique ; rhétorique et argumentation ; p 119

يتجزأ، فالشخص هنا ينهض لدور السياق الذي يعين على تأويل العمل، وفي هذه الحالة يمثل القصد والنية مناط الحجاج فهو يربط العمل بصاحبه ويعين على إمكان تقيمه¹.

أي؛ أن الأفكار السابقة والآراء السابقة حول الشخص الحاضر في الخطاب الحجاجي هي بذات تقودنا للدفاع عن الأطروحة أو دحضها، لأنها تتغيا تقديم النتيجة نفسها للشخص المقدم وأعماله في موضوع الخطاب، كذلك لأن الأعمال تبين جوهر الشخص وجوهر الشخص أيضاً هو الذي يفسر لنا أعماله.

-حجة السلطة (Argument d'autorité): تنطلق هذه الحجة من مسلمة مفادها «أن الأقوال والأفعال المسندة إلى مصدر ذي حظوة يلزم عنها بالضرورة نقل الحظوة إليها»² وتهتم باستخدام أقوال وأفعال مصدر ذي حظوة في دعم دعوى ما أو بناء حكم قيمة بالاستناد إلى قيمة مصدرها³، فالسلطة التي يتمتع بها شخص ما في أذهاننا وفي وعينا الاجتماعي والثقافي تشكل معيارا لنا في تقييم أعماله⁴، وقد تكون حجة السلطة شخصية وقد تكون لا شخصية كأن نستند على أسماء أشخاص أو قد نعد إلى الإشارات العامة من قبيل الأديب، العلماء، الأنبياء... أما لا الشخصية كالاستناد إلى سلطة الإجماع والرأي العام والعلم والفلسفة أو الاستناد إلى عصر ذهبي⁵، اقترح (جون وودز و دوجلاس وولتون) المؤلفان شكلاً منطقياً لحجة السلطة على النحو الآتي:

الشرط 1: (أ) يثبت أن (ب)

¹ - ينظر: عبد الله صولة، نظريات في الحجاج، مرجع سابق، ص ص 51-52.

² - محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، مرجع سابق، ص ص 135-137.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

⁴ - ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 172.

⁵ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص ص 135-137.

الشرط2: (أ) سلطة موثوقة بها في مجال (ج)

الشرط3: دعوى (ب) تنتمي إلى مجال (ج)

الشرط4: (ب) متوافقة مع المعلومة الملائمة التي نحصل عليها بوسائل أخرى،
وبتكثيف حجة السلطة نحصل على الشكل الآتي: إن حجة سلطة ما قالت (ب) إذن
(ب) صحيحة¹.

بمعنى، أننا نستدعي في خطابنا شخصاً يمتلك حظوة عند السامع، لنقل قيمة معينة
وتتمين فعل معين أو العكس فنبنينا أحكاماً وندعم أطروحة، وهذا الأمر مكن حجة
السلطة من إثارة انفعالات السامع نحو الاقتناع.

-الاتصال الرمزي (Communication symbolique): أو الحجة الرمزية تقوم هذه
الحجة على الانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه كالانتقال من العلم إلى الوطن
وتعتمد على ما تثيره هذه الرموز من عواطف وأحاسيس تحكمها العلاقة بين الرموز
إليه²، تتسم بعلاقة تشارك موضوعاً داخل رؤيا أسطورية أو نظرية لمجموع ينتمي
إليه الرمز والمرموز إليه معاً كما يمكن أن تعتبر أشكال من الواقع متباعدة في الزمن
تعايشه داخل تصور لا زمني للتاريخ وغالباً ما يستعمل الرمز صورة بلاغية كالكناية
(la métonymie) مثلاً في نطاق كونه يمنح حضوراً لما يرمز إليه³، حيث إنّ
الرمزية في القرآن الكريم أمر واقع كونه يمثل أعلى مراتب النص معرفياً، كما أنه
بمناى عن المباشر والظهور وموغلة في الدقة والعمق كل ذلك يعمق الحاجة
للتفسير⁴.

¹ -ينظر: المرجع نفسه، ص 140.

² ينظر عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 172.

³ -ينظر: شايم بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج، تر: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب
الجديد المتحدة، ط1، 2022، (نشر لأول مرة باللغة الفرنسية سنة 1977) ص 182-183.

⁴ -ينظر: السيد كمال الحيدري، الرمزية والمثل في النص القرآني، بقلم: طلال الحسن، ص 58.

إذن؛ تتشكل حجة الرمز من ثقافة السّامع التي استنبطها المتكلم أي، الرمز ذو طابع اجتماعي وثقافي خاص بالسّامع، فيبني لها صوراً أو رموزاً لغوية تعبير عن القيم والآراء وتبدو من أقوى الحجج كونها قائمة على إيصال المقصود برداء جميل أو قبيح مناسب ومشفر تماماً، ولفهمها تستلزم العودة للسياق.

نلاحظ أن روابط التعايش ترتبط بالبعد الواقعي أي، ما هو موجود في الواقع فعلياً، وتهتم بالجانب العاطفي للسّامع وتتضمن رابطاً بين الحقائق تنتمي لمستويات غير متساوية، فتقيم هذه الروابط صلة بين حقائق غير متساوية المستوى يقدم أحدهما على أنه وصف أو تجلي للأخر مثل: العلاقة بين الشخص وأفعاله، وحجة السلطة القائمة استحضار قوة ما في الخطاب وحجة الرمز المتكلفة بتشفير المعنى وكل هذه الحجج تحمل رأياً له قيمة يتم استخراجها من خلال استقراء تلك الحجج من الخطاب.

3- الحجج المؤسّسة لبنية الواقع (Arguments établissant la structure) :(de la réalité)

تنقسم الحجج المؤسّسة لبنية الواقع إلى: تأسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، والاستدلال بواسطة التمثيل.

أ- تأسس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

- حجة المثال (Exemple): الحجاج بالمثال معروف جيداً، ويسميه (بيرولمان) بالحجاج من الخاص إلى الخاص، يُؤتى به عادة في الحالات التي لا توجد فيها مقدمات والمحاكاة به تقتضي وجود خلاف في شأن قاعدة خاصة التي جاء بالمثال ليدعمها ويكرسها¹، يهدف إمّا لتأسيس قاعدة عامة، وإمّا لتعزيز التأييد لها، والحجاج

¹-ينظر: عبد العالي قادة، في بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 174 .

بواسطة المثال يتكون داخل تعميم يبدأ من حالة أو عدّة حالات معينة؛ أو خلال العبور من حالة معينة معروفة إلى أخرى غير معروفة¹، لأنّ بناء المثال يعتمد على تعميم حكم ما أو فكرة معينة فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد خاصة ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها²، فضرب المثل يمكن أن يكون خيالياً دوره لا ينحصر في إثبات القاعدة فحسب، بل منحها حضوراً في الوعي وبالتالي تقوية التأييد³.

تقدم حجة المثال في الخطاب لغاية التفسير والإقناع؛ تفسير وكشف طبيعة أطروحات أو قضايا منتشرة في مجتمع ما بصورة تمثيلية وتشبيهية لإحداث الإقناع وإثبات القواعد أو تعديل الوجهة، وهي الحجّة التي تعيد بناء الواقع فتسعى نحو واقع جديد لتثبت فكرة بأسلوب قويّ ومقنع.

- حجة القدوة وعكس القدوة (L'argument des modèles et des exemples opposés): وتوصف بالنموذج الذي نقترحه وهو مثال نقترحه لأنفسنا أو لغيرنا لغاية إتباعه وبهذا فإنّه يمثل معياراً حتى وإنك كان يعتبر حالة خاصة، وغالباً ما يكون هذا النموذج متعالياً في كل شيء أو على الأقل في بعض سلوكياته الحقيقية أو المفترضة تقتضي قبول القيمة التي يمثلها ذلك النموذج⁴، بمعنى؛ حجة القدوة تتميز بأنّها تقوم أساساً على الحُضِّ وإتباع سلوك وتصرف ما، متجاوزتاً تأسيس قاعدة عامة أو توضيحها فحجة القدوة تشير إلى السلوك الذي ينبغي محاكاته كما أنّها تصلح أن تُمثل ضامناً للسلوك المتّبع⁵، وأشار (بيرلمان) إلى أن دور

¹ - ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار الطاهر، مرجع سابق، ص 35.

² - ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص 243.

³ - ينظر: أوليفي رويول، مدخل إلى الخطابة، مرجع سابق، ص 212.

⁴ - ينظر: فيليب بروتون، جيل جونييه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 54.

⁵ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 147-148.

النموذج أو النماذج المعكوسة أساسي في التربية بكل أشكالها وتربية شخص تعني خلق الرغبة لديه للتشبه بقدوة ما (محاكاتها) وقد تكون مستعارة من التاريخ أو متخيلة أو أسطورية أو مقدسة¹.

بما أن حجة القدوة هي عبارة عن حضور شخصية في الخطاب يحض المتكلم على اتباعها وتثمين أعمالها، فإن حجة عكس القدوة تقوم على الترك وعدم اتباعها، فكلاهما يمثل صورة إما مستحسنة وإما مستهجنة وكلاهما وسيلة حجاجية في الخطابات كافة، وهي تقترب من حجة السلطة لكونهما يتميزان في الواقع بخصائص مميزة.

ونلاحظ أن وظيفة الحجج المؤسسة بواسطة الحالات الخاصة هو تفسير القاعدة لتتمكن من الحضور في العقل والقلب بشكل فني بلاغي واضح.

ب- الاستدلال بواسطة التمثيل:

- التمثيل (Analogie): إن الاستدلال بالتمثيل إنما هو بناء بنية واقعية تسمح بإيجاد دور إثبات حقيقة بفضل تشابه في الصلات²، فالتمثيل يقوم على إبراز تشابه العلاقات مما يجعله أداة حجاجية مهمة وهو بذلك يواجهه بين بني متشابهه وأن كانت في مجالات مختلفة فهو يسقط علاقات مستفادة سابقا على مجال المجهول أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما، مما يسهل العملية الحجاجية ويؤدي إلى حصول الإقناع ويمثل له، وإذا كان التمثيل حسب (بيرولمان) يؤدي دورا في الابتكار والتدليل والحجاج عبر عمليات التطوير والتمديد والتي يسمح بها وهي آلية خصبة

¹ - ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - ينظر: أوليفي روبرول، مدخل إلى الخطابة، مرجع سابق، ص 215.

لإنتاج الأفكار وتحقيق الإقناع شريطة أن يراعي المتكلم في إنتاج سياق التخاطب وأحوال المخاطبين¹، يظهر التمثيل صلتين:

الأولى: الموضوع وهو ما نريد إثباته.

الثانية: الحامل وهو ما يحصل للإثبات وهو مأخوذ من المجال الحسي سبيله أن يظهر صلة نعلمها سابق علمٍ لِمَا إِنَّهُ قد سبقت معانيها والموضوع عموماً مجرد ويجب أن يثبت فهو يركز على وقائع روحية، مغايرة للحامل، لكن الصلة الواجب إثباتها بين (أ) و (ب) مشابهة للصلة المعروفة بين (ج) و (د) هي مشابهة وليست مماثلة لأنَّ الحامل مادي والموضوع روحي²، نلاحظ أن، في المماثلة تكون الحدود الأربعة المتقابلة في الخطاب مختلفة لكن صلات العلاقة بينهما متماثلة ومتشابهة، وهنا تتم عملية انتقال القيم.

إنَّ مهمة الحجج المؤسسة لبنية الواقع، هو إعادة بناء الواقع بالخيال وبالإبداع واقعاً جديداً بإظهار علاقات لم تكن نراها، يفرضها المتكلم بمختلف الصور على السامع رغبة في جعله يؤيد ما يقوله فيستعمل حجة المثل والقُدوة وعكس القُدوة والتمثيل، هذا الأخير يُظهر لنا مدى اهتمام (بيرلمان) بالجانب البلاغي للخطاب الحجاجي التداولي وسنخصص المبحث الثالث لذلك بالتفصيل.

¹ - ينظر: عبد العالي قادة، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 173-174.

² - ينظر: أليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، مرجع سابق، ص 216.

ثالثاً: حجاجية الصورة البلاغية والأسلوبية

تظهر علاقة المتكلم بالخطاب في اختيار الحجج المناسبة للسامع وفي استخدام الصور البلاغية والأسلوب المؤثر في النفوس، ومن ثمة عليه ألا يشتغل بالحجج العقلية ويُهمل الحجج العاطفية لأنَّ «بعد قائمة الحجج التي تقنع العقل، تأتي قائمة الوسائل التي تقنع القلب»¹، ونلاحظ في البلاغة الجديدة (الحجاج) سعي واضح إلى تقديم تفسيرات حجاجية وظيفية للصور البلاغية وللأسلوب، من أجل إحداث التأثير في السامع، تقول (جويل غارد طامين): «ليست الوجوه البلاغية والصور الأسلوبية منغلقة على ذاتها فهي لا تجد معناها أو حتى وجودها إلا بفضل مجموع النص المرتبط بموقف معين، وبإينوس من ينتجها وبباتوس من يتلقاها»²، ويقول (ديل كارينجي): «عندما تتعامل مع الناس فتذكر أنك لا تعامل أناساً عقلايين، ولكن عاطفيين يتخبطهم الهوى ويسوقهم الكبرياء والغرور»³، لأنَّ فعل التأثير في السامع يقوده إلى الخضوع والتسليم لما يصرح عليه من آراء، وهذا من أهم المبادئ التي تقوم عليها البلاغة الجديدة (الحجاج البلاغي).

فالنقطة المركزية في هذا المبحث هي فكرة امتداد تلك الوجوه البلاغية والصور الأسلوبية في الخطاب وانعكاسها على السامع بمعنى؛ أن الخطاب الحجاجي يأتي محملاً بآليات بلاغية تحمل أبعاداً جمالية إقناعية في الآن نفسه مصاغة بأسلوب يزيد من شدة التأييد والافتناع، ويليق بشخصية المتكلم وبمستوى السامع مع ملائمة الموقف.

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2014، ص303 نقلاً: benoit(ch.) ;essai historique sur les premiers manuels d invention rhetorique,p161

² -ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص322.

³ -هاري ميلز، فن الإقناع كيف تسرع انتباه الآخرين وتغيّر آراءهم وتؤثر فيهم، د.ت، د.ط، ص 17.

1 - مفهوم الصور البلاغية ودورها الحجاجي

بعد أن عرفنا أن الخطاب الحجاجي مبني على اقتراح سلسلة من المنطلقات والحجج المختلفة بغية الحصول على الإقناع، استلزم الأمر منّا أن نستكمل بنيته التي تمتد إلى توظيف الصُور البلاغية والأسلوبية كتقنيات حجاجية تساهم في الحصول على التأثير والتأييد.

أ- مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً:

الصورة هي الشكل وتظهر في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته يقال: "صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"¹.

المعنى أن الصورة هي عبارة عن أشكال لغوية يوظفها المتكلم في خطابه، تحمل معانٍ محددة في سياق معين، كما تعطي لكل معنى هيئته الخاصة وصفته المميزة في الخطاب حتى يستقيم اللفظ ويصل المعنى إلى ذهن السامع.

-مفهوم الصورة اصطلاحاً:

المقصود بلفظة الصور في البلاغة العربية والغربية بالوجه البلاغية أو الأسلوبية وهي عند (جابر عصفور) هي: «طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيّاً كان التأثير فإن الصورة لن تتغير من طبيعة المعنى في ذاته. إنها لا تُغيّر إلاّ من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه»²، يعني أن وظيفة الصورة البلاغية تنحصر

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص 2523.

² - جابر العصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص323.

في طريقة عرض الصورة البلاغية وتقديمها ما يجعلها تعمق دلالة الخطاب بشكل مؤثر.

وفي مقال (روبول) المعنون بـ "الصورة والحجة" نرى أن الصورة تؤدي وظيفة حجاجية يقول: «الصورة هي على العموم إجراء أسلوبى أى طريقة في التعبير حرة ومقننة» ويشرح (محمد العمري) بأن المقصود بالحرّة اختيارية وبالمقننة هو انتساب كل صورة إلى نسق أو بنية معروفة يمكن نقلها من محتوى إلى آخر مثل الاستعارة والكناية¹، فالصورة عند (روبول) في الخطاب الحجاجي تحمل هدف وظيفي إلى جانب الهدف البياني خلافا لما كانت عليه في السائد.

أمّا (برنارد لامي) (bernard lamy)، في كتابه "فن الكلام" يرى أن الصورة عبارة عن خصائص الأهواء أي؛ دراسة الصورة انطلاقاً من السياق الذي يمنحها خصائصها، وينبغي على المتكلم أن يعرف كيف يُثير الأهواء لأجل الإقناع، وأن يعرف أن كل صورة تمتلك سمات قادرة على إنتاج تأثيرات خاصة²، أي تهتم الصورة بإقناع الغير واستجلاء موافقته ورضاه أو تغيير موقفه استناداً على أهوائه.

إذن؛ فالصورة البلاغية من المنظور الحجاجي هي عبارة عن محسنات بيانية أو بديعية أو معنوية لها حضور وظيفي في الخطاب الحجاجي، تُصاغ وفق شروط الموقف التواصلى الحجاجي بالاستناد على الأهواء والعواطف لغاية الاستمالة وإيقاع التصديق، وهي من التقنيات الحجاجية التي تقود للكشف عن المقاصد الخفية في الخطاب.

¹ -ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مرجع سابق، ص 23.

² -ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 305.

ب- شروط الصورة الحجاجية:

من أفكار بيرلمان أن الصورة البلاغية ليست صوراً فنية وجمالية وظيفتها الزخرفة والإمتاع فحسب، كما هو سائد في البلاغة القديمة، بل هي من طبيعة حجاجية إقناعية بشكل غزير ومكثف، لأنّ الصور البلاغية تُعدّ من المقومات اللغوية الجمالية والحجاجية معاً. لكن لا تكون الصورة حجاجية في ذاتها ولكن الحجاجية تتوقف على شروط خارجية وداخلية نوجزها فيما يلي:

الشروط الخارجية:

شروط تحديد نوع الخطاب: ثمة أنواع خطابية تقوم على منح الأولوية للاشتغال الحجاجي للصور، فالصورة قادرة على الاضطلاع بوظيفة حجاجية في أنواع خطابية غير حجاجية.

- شرط السياق الخطابي: لأنّ السياق يساهم في تلوين الصور حجاجيا فالصورة مهياة لاكتساب وظيفة حجاجية في مواقف الاختلاف والتوتر، فالتموّض التلّفطي للمتكلم يؤثر حجاجياً في ملفوظاته التصويرية وخاصة الأفعال اللغوية؛ التبرير والدفاع أو النقد والاتهام

الشروط الداخلية:

- شرط توجه الصورة: أي قيادة السّامع في الاتجاه الذي يرومه المتكلم

- شرط القوة الانجازي: تنبثق القوة الانجازية للصور عادة من مظاهرها البارزة على هذا النحو فإن التوتر اللفظي الظاهر للمبالغة يزيد من الحمولة الحجاجية للخطاب¹.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 307.

نفهم من ذلك أن الصورة الحجاجية حتى تستقيم وتقيم حجاجيتها في الخطاب لا بد شروط تجمع بين العقل والعاطفة وتضمن لها صفة الحجاجية تتمثل في:

نوع الخطاب، السياق، توجه الصورة، القوة الإنجازية، فحضورها يزيد في العقل عمقا ودلالة، لما تظهره من تقريب للمعنى دفاع عن أطروحة، أو فكرة، أو قضية، أو لما تمارسه من تنفيذ ودحض للأطروحة المضادة رغبة في تغيير موقف السامع، وكذا لما تحققه من لفت الانتباه وتسهيل المحاجة.

ج- حجاجية الصور البلاغية:

إنّ الصور البلاغية تكتسب قيمتها الحجاجية من كونها رموزا للانفعالات العاطفية وبما تثيره من استحسان وانفعال لدى السامع¹، تقول (طامين): «جميع الصور لها أهداف مماثلة بدرجات متفاوتة؛ خلق الرؤية لترسيخ الخطاب في ذاكرة المتلقين، وتجسيد الحجج المجردة، وتحسين الخطاب للإمتاع، وتقويته للتأثير»² والإقناع. ومن ثمة، فإن مسألة الإقناع تقتضي استعمال مهارات البيان والتبيين، لتقوية الحجج والرفع من فعاليتها، فهي قائمة على التأييد والدحض، ومن الأشكال التصويرية الحجاجية التي لاحظنا تواترها بشكل كبير في المثل القرآني نذكر منها:

- **حجاجية المجاز:** المبدأ الأساسي في تكوين المفردات المجازية هو "الاستبدال" حيث يحل اللفظ المجازي محل اللفظ الحقيقي³. والمجاز عند (مايبر) هو: «الذي يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان»⁴ فالخطاب المبني على

¹ - ينظر: أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، سلسلة الرسائل الجامعية، كليات الفرابي، الرياض، د. ت، ص 135.

² - محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 311.

³ - ينظر: توماس أ. سلوان، موسوعة البلاغة، تر: عماد عبد اللطيف وآخرون، ج 3، ص 709.

⁴ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 136.

المجاز أو التخيل هو الذي يجمع معاني الأفكار والتصورات والمفاهيم ويحرك خيال السامع، فيعمل على استدراجه بشكل غير مباشر إلى حقل المتكلم فيدمجه في التفاعل الذي ينشده الحجاج، وتثير انتباهه لما يقوله وما يريد الوصول إليه¹، يتبين لنا، أن المجاز أفضل من الحقيقة لأنه يؤثر في السامع تأثيراً أشد من تأثير الحقيقة، ويأخذ بيد السامع أو القارئ نحو الإقناع وبالتالي فهو يحمل بعداً حجاجياً.

-حجاجية التشبه: التشبيه هو «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى وإن كان دماً كان مسه أوجع وميسمه ألدغ ووقعه أشد وحده أحد وإن كان حجاجاً كان بزهاناً أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخاراً كان شأنه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد»² ويجمع التشبيه ثلاث صفات؛ المبالغة والبيان والإيجاز وفائدته أنه يقصد في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أثبت في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه فإذا شبها صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس يدعو إلى الترغيب فيها³ وقس على ذلك، قدم (عبد الله صوله) نموذج التشبيه حيث:

(أ Φ → Ψ) وفيه تعني العلامة (Φ) محلاً شاغراً لم يرد ذكره في البنية التصويرية وتعني (أ) المشبه و(ب) المشبه به والجامع بينهما عراءهما من وجه الشبه، فيكون عدم ذكر هذا الركن مدعاة إلى أن يعمل السامع كفايته الثقافية والمنطقية لتبيين المسار الحجاجي المنتهج في التشبيه⁴. أي، البحث في الفضاء الخالي بين المشبه والمشبه به لإيجاد وجه الشبه.

¹ -ينظر: عبد السلام غشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006، ص 123.

² -ينظر: القزويني الخطيب، البلاغة في علوم البلاغة، شرحه عبد الرحمان البرقوقي، ط1، دار الفكر العربي، 1904، ص ص 238-239.

³ -ينظر: أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت، 1975، ص68.

⁴ -ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 545.

فالتشبيه يجعل العقل يقبل العلاقة القائمة بين الأشياء، بل قد يُقيم علاقات يأبى العقل أن يقبلها، فيجعل العقل يُسلم بها ويقرّرها بها لا لشيء، إلاّ لأنها اشتملت على طرافة وإبداع، وبه يميل المتكلم إلى التأكيد بأنّ السّامع استوعب الفكرة تماماً كما هي في نفسه، وبذلك فإنّ التشبيه وسيلة حجاجية تمكنه من توصيل المعنى إلى قلب السّامع¹ وعليه، فالتشبيه يأخذ بيد السّامع نحو فهم المضمون وإدراك المقصود كما يحسّ به المتكلم، فهو شارح وناقل للمعنى بصورة واضحة يجعلنا دائماً نقف على صورتين مختلفتين والعلاقة بين الطرفين يظهرها التشبيه فيحرك النفوس نحو التأييد أو الرفض.

-حجاجية الاستعارة: الاستعارة هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، إمّا أن يكون شرح المعنى والإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه وتتضمن الاستعارة زيادة فائدة وهي أبلغ وأحسن في تبيان المقصود من الخطاب² فهي ليست زخرفة إضافية أو مصطنعة في الخطاب الأدبي، بل موجهة لهدف حجاجي إنجازي في صورة مركبة وتختزل قوتها الحجاجية فيما تقوم به من أعمال الذهن حيث تعدّ قياساً تُضمّر إحدى مقدمتيه، والمعنى المراد يصل إليه السّامع انطلاقاً من عناصر الصورة³. ونجد الاستعارات القرآنية مبنية على صفات ثابتة في الشيء لا تتبدل عبر الأجيال، بل تظل ثابتة متوارثة، وقد بنيت تلك الصفات في التصور الذهني لكل البشر وتجدها رغم تعاقب الأجيال التي تناولته بالقراءة والتفسير⁴.

¹ - ينظر: أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية، مرجع سابق، ص 137.

² - ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، مرجع سابق، ص 273.

³ - ينظر: أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية، مرجع سابق، ص 172.

⁴ - ينظر: عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية (النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، د.ط، 2014، ص 17.

فالاستعارة هي عبارة عن تشبيه قائم على حذف أحد عناصره في الخطاب، واستلاف لفظ من مصدره وانتسابه لموضوع الخطاب رغبة في إثبات صفة ما أو بيان قيمة معينة، وحضورها في الخطاب يكسبها سمة الحجّة فهي التي تزيد من التأثير في أهواء السّامع وتقوده نحو الإذعان.

-حجاجية التمثيل: إن التمثيل على عكس التشبيه لا يقيم علاقة بين عنصرين اثنين، بل بين بنيتين اثنتين فليس التمثيل بقائم إذن على علاقة تشابه وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة أي، أنّ التشابه فيه بين علاقيتين: علاقة (أ) ب (ب) من ناحية وعلاقة (ج) ب (د) من ناحية أخرى، أو بهذا الشكل:

(أ \leftrightarrow ج د) وهو أكثر الأشكال التمثيلية تواترا في القرآن الكريم¹.

تتجلى حجاجية الصورة التمثيلية في العلاقة التي تقيمها بين العناصر التشبيهية، من أجل الوصول لعقل وقلب السّامع، وجعله ينتقل بين الصفات والقيم بشكل مجسد أمام عينيه.

-حجاجية الكناية: الكناية أبلغ من التصريح، وهي لفظ أريد به لازم معناه، ويعدّل عن التصريح إلى الكناية لِنُكْتَةٍ، كالإيضاح أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حالة أو القصد إلى المدح أو الذم والكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له². فهي أبلغ من الإفصاح في كثير من المواضع، لأنّها تزيد في إثبات المعنى فتجعله أبلغ وأثبت

¹ -ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 549-553.

² -ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأنور، مرجع سابق، ص 516-518.

وأشد¹. المعنى؛ أن الكناية تساعد السامع في فهم المقصود من الخطاب وتعد ركنا أساسيا في الخطاب الحجاجي لما تقدمه من إيجاز وبيان ودفع نحو الاقتناع.

استنادا إلى ما سبق، فإن البعد الحجاجي سواء في التشبيه أو الاستعارة أو التمثيل أو الكناية يتجلى في كونها بمثابة حجج مكثفة لها غرض حجاجي تأثيري، لأن مدار الحجاج في جميع الصور البلاغية قائم على المحل الشاغر الذي رمز له بعلامة (Φ) لكونه يمثل مركزية الخطاب الحجاجي ومكمل عملية المحاجة وبالتالي يحصل الاقتناع ويتم استخلاص الحكم أو النتيجة من طرف السامع نفسه.

-حجاجية الإطناب والإيجاز: فالإطناب هو «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد»²، والإيجاز هو «أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط»³، والإطناب في موضعه وظيفية فنية اعتمدها الخطاب القرآني والإيجاز في مكانة صيغة ينتهجها التنزيل والمناسبة هي الكفيلة، وهي الحدّ الفاصل باعتماد إحدى هاتين الكيفيتين وعلى هذا فلا يمكن أن نصف المثل القرآني عامةً بالإيجاز ولا يمكن أن نميزه عامةً بالإطناب، فهو موجز بقصر الألفاظ على المعنى المراد، ولكنّه مطنّب في تفصيل ذلك وإيضاح مجهولاته⁴.

وعليه، فالأول تقديم المعنى بكثير من اللفظ من دون تكرار، والثاني هو تقديم المعنى المراد بأوجز لفظ، وهما سمتا الخطاب البليغ المميز بالصيغ التركيبية قصراً أو طولاً.

¹ -ينظر: أحمد مطلوب، فنون بلاغية، مرجع سابق، 1975، ص 186.

² -ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، جدّة، الرياض، ط3، 1988، ص 384.

³ -السكاكي، مفتاح العلوم، علق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ط2، 1983، 1987، ص 288.

⁴-ينظر: محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، مرجع سابق، ص216.

-حجاجية الطباق: هو المطابقة ويسمى أيضاً التطبيق والتضاد والتكافؤ، وهو الجمع بين متضادين أي، معنيين متقابلين في الجملة بأن يكون بينهما تقابل وتناقب، والطباق نوعان: طباق إيجابي وطباق سلبي: فالأول أن يجمع بين معنيين ليس أحدهما مقابلاً للآخر ولكن يتعلق بما يقابل الآخر، أما الطباق السلبي: فهو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي أو أحد أمر والآخر نهي¹. وتعود حجاجيته إلى علاقة التضاد التي ينشئها بين أجزاء الخطاب فضلا عن دفعه للسامع إلى الوقوف على حقيقة المعنى وبالتالي قبولها وتصديقها²، ومنه نفهم أن حجاجية الطباق تتجلى في بيان المعنى وتقريبه للسامع ليتخذ موقفا ملائما للمعنى المقصود.

-حجاجية المقابلة: وهي «أن يؤتى بلفظين أو أكثر مع ما يقابلهما، أو بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، بمعنى إجماع أكثر من طباق في الخطاب»³، وتوظيف المتكلم للمقابلة في خطابه تحمل بعدا حجاجيا كما يحمله الطباق من أجل إيضاح المعنى، لأنّ لولا عكس المعنى لما كان للمعنى معنى وما تحققت الاستمالة للسامع.

كلما ظهر الطباق والمقابلة في الخطاب كان المعنى أظهر وأبين وأوقع في النفس، وبالتالي تتحقق الاستمالة التي تُعدّ من الأهداف الحجاجية، ونلاحظ أن هناك تمييزاً جوهرياً بين الطباق والمقابلة؛ فالأول يختص بالمفردة الحجاجية في حين يختص الثاني بالتركيب الحجاجي.

¹-ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص ص 275-363.

² - ينظر: رضوان بلييط، أساليب الحجاج والإقناع، مرجع سابق، ص 171.

³ -ينظر: محمد التونجي، الجامع في علوم القرآن، ط1، 2013، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ص

-حجاجية القصر: وهو راجع إلى تخصيص الموصوف عند السّامع بوصف دون ثانٍ يكون عن طريق العطف كما في قصر الموصوف على الصفة إفراداً أو قلباً بحسب مقام السّامع، وطرقه النفي والاستثناء وما .. إلا، أو عن طريق (إنّما) لأنها تتضمن معنى (ما وإلا)، تستعمل لقصر الموصوف على الصفة قصر إفراد، أو عن طريق التقديم بحسب المقام، فالطرق الأولى الثلاثة دلالتها على التخصيص بوساطة الوضع، وجزم العقل، ودلالة التقديم عليه وساطة الفحوى وحكم الذوق والطرق الأخيرة الأصل فيها مما يثبت دون ما ينفي¹. القصر له جانب المفهوم الدلالي واللاقولي الذي رأينا دوره الحجاجي يتمثل في توجيه موضوع الخطاب والذات المتكلمة في الخطاب معاً²، ومعنى القصر أنّه حصرٌ أو إلزامٌ بعبارة بعبارة أخرى، ويتميز بالإيجاز، وحجاجيته تضمن للسّامع معرفة المقصود والمطلوب منه.

وضمن هذا السياق، فإنّ الشيء الذي يضمن للمحسنات البلاغية بعدها الحجاجي هو المتعة التي تحققها في الخطاب المقرونة بالإقناع، والسعي في الخطاب نحو استمالة السّامع إمّا بالدفع أو بالدحض، يقول (بيرولمان): «إنّ محسناً لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر»³، ومنه يتسنى لنا القول: إنّ الخطاب الحجاجي الذي يحوي أساليب بلاغية حجاجية بشكل مكثف، يتغيّر تقديم معنى حجاجي ووظيفي للصورة البلاغية بأشكالها المتنوعة من استعارة وتشبيه وكناية وإيجاز وإطناب وطباق ومقابلة والتي تعد نظاماً خطابياً تأثيرياً، وهي آليات تسهم في تقوية توجيه السّامع نحو النتيجة، من حيث توظيفها واشتغالها وتلقيها، وتحقيقها للاستمالة والتأييد «ومن هنا فالحجاجيون لا يسلمون بأنّ

¹ -ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ص 161-193.

² -ينظر: عبد اله صولة، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص 316.

³ -محمد الولي، الخطابة والحجاج، مرجع سابق، ص 178.

مهمة الخطاب تقوم على وصف العالم، وإثماً تقوم على تحفيز المخاطب على سلوك ما¹ كما تساهم أيضا في إظهار صورة الموقف التواصلي على حساب الصورة البلاغية بالحكم عليها إما جيّدة أو سيئة.

2- الدور الحجاجي للأسلوب الخبري والإنشائي:

نلاحظ أن نجاح المتكلم المحاجج في خطابه الإقناعي البلاغي، لا يتوقف على اختياره لأصناف الحجج والصور البلاغية المناسبة للأطروحة والسّامع، بل نجاحه يتوقف أيضا على حسن اختياره للصياغة التعبيرية الملائمة للأطروحة المقدمة أو القضية المعروضة أي؛ تقديمها بالأسلوب الأنسب لتأدية المعنى المراد، لذا، فإننا سنقول مع (كبيدي فارغا) في علاقة المتكلم بخطابه الحجاجي: «لقد وصلنا بالفعل مع الخطيب [المتكلم] في رحلته الحجاجية إلى المحطة الأخيرة التي يقوم فيها باختيار الوجوه الأسلوبية الأكثر ملاءمة للمواضع والحجج التي اختارها لتبليغ دعواه في محطات سابقة»²، ويوضح ذلك (كينتيليان) بأن أفكارنا من دون أسلوب لا جدوى منها مثلها مثل سيف ظل في غمده³ وهذا ما أكدّه (أرسطو) بقوله: «فعلينا أن نعني بمسألة الأسلوب لا باعتباره سليمة، بل لأنها ضرورية»⁴ ويشير (شايم بيرلمان) إلى ذلك بوجود جملة من أساليب التعبيرية المرشحة للإسناد قيمة معينة أو لتحبيدها عن شخص أو شيء، وهي تشكل بالفعل ترسانة البلاغة وعدتها اللغوية الحجاجية لغرض إحداث المفعول اللازم في إنتاج الخطاب⁵.

¹ -جميل حمداوي، الصورة الحجاجية في ضوء البلاغة الجديدة، دار ركاز للنشر والتوزيع، اربد-الأردن، د.ط، 2021، ص 53.

² -المرجع نفسه، ص 301.

³ - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 705.

⁴ -أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 194.

⁵ -ينظر: شايم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار الطاهر، مرجع سابق، ص 79.

ومن هذه الطروحات نفهم أنّ لتحقيق الاستمالة لابد من أسلوب ممتع لكونه يؤثر في المشاعر أكثر من العقل فهو يهيئ النفوس للتأييد والاستمالة هذا من جهة الأسلوب عامة، أما من جهة الأسلوب القرآن الكريم فهو يجسد الحجج بمنهجية رصينة وفي ذلك يشير (عبد الله صوله) مؤكداً، أنّ أسلوب القرآن ذو بعد حجاجي وأنّ الحجاج فيه ناشئ عن طريقة له في القول مخصوصة، أي؛ إنّ القرآن يحمل حجاجاً، وحجاجه مجسّد في أسلوبه¹.

فالأسلوب له أثر في السّامع ناتج مفهوم تأثيري أو عاطفي فحضوره في الخطاب حضور تداولي حجاجي وأساليبه التعبيرية المختلفة خاضعة للسياق ويمكن الحديث عن الأسلوب تحت اسم نظرية أفعال الكلام الحديثة.

أ- مفهوم الأسلوب من المنظور الحجاجي:

إنّ مفهوم الأسلوب ينحصر في اعتباره طريقة في الخطاب الحجاجي يسعى نحو تغيير موقف السّامع أو تثبيته، كما يعبر عن انتماء المتكلم ووجهته الثقافية والعلمية التي تظهر في خطابه وعن مكانة السّامع ومستواه، يعرفه (جاكسون) بأنّه «بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً»²، ويعرفه (سعد مصلوح) باعتباره: «اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسّمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين»³، بمعنى؛ أن الأسلوب طريقة فريدة في اختيار تراكيب لغوية في تقديم الخطاب، وهو تعريف ينسجم مع ماهية "قانون الأنفع" في الدرس الحجاجي المعاصر.

¹ - ينظر: عبد الله صوله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص ص 52-53.

² - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، لبنان، ط 3، ص 38.

³ - مندر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط 1، 2002، ص 141.

ومن خلال ما أومأنا إليه، فإنّ حجاجية الأسلوب تظهر في كونه فنّ خطابي وظيفي حجاجي مستميلٌ للآخر إمّا بشكل صريح وإمّا بشكل ضمني بمعنى:

- فنّ خطابي في صناعة تراكيب لغوية جمالية بديعة لها غاية مقصودة ومستميّة للآخر.

- وظيفي في إنشاء خطاب له بعدّ تغييري إمّا دفاعاً ودحضاً وإمّا بناءً وهدماً.

- حجاجي في اهتمامه بالتأثير في السّامع لتغيير وجهته وإقناعه اعتماداً على أسلوب قويّ يدّعم الأطروحة.

ب- حجاجية الأساليب الخبرية والإنشائية:

ينتمي الأسلوبان الخبري والإنشائي باعتبارهما تراكيب لغوية بلاغية لعلم المعاني وهو: «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من استحسان وغيره، وفهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب»¹ والمقصود بالتركيب هو ما تشكلت به الجملة وهو يمثل مجموعة العلاقات القائمة بين الكلمات وتتمثل هذه العلاقات في التركيب الخبري والتركيب الإنشائي بحسب المقام².

ومن ثمة، قسم العرب الكلام المفيد إلى خبر وإنشاء بنوعيه الطلبي وغير الطلبي وقد كانت دراساتهم ثرية وقيمة نوجز أهم الأساليب الواردة في المثل القرآني فيما يلي:

- الأسلوب الخبري:

فالخبر عندهم هو «الكلام المحتمل للصدق والكذب»³، والأصل في الخبر الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى ذلك الحكم "فائدة الخبر" ويقوم على أساس أن من

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 161.

² - ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه العلوم في اللغة، إشراف: السعيد بن إبراهيم، جامعة لحاج لخضر باتنة، 2009-2010، ص 302

³ - السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 164.

يُوجه إليه الخطاب يجهل حكمه أو مضمونه ويُراد إعلامه أو تعريفه به. يحرص عليه المتكلم لتعريف السّامع بشيء يجهله، ويسعى لإخبارهم بالحقائق لغرض إفادة السّامع بها ويسمى ذلك "لازم الفائدة"، ويقصد به أن يفيد السّامع أن المتكلم عالم بحكم الخبر أو مضمون الخطاب¹، ونظيره في الفكر الغربي وبمصطلح (سيرل) يطلق عليه "التقريبات" وهي التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة² والظاهر أن الغرض منه هو نقل خبر من حادثة أو واقعة حصلت.

وتجدر الإشارة إلى أن الخبر ليس مقصوراً على هذين الغرضين "فائدة السّامع" أو "لازم الفائدة" فقد يلقى لأغراض أخرى تفهم من السياق؛ التمني، الإنكار، النفي، الأمر، التعظيم، الوعد والوعيد، الفخر، التعجب.. وغيرها من الأغراض التي يكشف عنها السياق التخاطبي.

ومن أضرب الخبر:

- **الضرب الابتدائي:** وفيه يستغني عن مؤكّدات الحكم، إذا كان السّامع خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر والتردد، وقد استغنى فيه عن المؤكّدات لتمكّنه في الذهن حيث وجده خالياً³

- **الضرب الطلبي:** وهو الذي يحسن تقويته بمؤكّد واحد إذا كان السّامع متردداً في الحكم طالبا له، ويستحسن تقويته بمؤكّد واحد ليُزيل تردده ويتمكن الحكم إذا كان

¹ - ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2009، ص ص50-51.

² - ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوسيين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 66.

³ - ينظر: بدوي طبانة، المعجم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 61-62.

للسامع ظن في خلاف الحكم المؤكد¹. فمعظم القضايا التي دخل عليها التوكيد في القرآن كانت محل نزاع بينه وبين خصومه مثل البعث والحشر والثواب والعقاب والجنة والنار ومثل وحدانية الله وصدق نبوة الرسول².

- **الضرب الإنكاري:** وهو الضرب الذي يقال لمنكر الحكم الذي تضمنه الخبر ويجب توكيده بحسب الإنكار قوة وضعفا فتجب زيادة التوكيد بحسب زيادة الإنكار إزالة له³.

ومن جانبنا نرى أن، التركيب الخبري يأتي لإفادة السامع بواقعة أو بحقيقة ما لغرض إما الإخبار أو الوصف أو الرد بحسب الموقف الحجاجي.

- **الأسلوب الإنشائي:**

الأسلوب الإنشائي «هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه»⁴. فهو حمال أوجه وينقسم الإنشائي إلى قسمين: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي.

- **الإنشاء الطلبي؛** يستدعى مطلوبا غير حاصل في اعتقاد السامع وقت الطلب⁵، ويقابله في الدرس الغربي ما ذهب إليه (سيرل) في تصنيفه للأفعال اللغوية وقد سماها "بالأفعال التوجيهية" وتتحدد بأنها: «كل المحاولات الخطابية التي يقوم بها

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص ص 382- 678.

²-ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، مرجع سابق، ص 316.

³-ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص ص 382- 678.

⁴-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، مرجع سابق، ص 69.

⁵-ينظر: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، شرحه: عبد الرحمان البرقوق، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص ص 151-154.

المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل»¹، إذ يظهر غرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه السامع إلى فعل شيء ما، والمحتوى القضوي فيها هو دائماً فعل السامع شيئاً في المستقبل، وتدخل عند (أوستين) في أفعال السلوك وأفعال القرارات²، والإنشاء الطلبي هو عبارة عن بنية لغوية أو صيغة خطابية توجه السامع لانجاز عمل محدد مطلوب في الخطاب وأنواعه خمسة وهي:

الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. والاستعلاء أن ينظر المتكلم لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يأمره، وله أربع صيغ تنوب عنه، فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، أو اسم فعل الأمر بمعنى أزموا، المصدر النائب عن فعل الأمر³.

الاستفهام: لطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حُكماً بشيء على شيء أو لا يكون⁴، وهناك نمط أطلق عليه (ديكرو وانسكومبر) اسم "الاستفهام الحجاجي" يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية، بأن الأسلوب في هذه الحالة يكون ظاهرة كمية بإضافة لفظ إلى الجملة في أصلها الخبري الابتدائي أو حذفه، تؤدي إلى ظاهرة نوعية في الدلالة، إذ نحن ننقل بذلك من طريقة في الكلام هي الإبلاغية إلى طريقة أخرى هي الحجاجية، وقوامه العدول الطارئ على الكلام كمياً ونوعياً معاً⁵.

¹ - عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، عبد الكريم حسين عبد السعداوي، التوجيه الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء - عليها السلام -، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج 25، ع 4، 2017، ص 2.

² - ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 79.

³ - ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، مرجع سابق، ص 75-76.

⁴ - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 303.

⁵ - ينظر: عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص 113-116.

النداء: وهو طلب المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل "أدعو" منها الهمزة، يا، آياه، هيا، آ، وهي نوعان، الهمزة وأي لنداء القريب والباقي لنداء البعيد¹. وحصول الإقبال.

النهي: من فعل نَهَى يَنْهَى نَهْياً وَنَهْأً، والعامّة تقول يُنْهِيهِ عن الأمر، وهو طلب الكفّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء²، والإلزام، وله صيغة واحدة وهي صيغة الفعل المضارع المقرون بـ"لا" الناهية الجازمة³

التمني: هو أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه، نطلب شيئا مع جزمنا أنه لا يكون أو لا نتوقعه من أدواته لعل، عسى⁴ هل، لو، ودّ، لبت⁵.

يظهر لنا، أنّ دراسة معنى الخطاب لا ينحصر في أصواته وحروفه ومعانيه المعجمية بل يتعدى نحو القيام بالفعل أو تبني سلوك ما، فهذا الأمر يشتغل عليه الخطاب الحجاجي فالأسلوب بنوعيه، الخبري والإنشائي يفرض رؤية ضمنية ويسهم في تفاعل المتكلم والسّامع ويستدعي التركيز على المقام والقصد وهما مبدأين أساسيين في النظرية الحجاجية لإحداث ردّة فعل مناسبة.

مما سبق نفهم، أنّنا في أثناء تواصلنا مع الآخرين نستعمل أساليب لغوية أو صيغ تركيبية مناسبة للمقام تضمّر فعلاً أو سلوكاً يُطالب السّامع القيام به، إمّا أمراً أو استفهاماً أو تمّني أو نداءً أو نهياً، وقد تخرج عن معناه الأصلي للدلالة على المعنى

¹ -ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، مرجع سابق، ص 115.

² -ينظر: إنعام فوال عكاوي، المعجم المفضل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مرا: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 2006، ص 668.

³ -المرجع نفس، الصفحة نفسها.

⁴ -ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 303.

⁵ -ينظر: إنعام فوال عكاوي، المعجم المفضل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مرجع سابق، ص 428.

المقامي، وتضطلع التراكيب الإنشائية بدور التأثير وبوظيفة الإقناع في العملية الحجاجية لأن المتكلم في خطابه قد لا يقصد ما يقوله فحسب، بل يتعدى قصده ما قاله على هيئته التركيبية إلى أغراضه التواصلية، فعلى السامع أن يراعي ذلك، كي تتم عملية الفهم والإفهام بشكلٍ كاملٍ وتامٍ.

- **الإنشاء غير الطلبي:** وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ويكون بصيغ المدح والذم وصيغ العقود والقسم والتعجب والرجاء ويكون بزُب، ولعل، وكم الخبرية، أمّا المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراها نحو حبذا ولا حبذا وأمّا ألفاظ العقود فإنها تكون بالماضي مثل: بعث واشترت، ثم القسم والتعجب والرجاء نحو عسى وغيرها¹ فألفاظ العقود يقابلها في الفكر الغربي مفهوم "الاعلانيات" والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وميزت هذه الأفعال أنها تحدث تغييراً في الوضع القائم².

ما نفهمه من ذلك، أن الإنشاء غير الطلبي لا يسعى فيه المتكلم إلى جعل السامع يقوم بفعل ما أو بعمل ما، إنّما التعبير عن قضايا نفسية بعيداً عن التزوير والتشويه، لأنه يقوم على مبدأ النية والصدق في التواصل والتجاج.

تكمن الطاقة الحجاجية للتركيب الإنشائي فيما يؤديه ضمناً إذ يسهم المقتضى الناشئ عن التركيب الإنشائي في النهوض بوظائف حجاجية، فكثيراً ما تُبنى الحجّة في تركيب إنشائي وكثيراً ما تعضد التراكيب الإنشائية حُججا، بما توفره من إثارة وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، فالتركيب الإنشائي يثير المشاعر ويشحن بطاقة

¹-ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 480 - 481.

²-ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 81.

حجاجية هائلة، إذ من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى أن يستميل السامع ويساعد الحجة للوصول للإقناع ومن ثم كانت الاختيارات التركيبية التي يوظفها المتكلم لغاية حجاجية¹، فلا يمكن للبلاغة الجديدة أو الحجاج البلاغي دراسة الأسلوب الخبري والإنشائي منفصلاً عن طاقاته الحجاجية الإقناعية، مثلاً: أسلوب الاستفهام يُطرح في مواقف محاجة ونقاش بين متخاطبين إذ يتضمن حجة ونتيجة يسعى السامع للوصول إليها، وأسلوب الأمر كذلك يكون في موقف يدفع به المتكلم السامع القيام بفعل أو ترك، وهذا ما تقوم عليه النظرية الحجاجية، ونؤيد ما قلناه برأي (محمد سالم محمد الأمين الطلبة) حين قال: «تُعنى بلاغة الحجاج أيضاً بثنائية بلاغة الحجة وبلاغة أسلوبها معا كشرطين متلازمين لتحقيق الخطاب ونفاذه»²، وبلوغه للمقصد. كذلك نلاحظ، أن الصيغ الأسلوبية تخدم الوظيفة التأثيرية التي يُنشئها المتكلم للسامع عن قصدٍ لتوجيه خطابه من خلال ما يتولّد من أغراض إخبار أو استفهام أو تعجب أو تمنٍ لدى السامع الخاص أو الكوني.

وتأسيساً على ذلك، فإن الخطاب الحجاجي قائم على العلاقة بين الحجج والصور البلاغية والوجوه الأسلوبية وهي علاقة اتصال وتلاحم لا انفصال، وظيفتهم تكثيف الإقناع في الخطاب وتعزيز معناه ومقصده، حتى يتسنى للمتكلم تقديم أطروحته بشكل يجعله مقبولاً عند السامع، كما تقدم الصور البلاغية أيضاً صورة ذهنية ناتجة عن الخيال فيحصل الاقتناع، وعليه، فالصور البلاغية والأسلوبية تمثلان تقنيات حجاجية لكونهما يدفعان نحو التخيل وبالتالي اندماج وتأييد وإذعان، فيأخذ السامع بمعارف لم تكن في قناعاته السابقة، إذ تعمل هذه الحجج التي تميل للعقل وللخيال، على ضمان مميزات خاصة بالخطاب لتثير أهواء السامع وتحقق أهداف المحاجة،

¹ -ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، مرجع سابق، ص 302.

² -محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 106.

ولجعل الخطاب إقناعي بلاغي، تداولي. إذن؛ فالخطاب الحجاجي يُبنى على الحجج والصّور البلاغية باستعمال أسلوب خبري أو أسلوب إنشائي ملائم وهنا يصبح الحديث عن الخطاب يعني الحديث عن الفعل المطلوب من الخطاب.

خلاصة القول: استناداً إلى المتاح المعرفي فإن المنطلقات والتقنيات الحجاجية سواء الحجج العقلية أو الانفعالية من صور بلاغية أو أسلوبية، تقودنا في نهاية المطاف إلى النظر إليها لا باعتبارها تقنيات يتوقف توظيفها على الاستدلال والجمال والزخرفة، بل لبلوغ أوج نقطة من الاقتناع، وما قدمناه في هذا الفصل يثبت أن كل التقنيات السابقة تصل إلى استنتاج واحد هو أن الخطاب الإقناعي لم ينشأ بعيداً عنهم، فلا يمكن تصور خطاب حجاجي من دونها، وعليه نلاحظ، أنّ التكامل بين تلك المتغيرات ضروري ومطلوب لبناء خطاب حجاجي إقناعي والحصول على تأييد السّامع.

الفصل الثالث

الحجج شبه المنطقية في المثل القرآني

-تمهيد

أولاً: الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية

ثانياً: الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية.

تمهيد:

قدّمنا في الفصول السابقة المفاهيم والتقنيات التي تُؤطر البنية الحجاجية، المتعلقة بالمثل القرآني، على اعتبار أن القرآن الكريم -له خصوصيته بوصفه خطاباً متعدد الحجج- اعتمد المثل منهجاً وحجّةً للدعوة إلى الله وإرشاد النفوس والعقول إلى طريق الحق، مع وجود غاية في المثل القرآني توحى أنّ ثمة حتماً حجاج وتوجيه. ما يعني أنّ المثل عموماً محمل بالعديد من القيم والمضامين المقبولة اجتماعياً وحضوره في أثناء التّحاج يعزز مصداقية الخطاب ويدفع للتأييد يقول (بيرلمان): «يؤتى بالمثل كنداءٍ للسّامع الذي نسيّ القيم التي لا ينبغي إهمالها، وتُولد في الخطاب مستعيّرةً مكانتها كأمثال على الفور من الأمثال الموجودة إمّا عن طريق التقليد الشكليّ البحت، أو لأنّ المثل الجديد ما هو إلا توضيح جديد لنفس المعيار»¹. حينها أدركنا أن المثل القرآني يُوصف بأنّه خطاب حجاجيّ تفاعليّ لاستناده على المنطلقات الحجاجية والحجج البلاغية والمنطقية التي تُيسّر فهم المقاصد، وقيادة السّامع نحو الاقتناع إمّا بتدعيم المعتقدات أو بتغيير القناعات.

ليس هذا فحسب، فإضافةً لكون المثل القرآنيّ خطاباً حجاجياً فهو كذلك خطاب تداولي تخيليّ؛ «فهو المهيم على الزمان والمكان والمتغيرات، بما يمنحه من وعي كامل للوجود الكوني وحركته وعلاقته، إنّه وعيّ الكون كلّه بما فيه مدركاً بكلمات الله، فلا يمكن للماضي أو الحاضر أو المستقبل أن يحيط بوحى الكتاب مطلقاً، وإنّما يأخذ منه ما يستدعيه عصره بنسبية الظرف التاريخي ومتعلقاته الاجتماعية والحضارية وعبر طرائق فكره»²

¹Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca ; traite de l' argumentation la nouvelle rhétorique ;p 225

² - محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن؟، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط7، 2005، ص7.

فالأمثال القرآنية صادقة في كل إطار تداولي بجميع حيثياته، لأنّ الزمن في الخطاب القرآني زمن مفارق يجمع بين الممكن وبين الواجب والمستحيل. وهو تخيليّ لاهتمامه بالصّور البلاغية والأسلوبية وما تحيل إليه من معانٍ تحرك أهواء السّامع وهذا ما يؤكد على حاجية المثل القرآني.

والحال، أنّنا نُقرُّ باشتغالنا في الجانب التطبيقي على رَصْدِ التقنيات الحجاجية في المثل القرآني، وعلى وجه حضورها الفعليّ، لكونه خطابًا حجاجيًا، ستتمُّ دراسته وفق أصناف الحجج العقلية المنطقية والبلاغية التي تصاحبه وما تحمله من قوّة تأثيريّة وإقناعيّة؛ لنفسر ونبيّن الأطروحة المفروضة على السّامع الخاص والكوني.

من هذا المنطلق، سننظُرُ لخطاب المثل القرآني في بعده الحجاجي، وذلك من خلال مساءلة الكيفيّة التي من خلالها نستجلي فاعليّة البنية الحجاجية المنطقية والبلاغية في المثل القرآني، مركزين على أربع زوايا خطابية والتي تتمثل في:

- معرفة الأطروحة التي يسعى المثل القرآني إلى إثباتها أو دحضها والنتيجة التي يقرّ بها.

- معرفة نوع الحجّة المعتمدة في الدّفاع عن الأطروحة لتغيير المواقف، والكشف عن دورها الإقناعي في المثل لفهمه وتعلّقه.

- فهم الوظائف الحجاجية (الغاية) التي جاءت من أجلها الوجوه البلاغية.

- الكشف عن الأسلوب المناسب لتنظيم الحجّة، بغية إثارة الأهواء نحو المرغوب وبيان المرفوض.

أولاً: الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية

لَمَّا كانت الحجج شبه المنطقية تعتمد على العمليات الرياضية، فإنّ المحاجّ المتكلم يسعى إلى توظيفها في الخطاب لتحصيل إقناع الجمهور السّامع أو الكوني والتأثير فيه وحثه على المفروض والمطلوب منه، عبر تفسير الوقائع والأحداث بواسطة حجج تقترب من العمليات الرياضية، بل مبنية بأساليب رياضية مؤثرة، إذ لا تستلزم الرّد لكونها ذات بنية رياضية ثابتة، فأصبح كل سامع يستطيع أن يحل شخصيته بناءً على المعطيات الموجودة في المثل القرآني، لأنّ لكل طرف صفات وخصائص ونتائج إيجابية أو سلبية وهذه الحجج كثيرة الورد في الأمثال القرآنية نذكر منها:

1- حجة المقارنة:

من أهم وسائل الحجاج التي لجأ إليها الخطاب القرآني عامة والمثل القرآني خاصة: **حجة المقارنة**، كونها تفتح باب التفاعل والنقاش، فقد جاءت واضحة في سورة إبراهيم، وهي سورة مكية. في آية نزلت في موضوع "كلمة الإيمان وكلمة الكفر"، في واقعة اتخذ فيها الكفار موقف التهديد للمؤمنين بإخراجهم وطردهم من البلاد أو العودة إلى الملة الوثنية القديمة المتوارثة¹، حينها خاطب الله تعالى رسوله الكريم "محمد صلى الله عليه وسلم" - فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

¹ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج13، دار الفكر، دمشق، ط2، ط10، 2002، 2009، ص 243.

إبراهيم [24-28]، يفسر لنا (الطبري) أن هذا المثل ذكره الله تعالى لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم- حين خاطبه باستفهام ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف أن مثل كلمة طيبة ويعني بها الإيمان بالله تعالى كشجرة طيبة الثمرة أصلها ثابت وفروعها مرتفعة نحو السماء، تطعم ما يُؤكل منها من ثمرها كل حين بأمر ربّها ويضرب الله تعالى الأمثال للنّاس، لعلهم يتذكرون حجة الله عليهم فيعتبروا بها، ويتعضوا فيزجروا عمّا هم عليه من الكفر به، ومثل الكلمة الخبيثة أي الشرك بالله كشجرة خبيثة، وهي صفة الكافر بالله تعالى وأنّ عمله الذي هو معصية الله لا أصل ولا ثبات له في الأرض ولا مصعد له في السماء¹.

الواضح أنّ الأطروحة التي يدافع عنها المثل هي العقيدة الإسلامية الراسخة في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، ودحض أطروحة الشرك بالله.

لقد توسل المثل القرآني في حاجه الاعتماد على **حجة المقارنة** التي « تتم بين عدّة أشياء من أجل تقييمها بالنسبة لبعضها البعض»²، والتي تمثل أيضاً التعبير عن وجهة المتكلم وهو الله تعالى حول حقيقة المؤمن وحقيقة الكافر فتظهر في نسيج المثل على شكل مقارنة تقييمية تفسيرية باستعمال التشبيه في مقام حاجي، بمعنى؛ أنّ التشبيه هنا بمثابة دليل يُنصبُّ للاحتجاج على دعوى ليرفع الله تعالى التناقض ويردّ على أقاويل المعترض بما يناسبه³، دفاعاً وبياناً للأطروحة، فنلاحظ أن المثل القرآني يُقيم علاقة بين حدين متباعدين؛ الإيمان بالله والشجرة الطيبة، ووضعهما في مستوى التساوي وكذلك الكفر والشجرة الخبيثة، ليدفع بالسامع الخاص (محمد-صلى الله عليه وسلم-) أو الكوني (الأمّة) إلى إعمال عقله لكشف حقيقة المؤمن التي

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مج 4، مرجع سابق، ص ص 401 - 400.

² - Chaïm perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; traite de l argumentation la nouvelle rhétorique ;326

³ -ينظر: توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص 44.

تتجسد في صورة محسوسة وهي الشجرة الطيبة فيتبين له أن للمؤمنين بالله جزاءً حسناً وكذلك ليعرف حال الكافر من خلال صورة الشجرة الخبيثة، فيفهم أن المشركين ضعفاء، و هذه الصورة التشبيهية تدعو السامع وكل من معه إلى معرفة أنفسهم ومحاسبتها في ضوء ما تثيره التشبيهات من أهواء الاطمئنان للتشبيه الأول وأهواء الفرع للتشبيه الثاني، حينها يقيس السامع قيمة الشجرة الطيبة في صفاتها التي تدل على فخامتها من عطاء مستمرٍ وعلوٍ وجمالٍ إلى ما يُريد الله سبحانه الحصول عليه من السامع محمد -صلى الله عليه وسلم- وإلى كل من يسير على طريقه للإذعان بالأطروحة أي بالإيمان بالله وحده لا شريك له والتمسك بالعقيدة الثابتة باعتبارها قيمة ايجابية لما تحققه من منفعة في حياة العبد، ويقيس قيمة الشجرة الخبيثة في صفاتها التي تدل على القبح وانقطاع وانحطاط إلى ما يريد الله تعالى تنبيه السامعين للابتعاد عنه وهو الشرك والضلال وهي قيمة سلبية، وبذلك يكون التشبيه قد بيّن حقيقة المؤمن بصورة الشجرة الطيبة، كما أدى إلى إعلاء من قيمة الإيمان بالله والترغيب به وهدم حجة الخصم الظاهرة في التشبيه بصورة الشجرة الخبيثة التي تتمثل في الشرك بالله.

أضف إلى ذلك، الاعتماد على حجة المقارنة في شكل التقابل وهو ما يسمى في الدرس البلاغي ب"المقابلة"، بين الإيمان بالله، والشرك به من زاوية اختلافهما وإقامة مواجهة بين الطرفين وتقييمهما، فاكتمت الأطروحة التي يدعو إليها المثل القرآني لقوة الحجائية والمكانة العميقة في وعي السامع، لِنَقْوَدُهُ نحو الإذعان والافتناع بعبادة الله وحده لا شريك له، ويظهر التقابل في أن كل حجة تليها حجة مقابلة لها لتحريك المشاعر وإثارة الأهواء وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ﴾ إبراهيم [24]

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ إبراهيم [28]

فازداد الخطاب قوّة إلى قوّته، في بيان مدى ترفع أمر المؤمن بعقيدة التوحيد وفي المقابل تهوين أمر المشركين وبيان عاقبتهم، وعليه، جاء كل جزء من أجزاء هذه الآية يقابله الضدّ من الجزء الموالي، ليوضح خطاب المثل بالحجّة البالغة والآية البيّنة ولا يترك مجالاً للردّ، ولأنّ المثل القرآني جاء ليحرك أهواء السّامع وذلك بالارتكاز على الأحاسيس الكفيلة نحو الاتجاه المرغوب وحمله إلى غايات ساميّة يتجه بها اتجاهاً ايجابياً وهو الخضوع والاستسلام له، وإظهار للسّامع حكم كلمة الإيمان وكلمة الشرك بشكل سهل من خلال صورة وحكم الشجرة الطيبة والخبيثة، فيصبح السّامع هو المدرك بمعنى المثل فيعلم المقصود منه، ويصل إلى نتيجة تجعله يصدر الحكم على نفسه بنفسه إن كان مؤمناً فيزداد إيماناً وإن كان كافراً فيستنتج المعنى ويذعن للدّعوة التي يروم سبحانه وتعالى بيانها له، والتمسك بها وفي ضوء هذا التقابل بين الشجرة الطيبة والخبيثة، يتم إصدار حكم من طرف السّامع من خلال التأثير الذي أحدثته المقارنة التي تقترب من الموازنة والترجيح بين الطرفين، والذي يتجسد في النتيجة التي توصلنا إليها: أنّ حكم المؤمن بالله تعالى القبول والثبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأنّ حكم الكافر الضلال فأعمالهم لا قبول لها ولا ثواب، ونوضح هذه الحجة كالتالي:

السّامع	+	الإيمان بالله تعالى	=	سامع مؤمن	=	شجرة طيبة
السّامع	+	الشرك بالله تعالى	=	سامع كافر	=	شجرة خبيثة

لقد تم اعتماد هرمية متميزة في المثل القرآني مبنية بحسب تراتبية مقصودة بداية بالمرغوب والمطلوب وهو الإيمان بالله لهدم (المقابل) المرفوض وهو الشرك بالله، مركزاً على الأسلوب الإنشائي الذي « يسعى إلى تقديم رسالة محملة بالمشاعر والانفعال دون أن يفسح مجال الرد لعدم ثبوت عكسها لدى المتلقي أو المعارض لسبب من الأسباب وهذا يشحنها بطاقة حاجية هامة تحقق الانفعال والإثارة»¹.

الواضح في صيغة السؤال بالهمزة المصحوبة بنفي وأداة "كيف" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ وهو بمثابة ردّ على المعارضين والمنكرين للدعوة الإسلامية، وكأسلوب دفاع يجعل السامع يتفاعل ليعرف الجواب بنفسه من خلال التصور والتخيل، وقد عرف (مايير) السؤال بأنه: «ضرورة الاختيار، أي أنه دعوة إلى اتخاذ القرار»²، والغرض الذي يسعى إليه في المثل القرآني هو إيقاظ ذهن السامع وجعله يتقرب ما يردُّ بعد هذا الكلام³ بمعنى؛ أن السؤال لم يكن إلا دعوة صريحة صادقة من الله تعالى للسامع (محمد-صلى الله عليه وسلم-) والكوني (الأمّة) لاتخاذ القرار المناسب وإثارة أهواء السامع بنوعيه نحو الإجابة عن السؤال والتشويق بالأطروحة المتمثلة في توحيد الله، وتوجيهه نحو موضوع الإيمان والشرك لمعرفة النتيجة، ويُنَبِّه المشركين آنذاك وكل الذين هم على شاكرتهم إلى المصير نفسه، ومن هنا ندرك أهميّة صيغة الاستفهام من الناحية الحاجية أنّها خطوة مهمة للتفاعل وإثارة السامع ودفعه نحو تأييد الأطروحة والإذعان لها.

¹ - عبد الحق دادي، في فلسفة البلاغة العربية حفريات في البنية المعرفية والوظيفية عند ابن البناء المراكشي، تقديم: إدريس مقبول، دار نشر المعرفة، المغرب، ط1، 2019 ص ص 110، 109.

² - حافظ إسماعيل علوي، الحجج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج5، إريد، عالم الكتب الحديث، 2010، ص 33.

³ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، مرجع سابق، ص 223.

نجد كذلك حجة المقارنة في سورة البقرة وهي سورة مدنية. في سياق الإنفاق عندما أنزل الله تعالى آية تتناول موضوع "الإخلاص لله" خاطب "المؤمنين" فيها، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)﴾ البقرة [264- 265]

يذهب بنا (عمر سليمان عبد الله الأشقر) في تفسير هذه الآية أنّ الذي يتبع صدقته مئاً أو أذىً فهي صدقة باطلة غير مقبولة، وقد شُبِّه هؤلاء الذين يريدون من وراء صدقاتهم مديح الناس ونيل الحظوة عندهم، ولا يريدون بها وجه الله ونيل الأجر والثواب في يوم القيامة، بحجر أملس عليه تراب، فنزل على ذلك الحجر وابل وهو المطر الشديد فأذهب التراب الذي عليه، وبقي الحجر أجرد لا يصلح للزرع ولا فائدة فيه، فكذلك عمل المرآئي لا يجد له ثواباً يوم القيامة، عكس عمل المؤمن الذي ينفق لوجه الله فضاعف بأكثر مما أنفق¹.

مثالان لهما أطروحة واحدة تحت على الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله إيماناً و يقيناً من عند أنفسنا، ودحض الأطروحة التي تجعل الصدقة من أجل نيل الثناء عند الناس.

¹ -ينظر: عمر سليمان عبد الله الأشقر، المعاني الحسان، مج 1، ج 3، درا النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2015، الأردن، ص ص371.

ورد المثل على شكل **حجة مقارنة** بين الصدقة لوجه الله بالجنة والصدقة لإرضاء الناس بالحجر الصلد، التي تظهر في بنيته على شكل مقارنة تقيميّة بالاعتماد على التشبيه؛ فعمل المرآئي شبيه بالحجر الأملس الذي لا يصلح للزرع وهي **حقيقة** مسلم بها واقعياً، تم الاعتماد عليها بغية إثارة أهواء السّامع واستمالاته بالقضية المطروحة وإصدار حكم المرآئي من خلال الحجر الذي ذهب التراب عنه وتركه أملس لا منفعة فيه، وانطلاقاً من هذه الصورة التي رسمت له في الخطاب يكشف السّامع الخاص (المؤمنون) أو الكوني (الأمّة) عن قيمة عمل المرآئي وحقيقته؛ أنّ ظاهر عمله جميل وهو ما يراه الناس وباطنه رديء، لما يسعى إليه في نفسه من استحضار أهداف دنيوية وتغيبٍ للذّات الإلهية في فعل الصدقة، فيدرك السّامع التساوي بين الحدين، ليقس قيمة الحجر الصلد في عدم المنفعة إلى ما يريد الله تعالى دفع السّامع للامتناع عنه وهو الإنفاق للحصول على مدح النّاس وبتالي تلحق به خسارتين؛ «خسارة أولى أنّه انقص ماله بالفعل، لأنّ الله لن يعوض عليه، لأنّه اتبع الصدقة مناً وأذى والخسارة الأخرى هي الحرمان من الثواب»¹ وعليه نخلص إلى نتيجة منطقية مفادها أنّه لا صدقة ولا إنفاق في دائرة الرّياء ونجسد هذا في الجدول التالي:

الصدقة	+	وجه الناس (الرياء)	=	الخسران في الدارين.
--------	---	--------------------	---	---------------------

ومقارنة عمل المخلص بالجنة المضاعفة، من خلال صفاتها المطابقة لحاله؛ من نعيم دائم وخيرات وفيرة وثمار متنوعة وعطاء ممدود، فيعرف السّامع قيمة عمل المتصدق بإخلاص الذي ظاهره تحقيق النّماء في المجتمع وباطنه الرضا والإيمان بالله تعالى لأن «النّفس الإيمانية تتصادم مع النّفس الشّهوانية التي تحاول أن تمنعها،

¹ -الشعراوي، تفسير الشعراوي، راجعه: أحمد عمر هاشم، مج 1، دار أخبار اليوم، الأزهر، ص 1154.

وتتغلب النفس الإيمانية على النفس الشهوانية وتنتصر لله¹، ونقيس قيمة الجنة فيما تقدمه من قيم إيجابية إلى ما يريد الله سبحانه وتعالى قيادة السامع إليه والعمل به وهو الصدقة بإخلاص لأن القاعدة التي جاء بها المثل أو النتيجة التي توصل إليها السامع تقوم على أن:

الصدقة	+	وجه الله تعالى	=	الفلاح في الدارين أي؛ جنة تُؤتي أكلها ضعفين
--------	---	----------------	---	--

كذلك، تم الاعتماد على المقارنة في شكل التقابل لإقامة مواجهة بين الرياء والإخلاص من زاوية اختلافهما واختلاف حكمهما.

لأن خطاب المثل قائم في الأصل على هرمية مقصودة تستدرج السامعين نحو مقابلة المستوى الأدنى المنتشر في ذلك المجتمع بالمستوى الأعلى المرجو إتباعه، لذا، جاءت الحجة الأولى تقابلها حجة ضدها بحيث كل جزء من أجزاء هذه الحجج يقابلها الضد من الحجة اللاحقة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ البقرة [264]

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ البقرة [265]

هذا، لإثارة الأهواء بشكل مُقنع أي مقابلة المعنى بال ضد، وليحذرهم عن ذلك العمل، لأن المثل القرآني يدفع بالسامع الخاص (المؤمن) والكوني إلى إدراك المقصود بشكل مؤثر ومقنع من خلال إثارة أهوائه بالصورة وضدها و«لتقوية معاني الخير في

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 1156.

أنفسهم»¹ ويستنتج السامع معنى المثل، فلا ينهاه الله تعالى في هذا المثل فيدعه مستمرا في طغيانه، بل يقدم له ما ينبغي فعله، فيلاحظ السامع بنوعيه أن خطاب المثل يدفع سلوكاً (الرياء) ليدحض أعمال الكافرين، ويُقرّ آخر (الإخلاص) ليوجّه المؤمنين نحو الحكم المرغوب، ذلك انطلاقاً من مصير وحكم كل من الحجر الصلد والجنّة، فحكم الأول ذهاب التراب عنه وتركه أملس لا إنتاج ولا منفعة فيه، فتكون النتيجة أن عمل المرآئي عمل ذاهب وجزاؤه الضلال، ومقابلته بحكم الإخلاص من خلال صفات الجنّة وهي المضاعفة والثمار المستمرة وجزاؤه القبول، حينها أدت صورة الحجر الصلد إلى تفويض حجة الخصم التي تتمثل في تحقيق المنافع في الحياة واستبعاد الأجر والثواب، وأدت صورة الجنّة إلى الرّفْع من قيمة الإخلاص لله تعالى، ليصل إلى النتيجة التي تجعله يصدر الحكم على الصدقة بنفسه، ويصل للقاعدة التي جاء المثل بها وهي أن الصدقة تكون بالإخلاص فحسب. فيحصل التأييد بما جاء في المثل والعمل به.

فحجة المقارنة في هذا المثل القرآني قد رغبت في الإنفاق في سبيل الله ببيان الأجر العظيم الذي يجنيه المنفقون من وراء نفقتهم، بمعنى آخر؛ تحريم المنّ والأذى في الصدقات لما تؤدي إليه من فساد وبطلان العمل، وهي كافية لجعل السامع في حالة تغيير معتقداته إن كان من المرآئيين أو على طريقهم أو الثبات أن كان من المخلصين فالمثل يخاطب العقلاء أصحاب الرغبة في التقرب إلى الله.

وما زاد الحجّة دعفاً نحو الاقتناع بها ورودها بأسلوب النداء المصحوب بالنهاي الدال على أن المتكلم بها ذو حظوة وسلطان وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ البقرة [264]، من أجل استتصال طبيعة المنّ والأذى في

¹ - عمر سليمان عبد الله الأشقر، المعاني الحسان، مج1، ج3، مرجع سابق، ص373.

نفوس الناس¹، وهذا النداء هو نداء الحق رنّ بشكل لطيف وصريح في آذان المؤمنين، يدعوهم إلى التقيد بالأمر الإلهي لتجنب فعل الرّياء، وإتباع سبيل الإخلاص فعلى كل مؤمن أن يتذكر وجه الله في كل عمل سيقوم به، فحجة المقارنة جاءت بأسلوب النداء ليكون ذلك أدعى للقبول والامتثال لأمر الله تعالى.

2- حجة التعدية:

تتعلق حجة التعدية من بنية منطقية تسمح لنا بإثبات العلاقة بين الوضعيتين (أ) و(ب) وبين (ب) و(ج) واستنتاج علاقة جديدة بين (أ) و(ج)، أحياناً علاقة تفوق والتي تظهر بشكل تقريبي في حجة المقارنة وأحياناً علاقة تضمين وفي بعض الأحيان علاقة تساوي، ونجد مثل ذلك في علاقة التساوي في موضوع "أعمال الكفار" قال تعالى في سورة إبراهيم وهي سورة مكية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)﴾ إبراهيم [18].

فأعمال الكافرين الصالحة كصلة الرحم والصدقة على الفقراء في عدم الانتفاع بها كالرماد الذي عصف به الريح العاتية، فجعلته هباء منثوراً، لا يقدر عليه الكافر على ما عملوا في الدنيا ولا يجدون له ثواباً، فمصيرهم الضلال والهلاك².

يدحض المثل القرآني أطروحة انتفاع الكفار بأعمالهم الخيرية في الحياة وفي الآخرة لغياب شرط الإيمان، ليثبت أطروحة أن أعمال المؤمنين لها ثواب وأجر عظيم عند الله تعالى لتأسيسها على الإيمان بالله والإخلاص له.

¹ -ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج1، ج3، مرجع سابق، ص 50.

² -ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج 7، ج 13-14، مرجع سابق، ص

حيث تظهر حجة التعدية في علاقة التساوي:

الوضعية (أ) و (ب)	وضعية (ب) و (ج)
أن أعمال الذين كفروا بالله (أ) = شكل رماد اشتد به الريح (ب)	شكل الرماد الذي اشتد به الريح (ب) = مصيره تناثر وتفرق في كل مكان (الضلال) (ج)

ومنه، (أ) = (ج) أي؛ كل أعمال الكفار كرماد اشتد به الريح مصيره التناثر وعليه، فالنتيجة المفهومة: أن أعمال الكافر بالله نتيجتها التشتت والضلال.

لقد اعتمد المثل القرآني على مقومات حجاجية أخرى من تشبيه تمثيلي في قوله تعالى: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ إبراهيم [18]، حيث شبه أعمال الكفار الصالحة (المشبه) برماد متجمع (مشبه به) والأداة (الكاف) فإذا هبت الرياح به انتثر وتفرق تفرقا لا يرجى اجتماعه مرة أخرى (في يوم القيامة) ووجه الشبه هو « الهيئة الحاصلة من اضمحلال شيء كثير بعد تجمعه»¹، ومن لطائف هذا التمثيل أنه اختير له التشبيه بهيئة الرماد المجتمع لأن كثرة الرماد أثر لأفضل أعمالهم وهو كناية في لسانهم عن الكرم ليبيّن أن أعمالهم ذاهبة سُدى فلا يقدر أن ينتفعوا بشيء منها ذلك هو الضلال²، وفي قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ إبراهيم [18] وصف اليوم بالعصف مجاز عقلي أي عاصف ريحه لعلاقة سببية، تتجلى وظيفة التشبيه والمجاز في وصف حقيقة أعمال الكفار وحصر السامع في أهواء سخط وهي

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 1، مرجع سابق، ص 212.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج 13، ص 213.

وظيفة حاجية تسعى للتغيير من خلال إبراز أحد القيم السلبية للرياح العاصف بالرماد وهو التفرقة، ليخضع السامع لأثر تلك الهيئة المشبهة للكافر المأخوذة من بيئتهم فيندمج في جوي انفعالي مليء بالتنفير من تلك الأعمال التي غاب عنها شرط الإيمان بالله، ولينبه المؤمنين أن يسألوا أنفسهم أن له أعمالا مشابهة أو من الصلة نفسها فيتركها.

وردت حجة التعدية بأسلوب خبري يحوي أوجه بيانية تسهم في تثبيت البعد الحجاجي فيه، لأن الموضوع "أعمال الكفار" يقتضي أن يُقدم بكيفية إخبارية للفت انتباه السامع بنوعيه وإفادته نحو المقصد من المثل القرآني ونتيجته المتمثلة في أنه لا قيمة لأعمال الكفار الصالحة يوم القيامة.

وكذلك تظهر حجة التعدية في موضوع "عبادة الأوثان" في سورة النحل وهي سورة مكية « لما ذكر الله تعالى سفاهة المشركين في عبادتهم لغير الله، أعقب بذكر مثالين توضحا لبطلان عبادة الأوثان»¹، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76)﴾ النحل [76]

هذا المثل «ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع»² ليوضح مثل العابد لله والمشرك به، فمثل ذلك كمن سوى بين رجلين أحدهما أبكم عاجز لا يقدر على تحصيل خير وهو عبء ثقيل على سيده حيثما أرسله لا يحقق مطلباً ولا ينجح مسعاه، لأنه لا يفهم ما يُقال له ولا مقال لديه فلا يفهم عنه، والآخر

¹ - محمد لخضر سعيدات، ضرب الأمثال من كلام الكبير المتعال، ط1، 2016، ص 138.

² - الزمخشري تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 2009، ص 580.

ذو فهم ومنطق وقدرة ينفع النَّاس بالحث على العدل فمقاله حق وأفعاله وسريرته مستقيمة وطريقه قويم، هل من المعقول التسوية بين الاثنين؟ أي كيف يسوي الجماد بالله تعالى في الألوهية والعبادة؟ أو كيف يسوي الكافر المخذول والمؤمن الموفق؟¹ تتضح الأطروحة التي يدافع عنها المثل في الإيمان بالله لما له من منفعة تعود على صاحبه وعلى غيره ودحض فكرة عبادة الأصنام والكفر بأنعم الله.

إن قول الله يستند على صيغة منطقية تحمل شكل علاقة التعديدية لإقناع السامع بمنزلة العابد للأصنام والعابد لله تعالى ولنقل حكم الضلال، وحكم الثبات والهدى من حجة إلى حجة أخرى ليقود السامع إلى النتيجة المراد إثباتها واستنتاج العلاقة المنطقية التالية:

وضعية (ب) و(ج)	وضعية (أ) و (ب)
الأصنام لا تقدر على الكلام ولا تنتفع(ب) = حكمها العجز فهي لا يفهم ولا يفهم عنه (ج)	الرجل الأيمن يماثل الأصنام (أ) = الأصنام لا تقدر على الكلام ولا تنتفع بشيء (ب)

ومنه (أ) = (ج)، كل عابد للأصنام مصيره الضلال إذن النتيجة المفهومة أن المتمسك بالشرك نتيجته الضلال

¹ ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج7، ج13-14، مرجع سابق، ص 502-503.

الوضعية (أ) و (ب)	الوضعية (ب) و (ج)
الرجل العادل يماثل الله تعالى (أ) = الله تعالى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (ب)	الله تعالى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (ب) = حكمه أنه على كل شيء قدير (ج)

ومنه، (أ)=(ج)، إذن؛ الله تعالى عادل إذن، النتيجة المقصودة أن الله على كل شيء قدير.

انطلق المثل من صفة تتضمنها الأصنام (البكم) وصفة الله تعالى (العدل)، ليتعدى ذلك الوصف نحو العابد للأصنام والمتبع لمنهج الله بصفاته وسلوكه، حيث نقل المثل القرآني حكم وهو: لا يقدر على شيء أي؛ العجز والضلال من تلك الصفة (البكم) وهي جزء من الرجل الأبكم (الصنم) الفاقد للنطق فهو لا شأن له بالكلام، ونقل حكم التمكين والقوة من صفة العدل وهي جزء من شخصية الرجل الكامل (الله - عز وجل-) وذلك وفق حجة التعديّة التي تستمد قوتها من شكلها المنطقي غير قابلة للدحض إذ توافق الطرفين على صدق مقدماتها، ونتائجها فمن آمن بالمقدمات آمن بالنتائج.

تم الاعتماد في المثل القرآني على نفس ترتيب الهرميّة أي؛ من العادات المنتشرة إلى العادات الواجبة إتباعها، ليم الرّفح من درجة التأييد وبيان الفارق بينهما وعليه يستنتج السّامع النتيجة التالية: أنه لا يستوي الرجل الأبكم (الصنم) مع من هو كامل الحواس (الله عز وجل).

لقد تضافرت الاستعارة التمثيلية مع حجة التعديّة في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ النحل [76]، هذا، لزيادة قوة الحجّة في المثل الذي ضربه الله

لنفسه وللأصنام، حيث مَثَّل فيها الصنم بالرجل الأَبْكم العاجز والله تعالى بالرجل العادل القادر الذي لا ينفع، فالاستعارة هنا ليست في وصف الله والأصنام، بل هي في مقام الدليل والبرهان تجعل من السَّامع يربط الذهن بالإحساس ويصل إلى النتيجة المقصودة؛ لكونها تحمل السَّامع الخاص والكوني على المشاركة في المثل بعمل ذهني يوسِّع النظر في أبعاد هذه الاستعارة ويُكمل المشهد من خلال الوصول إلى المشبه به واستنتاج المطلوب منه. وعليه، يتعدى هذا التمثيل إلى تحفيز السَّامع بنوعيه على التمسك بعبادة الله تعالى. فالاستعارة في هذا المقام تعد مقوما حجاجيا حيث تركت لسَّامع خانة ليشارك في معناها وأنه معرض لتلك الصفة ولذلك الجزاء إن كان مثله، فاكسب هذا المثل الذي ضربه الله تعالى القوَّة التأثيرية لاشتغاله على صياغة النتيجة على شكل استفهام، الأمر الذي حفَّز على التفاعل مع المثل القرآني، وستلزم اتخاذ قرار إبطال المشاركة بين الله سبحانه وبين الأصنام مفادُه أنه؛

هل يستويان هذان الرجلان:

الأول: عديم النفع لا يسمع ولا ينطق(الصنم)

الثاني: كامل النفع وهو المنتصف بصفات الله الواحد القهار الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، ويأمر بالعدل

وإن كان هذان الرجلان لا يستويان بدهاة فلا تساوي أصلا بين الحق تعالى وبين ما يزعمون أنه شريك له¹، لذلك على السَّامع أن يدرك ويقتنع بأنه ليس من العدل إعطاء المكانة ذاتها للعباد لله وللكافر به، وهي حقيقة علينا أن ندركها وليست فرضية، فالله -عزَّ وجلَّ- هو المستحق للعبادة والحمد وحده.

¹ -ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج7، ج13-14، مرجع سابق، ص504.

أخذ المثل القرآني أسلوب الاستفهام كدعامة للتأثير في السامع والتفاعل معه وشدّ عضد حجة التعديّة، مما جعلها تتمتع ببعدها حججياً أكبر، تدفع السامع بنوعيه نحو الإذعان بمضمون الأطروحة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، في هذا الصدد يقول (ابن عطية): «كأن الخصم قال له: لا، فقال: الحمد لله، ظهرت الحجّة [...] شكراً على بيان الأمر بهذا المثل وعلى إذعان الخصم له كما تقول لمن أذعن لك في حجة»¹. ونلاحظ تفاعل المتخاطبين في المثل القرآني عن طريق التساؤل والإجابة، وتبرز أن المؤمن من يتجنب الشرك والذي لا يؤمن بالله جزأوه الضلال، فبعد هذه الحجّة المنطقية والاستعارة الحجاجية والتقديم الاستفهامي ليس أمام السامع إلاّ الإذعان بأطروحة المثل القرآني وتأبيدها.

3- حجة إدماج الجزء في الكل:

وهي الحجة التي تركز على حضور الكل والجزء في الخطاب، إمّا حضور ظاهر إمّا ضمني ما يلفت انتباه السامع، ويدفعه للإقناع بما يعرض عليه، وتجدر الإشارة أن الألفاظ العامة تمثل الكل الذي يمكن أن يدمج فيه أي جزء للاحتكام بحُكمه، وهي: « أسماء الجموع كالمسلمين، والمشركين، والأبرار، والفجار، والاسم المفرد إذا عرف بالآلف واللام، كالرجل والمرأة والمسلم والمشرك.. والأسماء المبهمّة ك: "من" فيمن يعقل أو "ما" فيما لا يعقل»²، وعلى نحو هذه الحجة صاغ سبحانه وتعالى قوله في آية من سورة الزخرف وهي سورة مكيّة. حول موضوع "مجادلة الرسول-عليه الصلاة والسلام-" ذلك بواقعة نزول آية تحذر قريش من الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98)﴾ الأنبياء [98]

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن في تفسير الكتاب العزيز، ص 1107.

² - فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها الحجاجية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2017، ص 170.

كان القصد هو أصنامهم التي جعلوها تماثيل للملائكة ثم عبدوها بذاتها¹

فضرب ابن الزبيري المثل بعيسى ابن مريم*، وجادل الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالباطل، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ (57) وَقَالُوا آلَإِلهَتُنَا حَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)﴾ الزخرف [59-57]

المعنى؛ لما ضرب عبد الله بن الزبيري عيسى ابن مريم مثلاً، وجادل رسول الله بعبادة النصارى- فئة منحرفة-إيَّاه، إذا قريش من هذا المثل ترتفع لهم جلبة وضجيج وضحك بما سمعوا وظنوا أنهم التجئوا إلى ركن ركين أمام منطق النبي ورضوا بأن تكون آلهتهم في النار فعنوا أن عبادتهم للملائكة خير من عبادة النصارى لعيسى ابن مريم، ليكون الرد من الله تعالى أن عيسى-عليه السلام- هو عبد أنعم الله عليه ليكون مثلاً لبني إسرائيل².

الأطروحة التي يفندها المثل هي عبادة قريش للأصنام والاحتجاج لها بغير علم لمغالطة الحقائق الدينية الثابتة، والدفاع عن أطروحة أن من يستحق العبادة هو الله سبحانه وأن عيسى-عليه السلام- عبد الله وليس إلها يُعبد.

¹ -ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج 25، مرجع سابق، ص 3194.

* روى أن الزبيري قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-: لما نزلت هذه الآية قال أهدنا لنا وآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال ابن الزبيري: خاصمتك ورب الكعبة، ألسنت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتنتهي عليه خيراً وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون العزير وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا. ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 243. ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص 649.

² - ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 243. وينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج 25، مرجع سابق، ص ص 3197-3198.

لجأ المشرك إلى البيان بضرب المثل بعيسى-عليه السلام- ليضل الحقيقة الثابتة ويدافع عن اعتقاداته الزائفة فاستحضر المثل في أثناء المجادلة، باعتبار أن المثل حجة مؤسّسة لبنية الواقع يروم إلى ابتكار واقع قائم على الشرك بالله، وبالتالي قيادة السّامعين نحو الاستسلام لشبهاتهم.

ولمّا كانت المجادلة مبنية على المغالطة والتضليل، استلزم الأمر أن يُقيد المثل القرآني بحجة رياضية صارمة، لتثبت حقيقة إيمانية، منطلقة من مسلمة يؤمن بها السّامع الخاص (محمد-صلى الله عليه وسلم-) والكوني وهي أن قوم قريش قوم مشركون بالله تعالى، ومجادلون للدعوة المحمدية، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۗ الْزُخْرَفَ [58]

فحين دعاهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- لعبادة الله وحده عارضوه في دعوته وبنو معارضتهم على ثلاثة حجج عملية اعتبروها أدلة مرجعية لمعارضتهم وهي:

الأولى: نقض الحقائق الدينية التي أوردها القرآن الكريم والكتب المقدسة، وذلك بالإيمان بمثل بعيسى-عليه السلام-إلها.

الثانية: إحداث ضجة الانتصار.

الثالثة: قالوا بتكبر: آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ عِيسَى-عليه السلام-؟

وكنتيجة لحججهم المضللة، جاء الرد من الله مستعملا حجة ملائمة لهم وقد تضمنت تقييد شبهاتهم التي اعتبروها حججا يحتجون بها، ونقضها واحدة تلو الأخرى، مستعملا حجة إدماج الجزء في الكل، وهي مناسبة لسياق الإنكار والمجادلة، وتم الاعتماد عليها في خطاب المثل القرآني لأنها واضحة ومنظمة وصارمة، لصرامة قوانينها وصياغتها الرياضية، ما يجعل من السامع يخضع

للأطروحة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والانطلاق من الجزء لكل طريقة حاجية لإيقاع التصديق في السامع بنوعيه.

وقد بلغ المثل القرآن أقصى درجة الوضوح وبلاغة الخطاب لأنه أخذ من المنطقية والقوانين الرياضية ما يناسب السامع الخاص والكوني، فلا نجد فيه ما يناقض الواقع وما يعارض قوانينه، حيث نلاحظ في المثل القرآني أن ابن الزبيري يمثل الجزء من خلال اندماجه في القوم وهو الكل، لكونه ينتمي إلى هؤلاء القوم المشركين، لذا اختاره سبحانه وتعالى كجزء يمثل الكل لينطبق حكم الكل على الجزء.

ومن هنا يتبين أن استعمال حجة إدماج الجزء في الكل: «لا يتعلق بعناصر الشيء المكونة له وحسب، وإنما بصفات الأشياء كذلك وارتباطها بمعيارى الأكثر والأقل بالإضافة إلى معيار البعضية في كثير من الأحيان»¹، حيث تقود هذه الحجة السامع إلى الحكم على الجزء (ابن الزبيري) من خلال الكل (قوم قريش) وبذلك نلاحظ أن إدماج الجزء في الكل يطرح نوعاً من التشابه والتداخل بينهما، فأصبح الكل هو الذي يقودنا لاستنتاج أو بالأحرى أصبح دليلاً للحكم على تحديد حكم الجزء، حيث بني هذا النسق على ذكر مجموعة من الصفات والسمات الخاصة بالكل (قوم قريش) ليتم إسقاطها على الجزء (ابن الزبيري) لكون استعمال هذه الحجة «يهدف أساساً إلى إسقاط حكم ما على أحد الأجزاء من خلال ما تم اختباره على المجموع الذي ينتمي إليه»²، وننظر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ (57) وَقَالُوا أَلَّهِتُنَا حَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا﴾ الزخرف [58]، حيث قدّم المثل القرآني مجموعة صفات اتسم بها الكل (قوم

¹ - فضيلة قوتال، حاجية الشروح البلاغية وأبعادها الحاجية، مرجع سابق، ص 161.

² - المرجع نفسه، ص 167.

قريش)، من قوم كافر ذو طبيعة عناد وتكبر معروف بالخصام والجدل، يسعى للمغالطة والتضليل، ويؤسس لحقائق زائفة لا أساس لها.

ليسقطها على الجزء (ابن الزبيري) باعتبار أن ما ينطبق على الكل من أحكام وصفات ينطبق على أجزائه المكونة له، وبالتالي يحمل الجزء (ابن الزبيري) كذلك صفات الكل فهو؛ معاند ومتكبر ومخاصم يسعى للتضليل.

وتأتي هذه الحجة بقصد من المتكلم وهو الله -عزّ وجلّ- لتعزيز الانتماء وتأكيد صفة المجادلة والتضليل للجزء (ابن الزبيري)، لأن هذه الحجة لها بعد عقلي ترمي إلى صحة الأطروحة ومشروعية اتباعها والإمساك عن نقيضها، وتتجلى غايتها في استدراج السّامع بنوعيه نحو زيادة التصديق بالأطروحة لدى السّامع، أو لخلق اليقين فيه لأن طابعها طابع رياضي مهمته مضاعفة الإقناع لدى السامع بنوعيه.

هذا، ليضمن سبحانه وتعالى تحصيل اليقين لدى السّامع الخاص، أن عيسى عبد الله وليس إلها لذا وضع سبحانه الجزء في إطاره العام المتمثل في كله، حتى يسقط عليه صفة من صفاته، ويحكم عليه بالضلال والهلاك؛ لأن إدماج الجزء في الكل يقود إلى الاتفاق المسبق بين المتكلم والسامع حول الأطروحة فيحصل التوافق والتأييد، وكذا التصديق بالنتيجة، فقد جاءت النتيجة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)﴾ الزخرف [59]، لكنهم جحدوا بالحجة بعد أن استيقنتها أنفسهم وركبوا طغيانهم حتى بلغوا من الباطل ما بلغوا فلم يؤمنوا.

تتجسد الطاقة الإقناعية لهذه الحجة في الاكتفاء بذكر الجزء الخاص (ابن الزبيري) الذي له ارتباط وثيق بالكل (قوم قريش)، وقد تم اختياره لكونه مشهور وبارز وله شأن في القوم، ويعد كرمز له في هذه الحجة-إن صح التعبير-.

استند المشرك المجادل إلى التشبيه البليغ، بمعنى؛ شبه عيسى- عليه السلام- بآلهته، حيث تبين أن وجه الشبه بينهما في لزوم عبادتهما، وهذا نتيجة الضلال والانحراف الذي كان بين النصارى وقريش، وعليه، كان هذا التشبيه كاستدلال قائم على الجدل وإنكار الحقيقة ليزعم ثبات صحة عبادة آلهته، وتضليل الرسول-صلى الله عليه وسلم- عن الحق فأخبره الله تعالى أنه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ الزخرف [58]، «أي ما جعلوا المثل لك إلا خصومة بالباطل لعلمهم أن "ما" غير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى»¹ وعليه، ليس كل معبود حسب جهنم بل المعبود الذي دعا الناس إلى عبادته كفرعون لا كعيسى الذي كان أبدا رافضا للشرك بالله².

وهنا نقف مرة أخرى على حجة إدماج الجزء في الكل، حيث يتمثل الكل في كل ما هو غير عاقل والذي يظهر في الاسم المبهم "ما" ويتمثل الجزء في "الصنم"، وهو ينتمي لحلقة كل ما هو غير عاقل ويجسد صفاته. ليقود السامع الخاص (القوم) والكوني، إلى الحكم على الجزء (الصنم)، وتقييمه في ضوء الصورة الكلية التي ينتمي إليها في المثل القرآني، وهذا الصنم جعله الله بمثابة الجزء من الكل، لأن الكل هو الموجه للحكم على الجزء وبالتالي تشكل الحكم عليه، ليكون الحكم حينها هو أن الصنم لا يعقل ولا يقدر بل هو عاجز فلا يصح عبادته والخضوع له، ورغم هذه الحجج الصارمة والمنظمة والواضحة التي استيقنتها أنفسهم استمر هؤلاء في معارضة آيات الله وأوامره، لجهلهم وضلالهم.

أيضاً، استندوا إلى صيغة الأسلوب الاستفهامي للدفاع عن حقائقهم المضللة وليستدرجوا الرسول-عليه الصلاة والسلام- كما نرى في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلَهْتْنَا

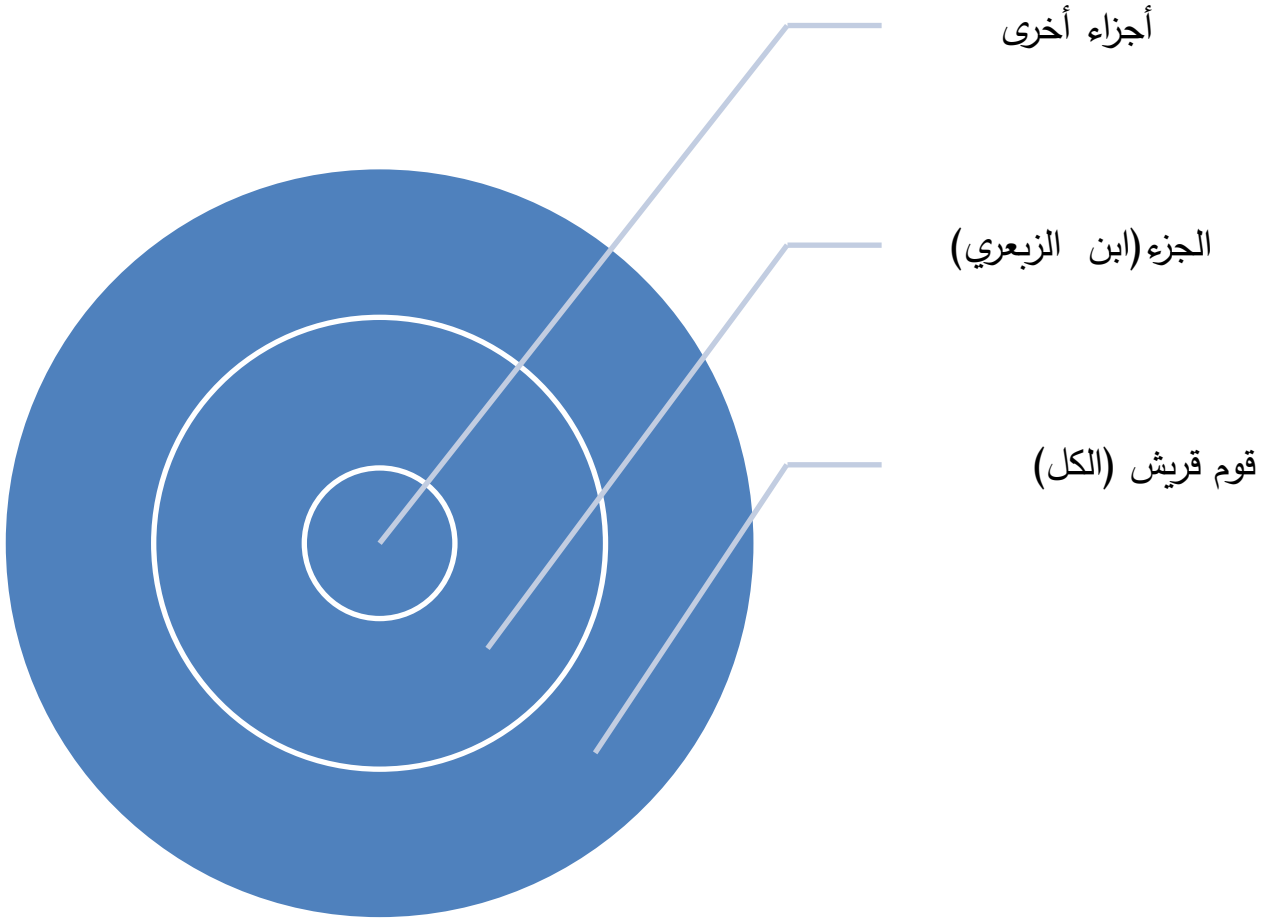
¹- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص 694.

²- ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 244.

خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴿ الزخرف [58]، الذي لا يقصد منه الوصول إلى الحق وإنما التضليل، فهم يعلمون بطلان دليلهم، ويستمسكون به، رغبة في دحض الأطروحة التي جاء بها المثل القرآني .

وردت حجة إدماج الجزء في الكل بصيغة خبرية لإفادة السامع بالحكم الذي تضمنته الحجة لكونه يتضمن تعليمات هامة جدا هي تعليمات الإيمان بالله تعالى ونقض جميع المعارضات التي أوردها المشركون وكفّ ما تنطوي عليه من شبه وملايسات وكذا للإخبار عن أفعال المشركين من قريش لما سمعوا ضرب المثل بعبسي، إقرارا بصفة وطبيعة القوم(الكل)، أنّهم خصمون. وقد عبر المثل عن هذا المعنى باستعمال حجة إدماج الجزء في الكل لأنهم جميعا من نفس الطينة الظالمة الطاغية.

ويمكن أن نمثل لهذه الحجة بهذا الشكل:



رسم توضيحي يُبين حجة إدماج الجزء في الكل

ومن جهة أخرى، لا بد من الإشارة إلى استعمال آخر، نظير الشهرة للحجاج بالإدماج، إنها الحجة التي تعتبر السياق كلا تنتمي إليه الكلمة بوصفها جزء¹، كما نجد في سورة يس وهي سورة مكية. في موضوع الإيمان بالرسول، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)﴾ يس [13].

فهذا خطاب من الله تعالى لرسوله بأن يضرب المثل لكفار مكة وللناس كافة عن أهل القرية وقيل هي أنطاكية إذ جاءها المرسلون بدعوة الإيمان، وترك الكفر حين

¹ - ينظر: فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها الحجاجية، مرجع سابق، ص 161.

أرسل الله إليهم ثلاثة رسل من أصحاب عيسى-عليه السلام- الحواريين فكذبوهم كما كذبك قومك يا محمد، وأصروا على العناد والتكذيب¹

إن الأَطْرُوحَةَ التي يدافع عنها المثل القرآني تتجلى في الإيمان بالله تعالى واتباع رسله، ودحض أطروحة عبادة الأصنام والإصرار على العناد في تكذيب الوحي والرسالة وبشرية الأنبياء.

بعد أن استمر قوم النبي-عليه الصلاة والسلام- في العناد والاعتراض عليه، ردّ الله تعالى عليهم بحجة رياضية، ما يجعل فكر السامع بنوعيه يتأمل ويتدبر فيه للوصول للمقصود بوضوح وبنوع من التنظيم، وما كان على النبي-عليه الصلاة والسلام- سوى الردّ بما أوحى إليه سبحانه وتعالى، بضرب المثل عن أهل الاعتراض والتكذيب وبيان حكمهم ونتيجتهم.

هذا المثل القرآني لا يتجاوز سطر إلا أنه يضم حجة إدماج الجزء في الكل؛ والذي جاء في سياق إنكار قوم النبي-عليه الصلاة والسلام- الوحي والاعتراض على دعوته يحمل حقيقة كونية هي أن الأنبياء والرسل بشر بعثوا لينذروا ويبشروا، حيث أكدّ سبحانه ذلك بمثل أهل القرية، كحجة لا تقوم عليها حجة أخرى، لكون المثل القرآني يمثل الدليل القاطع لدحض الشبه ودفع الاتهام بقوي الحجة وصحيح البرهان؛ ولأن أهل القرية تماما مثل قوم النبي-عليه الصلاة والسلام- لذا جاء القرآن لإقناعهم لا لإجبارهم وإعدادهم للتأييد وليس لمعرفة المثل فحسب.

إن المنحى الحجاجي الذي جاء في المثل القرآني حرك أذهان السامعين نحو فهم الحجة الواردة في خطاب المثل القرآني، حيث أصبح "مثل أصحاب القرية" أو

¹ - ينظر: معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، مرجع سابق، 557. وينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 22، مرجع سابق، ص646.

المعنى الكلي للآية الكريمة جزءٌ أي فرع ينتمي للكل، والكل يمثل الأصل وهو السياق الذي ينتمي إليه المثل القرآني وهو الدعوة إلى الله تعالى والإيمان بالكتاب المنزل.

ونحن إذا أردنا أن نكشف عن حكم الجزء (مثل أهل القرية)، فإننا ننطلق من سياق المثل القرآني (الكل)، حيث يبدو الحكم هو الضلال والهلاك، والنتيجة هي العذاب الأليم ليبين للسامع الخاص (قوم الرسول) والكوني، أن المآل لاحق به لا مفر منه فما يصدق على الكل يصدق على الجزء، لكون قيمة الكل أهم من الجزء. بتعبير آخر؛ إذا استمر قوم الرسول -عليه الصلاة والسلام- على عنادهم واستكبارهم على الدعوة كان إهلاكهم أمراً محتوماً كأهل هذه القرية، فأصبحت قصتهم جزء من الدعوة إلى الله تعالى.

وقد لزمّت صيغة الأمر هذه الحجة لكونها تتضمن تعليمات هامة جداً هي الإيمان بالله ورسوله، ولقوتها كذلك في إحداث التأثير والانفعال لدى السامع الخاص (القوم) الذي يعاند ويعارض والرد عليه وبيان إنكاره للرسالة وتكذيبه للدعوة، فأمر الله تعالى الرسول بضرب المثل بتلك القرية المعارضة حتى لا يحل بهم ما حل بها، وهذا الأسلوب يفرض نوعاً من الاستسلام والخضوع للأطروحة المثل القرآني. وبذلك ضمنت حجة إدماج الجزء في الكل في المثل القرآني منهج الإقناع والنفاذية للعقل والقلب ما حقق الاقتناع للسامع بنوعيه.

إذاً، نجاعة المثل القرآني لا تتوقف على الوجوه البلاغية والأسلوبية بل تتجسد في انتصار معانيه في العقل والقلب معاً، ما يضمن النفاذية وتحقيق الإقناع والإمتاع معاً.

4-حجة تقسيم الكل إلى أجزائه:

حجة تقسيم الكل إلى أجزائه هي عكس حجة إدماج الجزء في الكل القائمة على الاحتجاج بالكل لإسقاط حكم الكل على الجزء، في حين تقوم حجة التقسيم على المواضيع المشتركة بين المتحاجين، والتركيز على الأجزاء باعتبارها تحمل شحنات حجاجية وطاقات إقناعية ما يزيد الخطاب قوة إقناعية مضاعفة، نجد هذه الحجة واضحة في سورة محمد وهي سورة مدنية. في **موضوع** وصف الجنة وأصحاب النار قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15)﴾ محمد [15]

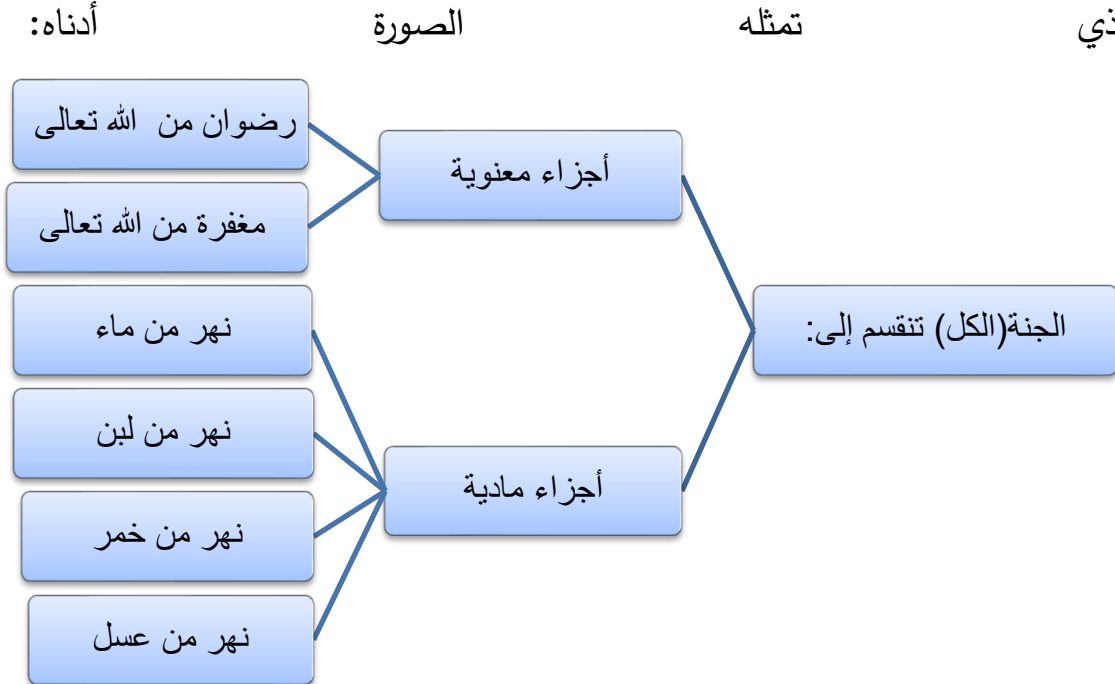
الظاهر في المثل أنه بيان لحال الجنة ووصفها وسماتها؛ من أنهار من ماء، ولبن، ومن خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وفيها كل الثمرات وكل النعم المادية والمعنوية ومغفرة، أما أصحاب الجحيم فيسقون من حميم¹.

يثبت المثل القرآني **أطروحة** الإيمان بيوم الآخرة والإقرار بجزاء المؤمن والكافر وينفي **أطروحة** الدنيا باقية وأنه لا حساب ولا جزاء بعد الموت.

يجزم هذا المثل القرآني وبصورة برهانية أن أعمالنا محكوم عليها بنتائجها وآثارها وهذا طبقاً للتعاليم الإسلامية التي جاءت بها الدعوة المحمدية، فهي الطريقة التي تقرر مصائرنا في الآخرة إما الجنة وإما النار، وذلك بحسب النيات والغايات، وهذا ما ينبهنا القرآن الكريم بوضوح وبصورة مسبقة قبل الوصول إليه، فوعد الله عباده المتقين الذين امتثلوا لأوامره واجتنبوا نواهيه الجزاء الحسن وأنَّ جزاء الكافر في النار

¹-ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 248-250.

خالدا فيها، مستعينا بحجة تقسيم الكل إلى أجزائه لكونها أولا «آلية حجاجية نلجأ إليها عادة لإبراز الحضور الحسي للشيء أو الكائن أو الظاهرة التي نقسمها أو نعدد أجزائها المكونة لها، ويعد البرهان ذو الحدين ضربا من الحجاج بالتقسيم؛ حيث يقوم على وضع اختيار بين أمرين يفضي كل منهما إلى نتيجة»¹ ولكونها ثانيا تُعدّ الصفات والسمات التي يتميز بها الكل (الجنة) وما اتصفت به من صفات جليلة باعتبارها قيمة ايجابية ليؤكد بأن مجموع تلك الأجزاء (الأنهار) هو بالضرورة إيجابي بهذه الطريقة يأتي المثل القرآني لغاية الإقناع بيوم الآخرة وبجزاء الجنة ككل ثم يحصي نعم الجنة في الأجزاء الشاملة والمكونة لها، ونفصل ذلك في المخطط الآتي الذي



رسم توضيحي للأجزاء المكونة للجنة

فهذه الأجزاء هي التي تشكل لنا الجنة (الكل).

¹ - محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، ص 46.

فتستمد الجنة قيمتها من قيمة الأجزاء المكونة لها باعتبار كل جزء من هذه الأجزاء يسعى لغاية الإقناع بقضية الكل (الجنة)؛ لأنَّ الغاية الأساسية من هذه الحجة حسب (بيرلمان) هو البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور.

بمعنى؛ إشعار السامع بنوعيه بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه¹، فمن الطبيعي جدا أن نسعى في خطاباتنا لتقديم الجزء على الكل في سياق البرهنة على الأمور ذات الطبيعة الغيبية لأنها تحاكي العقل وتترك المجال للسامع الخاص والكوني الوصول للنتيجة بنفسه.

ثم، خصص سبحانه وتعالى بذكر كلمة (الأنهار) للاستدلال على ما يدرك في بيئة السامع الخاص والكوني وهي من المنطلقات الحجاجية التي تجبر وتحاصر السامع في أطروحة المثل من خلال كونها تنتمي لتلك الأجزاء التي لها قوة تأثيرية كبيرة فيصبح السامع مؤيدا لفكرة الإيمان بيوم الآخرة، ويصل إلى نتيجة أن وعد الله حق وأنَّ لكل نفس ما كسبت.

إذن، تم الانتقال في الحجة إلى عرض قضايا جزئية غرضها الإقناع بالقضية الكلية وهي الجنة، وهنا تتجلى وظيفة حجة تقسيم الكل إلى أجزائه، في إبراز حضور الأشياء وذلك من خلال ذكر الله تعالى للأجزاء الأربعة من الأنهار؛ لكونها شاملة فقد جمعت بين ما هو ضروري للسامع بنوعية وبين ما ينفعه ويحقق له المتعة، فنتشكل في مجموعها الكل (الجنة).

وعليه، تكون العلاقة بينهما علاقة تكاملية، من أجل البرهنة على وجود الجنة (الكل) وتقوية حضور الأجزاء فيه، فاندماج جزء مع جزء يشكل ويكمل الكل، ما

1 - ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، مرجع سابق، ص 48.

يجعل الحجة مناسبة لوصف حقيقة غيبية وتقريبها للعقل البشري، وتوضح أطروحة الإيمان بيوم الآخرة وتبريرها والبرهنة عليها.

تعتمد هذه الحجة في شكلها وبنيتها على العلاقات الرياضية بشكل كبير، بحيث إن ما يصدق على الجنة(الكل) من جمال وروعة وفائدة وتحقيق النماء والاستمرارية يصدق كذلك على الأنهار(الجزء)، فيُجمل المثل القرآني في الكلّ ثم يفصله ويقسمه إلى أجزاء لكون التقسيم في هذا السياق مقصودا وليس عبثا، فقد كان من أجل توضح الحجة الكلية بحجة جزئية، ليقوي حضورها ويزيد قوة وإقناعا بنتيجة الحجج.

اعتمد المثل القرآني في دعم أطروحته على الجانب البلاغي من خلال تقديم **مماثلة** عن صفات الجنة بالأنهار المختلفة والمتنوعة، وهي مماثلة كاملة وحقيقية ومطلقة كما اعتمد أيضا على **المقابلة** بين أهل الجنة وأهل النار ليزيد المعنى توضيحا وتأكيدا لجزئهم، كما يظهر **استفهام إنكاري** في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ هُوَ خَالِدٍ فِي النَّارِ﴾ محمد [15]، ليبين للكفار أن نصيبهم النار وأن الجواب على السؤال يستلزم الاستجابة والعمل بالإيمان بالله تعالى ويوم الآخرة.

وقد جاء أسلوب **الإطناب** مناسبا لحجة تقسيم الكل إلى أجزائه حيث كرر كلمة (الأنهار) لغرض بيان تفاصيل الجنة للسامع وتشويقه إلى الجنة من خلال تلك الصورة المجزئة عنها فهم في مقام التكريم، في حين جاء الإيجاز لجزاء الكفار لأنهم في مقام التوبيخ.

ونظير هذه الحجة نجده يتجلى في سورة البقرة وهي سورة مدنية في موضوع "النفاق الاعتقادي"، في واقعة قدوم الرسول-صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بعد واقعة بدر العظمى حين أظهر الله كلمته وأعزّ المؤمنين، وأذل من في المدينة ممن

لم يُسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومخادعةً لتُحقن دماؤهم وتُسلم أموالهم¹ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)﴾ البقرة [16-20]

إن الله جل ثناؤه ضرب هذا المثل لِيُبَيِّنَ حال المنافقين بهيئتين لما أظهروا لرسول الله وللمؤمنين من الإيمان:

الهيئة الأولى: مثل استتاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام كان بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها فذهب الله بما فيها من الإضاءة وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

الهيئة الثانية: كمثل مطر مظلم نزل من السماء تحمله مُزْنَةٌ ظلماء في ليلة، ذلك حين اشتد عليهم زجر القرآن ووعيده وتهديده وأمره ونواهيته التي تشبه الصواعق². تظهر الأَطْرُوحَةُ التي يفندها المثل القرآني في الوثوق بالمنافقين وإنزالهم منزلة المؤمنين أو اعتبارهم أنهم صالحين من خلال إقرارهم بالإسلام ظاهرا وفي باطنهم خلاف لذلك، ليدافع عن الأَطْرُوحَةُ التي تؤيد الإيمان بالله وحده لا شريك له يقيناً والحذر من أذى المنافقين.

حاجج الله تعالى السامع الخاص (ابن سلول وغيره من المنافقين) وبرهن على حقيقتهم من الدعوة الإسلامية من خلال أفعالهم التي تحوي قيمة رديئة وتحمل

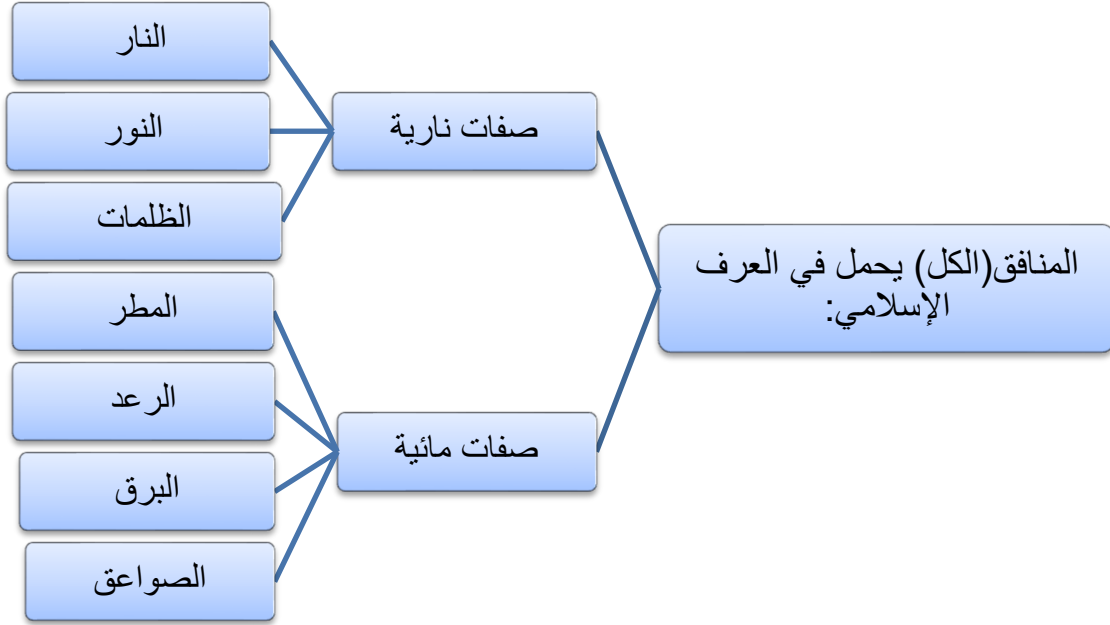
¹-ينظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002، ص 42. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص 329.

²- ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص ص 178-176. وينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرشاني، ص ص 123-129.

حقيقة صفاتهم التي لا يعلمها المؤمنون؛ فهم يستبطنون في أعماقهم نظاما معرفيًا يناقض النظام الذي جاء القرآن الكريم ليرسيه، مستندا في حجاجه لهم على المنطلقات الحجاجية والحجج الرياضية، فحاجهم بما يعرفون، من صورة مستوقد النار وهي صورة قريبة من السامع يلجأ إليها كل يوم يعرف تفاصيلها، وصورة المطر الشديد باعتبارها ظاهرة موسمية تحصل في بيئتهم، بمعنى؛ أنه اعتمد على قواعد السلوك الاجتماعي والمتطلبات الثقافية التي تحكم أنشطة المجتمع البشري، وهذا ما يسمى بـ"الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية" وهي من الوسائل الإقناعية التي لا يمكن الطعن فيها.

حضور **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه** في هذا المثل حضور برهاني فهي تقوم على فكرة التفتير والترهيب من ظاهرة النفاق ونلاحظ أن هذه الحجة تكثر في القضايا الدينية لكونها جازمة، وواضحة، وتعد برهانية لكونها تكشف صفات المنافقين وإظهار مدى عبثيتهم وأثرهم السلبي على المؤمنين.

فقد كان هدفهم الشرك بالله تعالى والسعي نحو ملذات الدنيا للحصول على الأمن والموارثة، وكان تعاملهم مع المؤمنين بوجه ومع الكافرين بوجه آخر ما يمهد لهم بالولوج في دائرة خيانة الدعوة إلى الله تعالى أي النفاق(الكل) القائم على نكر أجزاء تنتمي له، فالله تعالى بهذه الحجة يُنبئ السامع بنتيجته الضلال والخسران في الدارين، فقدم سبحانه وتعالى حجة مؤثرة ليبين حقيقتهم ونتيجتهم، وهذا واضح في المثل من تقسيم لأجزاء هذا الكل (المنافق)، ونحن إذا أردنا أن نعيد صياغة المثل القرآني وفق حجة التقسيم وتوجيهه توجيهها صحيحا وإعطائه الدلالة السليمة، أمكن لنا القول إنَّ المثل القرآني تبنى حجة تقسيم الكل إلى أجزائه بعرض أجزاء من صفات المنافقين في الشكل كالاتي:



رسم تخطيطي يوضح صفات (جزء) المنافق (الكل)

جاءت بنية المثل القرآني وفق هرمية مقصودة كونها تلعب دورا كبيرا في زعزعة اعتقاداتهم الواهية والتي لا تتلاءم مع الأطروحة وتبين أجزاءهم السيئة بدقة وبعمق وتدفع نحو تغيير الرأي وإيقاع التصديق للإذعان بالأطروحة.

إلى جانب الحجج المنطقية الرياضية تم الاستناد على الحجج العاطفية لتحريك أهواء الزجر والتفتير للسامع من ذلك الاتجاه الذي يستبطن قيمة رديئة، فوسّع سبحانه وتعالى وفصل بيانه لإظهار مدى خطر هذه الغاية، مقدّما مجموعة من الصور البلاغية والأسلوبية المناسبة للحجّة، والهادفة إلى استمالة السامع بنوعيه نحو قبول الأطروحة وتأييدها، ليجعله يصل لوجه الشبه بينه وبين تلك الصور

فكان لحضور التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة [17]، القوة الحجاجية لتدعيم النتيجة حيث يتجلى المشبه في (المنافق) والمشبه به هو (مستوقد النار) وأداة التشبيه (كمثل) وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظِلْمَاتٌ﴾ البقرة [19] المشبه هو (الإسلام) المشبه به (المطر) لأن

القلوب تحيا به والأداة هي الكاف وشبهه (شبهات الكفار) ب(الظلمات)، ووجه الشبه الذي يصل السامع بنوعيه إليه من خلال تفاعله مع الصّور أن حال المنافق حين دخل الإسلام ثم تركه كحال مستوقد نار ثم انطفأت أو كالمطر الشديد في ظلمات «لأنّهم بإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك النور ووقعوا في حيرة عظيمة خسر نفسه في الآخرة أبد الأبدين»¹. ويعزز هذا المعنى من ذمّ الله لهم تركيب مجازي آخر قال تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)﴾ البقرة [18] المشبه هو (المنافق) والمشبه به (الصم، البكم، العمي) على سبيل التشبيه البليغ فعدم الاستفادة من الحواس رغم امتلاكها يماثل المنافق بعدما عرف الإسلام فتركه فهو لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق بالحق وهذا حال من أبصر ثم عمي فلا ترجع إليه حواسه، وتتحصّر الوظيفة الحجاجية للتشبيه هنا في بلوغ المعنى لذهن السامع وجعله يغيّر اتجاهه نحو الأطروحة المطلوبة في المثل القرآني.

كذلك، تم الاستعانة على إثبات شدة خوفهم وعجزهم بالمجاز المرسل كما في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ البقرة [19]، عبر بالكل (أصابع) وأراد به الجزء (رؤوس أصابعهم) لعلاقة كليّة. بمعنى لعلمهم يتقون بما أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يتقي سامع صوت الصاعقة بإدخال أصابعه في أذنيه².

وعليه فحضور هذه الصور البلاغية في المثل حضور وظيفي قائم على المحاجة وإسكات السامع المتردد وكشف خباياه، إذ تساهم في تقرب المعنى وتعميقه، وتجعل السامع بنوعيه يذعن للأطروحة

¹ - محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء لدين عمر، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط 1، ج 2، دار الفكر، 1981، ص 80.

² - ينظر: الطبري، تفسير من كتابه جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرشاني، مرجع سابق، ص 129.

والهدف من هذه الصور البلاغية معرفة «حقيقة صفات المنافقين وزيادة في الكشف والبيان»¹، وتغير سلوك السّامع بنوعيه من خلال تخويفه وتحذيره من مواصلة العمل في نفس الاتجاه أو التمسك بوجهتهم، وليعلم أنّ من تمسك بذلك الاتجاه سيكون مآله أن يختم الله تعالى عليه بالضلال والخسران، كما تسعى إلى تنبيه المؤمنين أن يعلموا أن هؤلاء آمنوا لتحقيق مصالحهم لا غير، وأنّ الإقرار بالإسلام يكون يقيناً بوحداية الله تعالى وليس بالادعاء رياء ونفاقاً، والذي تظهر نتيجته الحتمية في أن كيد المنافقين صار في نحورهم وحصل لهم الخزي والفضيحة في الدّنيا وفي الآخرة لهم عذاب شديد.

وحجّة تقسيم الكل إلى أجزائه هي أحد الأساليب الإقناعية في الخطاب القرآني تعتمد على استخدام العقل والعاطفة لإقناع السّامع بنوعيه بوجهة إسلامية، وبنتيجة المنافقين في خيبة سعيهم وسوء عاقبة أمرهم، من ذهاب النور وتركهم في ظلمات لا يرجعون إليه لما هم فيه من العجز والهلاك والظلال، كما تُبرر قرار منع المنافقين من الحصول على النور والهداية باعتبار أخلاقه مفسدة على الأرض ومناقضة للعقيدة الإسلامية.

لقد جاءت حجّة الاتجاه مشتملة على قوة الحجّة وشدة التأثير وروائع التعبير من مجاز وتشبيه، ركزت على الأسلوب الخبري؛ كونها تقوم على استكناه المستقبل وهو الأسلوب الملائم لذلك، تحمل خبراً يقينياً عن المنافقين وخبية سعيهم وسوء عاقبة أمرهم، وتشجع المؤمنين بالتمسك بإيمانهم، فكان هذا الأسلوب هو الأنسب لمعرفة القيم والمبادئ المرفوضة في العقيدة الإسلامية.

¹ - محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء لدين عمر، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، مرجع سابق، ص 80.

ثانياً: الحجج التي تعتمد على البنى المنطقية

تستند الحجج المبنية على المنطق، على أسس ذهنية يدركها صاحب العقل السليم بشكل واضح، ما يجعلنا نفهم الأحداث والوقائع والمفاهيم المختلفة في المثل القرآني بشكل منظم، وكيف اندمجت مع بعض لتشكّل رؤية متكاملة عن الأطروحات الإيمانية والقيم الإسلامية بصيغة عقلية منطقية لا لبس عليها، لأنّ الهدف الأساسي الواضح من خطاب المثل القرآني هو استنهاض العقل وبيان قدراته بدل إقحامه وهزيمته، وكذلك لأنّ الهدف من تحليل المثل القرآني تحليلاً منطقياً ليس عرض المنطقية والجمالية فيه فحسب، إنّما للتفكير والأخذ به والتدبر في آياته فهي تمكّن السامعين من إخضاعهم للتفكير النقدي القائم على الحجّة والحجّة المضادة، كما يجعلنا نكشف عن النتائج المضمرّة وبالتالي يحصل التدبّر والفهم.

ومن بين هذه الحجج نذكر:

1- حجة التعريف:

يمكن أن نطلق عليها حجة المفهوم أو حجة الحدّ لعلاقة مباشرة بينهما «فالمفاهيم هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرة ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس كوامن فلسفة الأمة ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها»¹ وحجة التعريف هي من الحجج شبه المنطقية والتي تُقرّ معنى على حساب معاني أخرى، إذ نستطيع أن نستبدل بين المصطلح ومفهومه، وفي هذا السياق يقول (لونيل بلنجر): « يمكن أن تُعرّف كلمة لأنها ليست معروفة من قبل المتحدثين»² حيث نجد في القرآن الكريم العديد من الحجج التعريفية تتعامل مع مفاهيم متعددة بغية

¹ - مجموعة مؤلفين، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ج 1، تق: طه جابر العلواني، سلسلة مفاهيم ومصطلحات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2008، ص 07.

² - حافظ إسماعيل علوي، الحجج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج5، مرجع سابق، ص126.

تصحيحها وجعلها مستقرة، ومعبرة عن حقائق ثابتة في جمع العصور لذا، فإن «حاجة الإنسان للمفاهيم القرآنية ليست ترفاً فكرياً ينطلق من حماس المسلم تجاه القرآن، بل هي حقيقة تثبتتها هشاشة العمران المفاهيمي الإنساني الوضعي»¹.

نجد **حجة التعريف** واضحة في سورة يونس وهي سورة مكية. في آية نزلت منزلة البيان لموضوع "حال الدنيا" فنظرة السامع إلى الدنيا في تلك الفترة ليست معروفة بالمعنى الذي جاء به القرآن الكريم، إذ «إن واقع الحياة البشرية آنذاك يثبت مدى تعلق السامع بأهداب الحياة الدنيا، والسعي وراء ما زين لهم من حب الشهوات والرغبات»²، لذا جاء المثل القرآني معرفاً لها تعريفاً دقيقاً وواضحاً كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا نَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)﴾ يونس [24]

ومعنى الآية؛ أنها جاءت لتثبت للسامع الغافل أنّ حياته إلى فناء لا محالة مثله مثل ذلك المشهد، وأنّ الحقيقة في آيات الله تعالى في خلقه وقدرته على التصرف في ملكه، فخلق بالإنسان أن يعتبر ويستدل أن الأمر كله لله تعالى والأجل سيأتي في موعده تماماً، فيذهب من هذه الدنيا ويزول مثل هشيم تحمله الريح فلا يبقى له أثر، وتفصيل هذه الآيات الدالة لقوم يتفكرون بمصائرهم³.

¹ - شيماء فاخوري، لغة القرآن ورؤيته للعالم أساس منهجي لبناء المفاهيم "مفهوم التعارف نموذجاً"، مجلة تجسير، مج1، ع1، دار نشر قطر، 2019، ص 67.

² - سميح عاطف الزين، معجم الأمثال القرآنية، مرجع سابق، ص 650.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 655.

الأطروحة التي تدعو إليها هذه الحجّة هي الإيمان بالله واليوم الآخر والاستسلام لحقيقية زوال الحياة الدنيا مهما بدت روعتها، ودحض أطروحة التمسك والاعتزاز بها.

بمعنى؛ أن المثل القرآني مناسب للسّامع المشدود إلى دنياه وهو الكافر المتمتع ببغيه وكفره، الحريص على الدنيا وعليه، قدم الله تعالى في هذه الآية تعريفاً للدنيا لا يقبل الدّحض، يتغيّأ فيه تنبيه السّامع الخاص (الكافر) والكوني للمعنى الحقيقي للدنيا باستعمال حجة التعريف، جاءت هذه الأخيرة منطلقة من مبادئ مسلم بها واقعياً أي؛ من خلفياتهم الثقافية.

فخاطبتهم بما هم بارعون فيه فهم يرون في مهنة الزرع من أشرف المهن فهي عماد ثروة في حياتهم والمورد الأوّل الذي يعيش عليه الناس¹، والأمر ذاته في نظرتهم للحياة الدّنيا المنحصرة في الاستمتاع باللذات فحسب، ولو اطلعنا على تعريف الكافرين لمفهوم الدّنيا فيما اتفقوا عليه في حياتهم الثقافية لرأينا أنّ هناك تعديلاً كبيراً بما أتى به القرآن الكريم عن ذلك الواقع، ولأدركنا تصوراً آخر لمفهوم الدّنيا ودعوى أخرى لنيل السعادة في الدّنيا والآخرة.

إنّ المتأمل في المثل القرآني يفهم معنى الدنيا الذي ورد في مجموعة من الصفات والخصائص التي تتميز بها؛ من جمال حالها ونمائها وسرعة زوالها، إلى سرد مراحلها؛ ماء أنزل من السماء ثم اختلط به نبات الأرض ثم الانتفاع بالخيرات ثم الزوال.

¹ -ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة العامة للهيئة الإسكندرية، مج7، ط2، 1994، ص24.

والحال، أن هذا التعريف يتأسس في قوته الإقناعية على الشرح والسرد والتشبيه، ليوضح للسامع بنوعيه المعنى الحقيقي للدنيا ومدى تميزها عن الدار الآخرة، وإذا نحن أردنا تقديم ما يقوله الله عن مفهوم الدنيا (أ) في عبارة قصيرة أمكن القول:

المعرف (أ)	تعريفه (أ)
حال الدنيا	عبارة عن ماء نزل من السماء فأنبتت الأرض نعما كثيرة ثم زالت

وبهذا التعريف سيعمد السامع في الخطاب إلى استبدال مفهوم حال الدنيا (أ) بالتعريف الذي يطابقه (أ).

من بديع هذا المثل أن صور الله تعالى مفهوم الدنيا بطريقة إبداعية دقيقة مفصلة أي بإطناب ويتجلى ذلك؛ في وصف هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع في نضارته ثم في مصيره إلى الحصيد، على سبيل التشبيه المركب¹، لغرض توضيح مفهوم الدنيا وشرح المقصود منها وتفصيلها لأصحاب الفكر والذكر وبيان حكمها وهو الزوال.

والمقصد الحجاجي من هذا، هو بيان الأطروحة وتوضيحها لتهيئة السامع الخاص (الكافر) والكوني للأخذ بها وقبولها والعمل بالمطلوبة "العدل بين طلب الدنيا وطلب الآخرة" حتى تستقيم حياتنا.

لقد انطلق المثل القرآني في تعريفه من صورة ملموسة ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾، بالاعتماد على التشبيه المجمل (كماء) بحضور المشبه (الحياة الدنيا) والمشبه به (الماء) وأداة التشبيه الكاف، لإعمال السامع عقله وخياله ويتوصل إلى المعنى المشترك بين الطرفين، وفي قوله ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾، شبه الأرض

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، مرجع سابق، ص 141.

بالمرأة فحذف المشبه به (المرأة) وترك لازما من لوازمه (الزخرف) على سبيل الاستعارة المكنية لغرض التوضيح وتقوية معنى الأطروحة، ثم المجاز العقلي في ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾، يونس [24]، أي؛ أسند للأرض الحصيد والمحسود هو نباتها للعلاقة المكانية، وكناية عن الدمار في قوله تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ يونس [24]، وهذه الصور البيانية مأخوذة من ثقافتهم ليوضح لهم سبحانه وتعالى وينذرهم بالحجة البالغة، لأن الهدف الحجاجي منها « أنها شواهد حية على ضعف الإنسان ووهنه في ردّ قضاء محتوم أو قدر مقدور ينزل بساحته، فيسلبه كل ما يعتد به»¹.

أيضاً، ساهمت هذه الصور في إعطاء معنى خاص ومناسب للحال الدنيا والمتشبهت بها وكأن الله تعالى أراد من السامع الخاص (الكافر) والكوني أن يعرف مفهوم الدنيا ومصيره من خلال مطابقة حالها بحال الزرع في نشأته وذهابه حطاماً، ودفعه إلى الاقتناع بالإيمان به وبالיום الآخر في المقام الأول والعمل الصالح إيماناً و يقيناً، وليس بناء المعرفة عن حال الدنيا فحسب، حتى لا يغتر بجمال الدنيا، ولا يجعلها غايته.

ولما كان الأمر كذلك، كان لزاماً على السامع النظر إلى الحياة الدنيا «بروح ايجابية وبناءة بحيث يجعل جهوده منصبة فعلا على إعمار الأرض بالعمل الصالح والدعوة إلى الحق دون أن يحرم نفسه مما أحل له الله من الطيبات»².

إنّ حجة التعريف عبارة عن مدخل أساسي لفهم حال الدنيا وتحديد معالمها ومعرفة مبادئها بشكل واضح، حيث ابتدأت في هذه الآية الكريمة بصيغة القصر "إنّما" التي « تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره»³ وهو

¹ -سميح عاطف الزين، معجم الأمثال القرآنية، مرجع سابق، ص652.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، علق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص335.

قصر قلب جيء به لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة الانقضاء ولتنزيل السامعين منزلة من يحسب دوام بهجة الحياة، لأنَّ حالهم في الانكباب على نعيم الدُّنيا كحال من يحسب دوامه وينكر أن يكون له انقضاء سريع ومفاجئ¹، ففي هذه الصيغة تأكيد وحصر للمعنى الحقيقي للدُّنيا لغرض إفهام الكافر وإقناعه بنتيجة زوالها وأن المتمسك بها له المآل عينه، وبالتالي يتم الإذعان أمام هذه الحجّة التعريفية الإخبارية.

ومثيل حجة التعريف كذلك ما نجده في آية من سورة الفتح وهي سورة مدنية نزلت في موضوع "محمد رسول الله وأصحابه"، للرد على الكافرين حين أنكروا بشاره أنبيائهم (موسى وعيسى) بمجيء نبي اسمه (محمد) وفي ذلك يشير (وهبة الزحيلي) إلى أن نزول هذا المثل كان بسبب « رفض قريش كتابة البسمة في مقدمة الصلح وكتابة (محمد رسول الله)، وتثبيت المؤمنين على كلمة التقوى وهي طاعة الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-»²، وعليه، أنزل الله قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ أُخْرِجَ شَطَؤُهُ فَأَرْزُهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ الفتح [29]

¹ - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، مرجع سابق، ص 141.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج 13، ج 25-26، ط 10، 2009، ص 468.

تُجمع التفسير على أن المثل وصفٌ للنبيِّ وأصحابه بأنه بُعث وحده فكان كالزراع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطاء وهم فراخ السنبل التي تثبت حول الأصل¹.

تتمثل الأطروحة التي جاء المثل القرآني لبيانها هي إثبات نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم- وتأكيده دعوته ووصفه قوة أصحابه، لدحض أطروحة الكفار وهي إنكار نبوته-صلى الله عليه وسلم-.

تظهر حجة التعريف بوضوح في تقديم تعريف لمحمد-صلى الله عليه وسلم- بأنه رسول الله، ليعرف السامع الخاص (الكافر) والكوني، بأن الله أوحى إليه وأنه يُبلغ عن الله، فهو صادق في كل ما أخبر به عنه، فقد أرسله برسالة هي دين الإسلام وأنه الدين الحق الخاتم الناسخ لجميع شرائع الأنبياء قبله²، وكان هذا التعريف كتأكيد للسامع بأن محمد-صلى الله عليه وسلم- يملك صلاحيات النبوة وأنه مكلف بتبليغ الرسالة والدعوة إلى الحق، حيث يمكن أن نستبدل اسم (محمد-صلى الله عليه وسلم-) في الخطاب بعبارة "رسول الله" (أ) دون أن يؤدي ذلك إلى اختلال المعنى، وسنوضح هذا التعريف في الجدول التالي:

¹ -ينظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن في تفسير الكتاب العزيز، تح: مجد مكي، مج 1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1423هـ، ص 1739.

² -ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، الجامعة الإسلامية، ج1، المدينة المنورة، ط1، 2003، ص229.

المعرف (أ)	تعريفه (أ)
محمد-صلى الله عليه وسلم-	هو رسول الله ونبيّه الذي بعثه للناس كافة

كذلك، تظهر حجة التعريف أخرى في وصف أصحابه (أ) بشكل مفصل وحقيقي، وعليه فالمثل القرآني « يذكر أوصافهم في التوراة، دون الاعتماد على التشبيه، حتى لا يوحي التشبيه بمجرد المشابهة بين طرفيه، وإنما الصورة هنا توحى بحقيقتهم وواقعهم العملي كما هو»¹، فقد كان تعريفهم بحسب؛ هيئتهم وصفاتهم الظاهرة أولاً وبحسب صفاتهم الباطنية ثانياً، والجدول التالي يوضح ذلك:

المعرف (أ)	تعريفه (أ)
أصحاب الرسول- صلى الله عليه وسلم-	هم الذين تحكم عواطفهم وسلوكاتهم العقيدة الإسلامية السمحاء، فتراهم يتصفون في معاملاتهم مع المؤمنين بالرحمة ومع الكافرين بالشدّة، ومع الله تعالى بالعبودية التامة، وغايتهم الثواب، ويتجلى هذا في وجوههم.

هذه التعاريف ثابتة في «صفحة القدر فقد ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه إلى الأرض ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون»². كما جاء في الإنجيل- المزامير الآية 9-: «معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك» فقضيب من حديد يعني السيف أي سيأتي من هو صاحب السيف وأمته مأمور بالجهاد-الاصحاح 2- وآية أخرى في التوراة: «محمد رسول الله مولده بمكة، وهجرته

¹ - عبد السلام راغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 162.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 26، دار الشروق، ط 1، 1972، ص 3333.

بطيبة، وملكه بالشام، وأمتة الحمّادون»¹، كما وصفهم القرآن ليخبر بالضرورة عن نبوته -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الأطهار.

انطلاقاً من هذا التعريف يعلم السّامع مكانة الرّسول وخلق أصحابه من خلال الصفات والمميزات التي جاء المثل معرفاً بها، وقد جاء في هذا المقام وهو مقام إنكار النبوّة بحجة التعريف ليقود السّامع بنوعيه لقبول الأطروحة والافتتاح بها، وقد كانت آليّة التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ وهو «تشبيه الصحابة بالزرع النامي بسرعة عجيبة، وتهدف هذه الصورة إلى إبراز التقاف الصحابة حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومؤازرتهم له ومناصرتهم لدعوتهم، حتى قوي الإسلام، واشتد عوده، وتكاثرت الأمة الإسلامية»².

حيث شبه الرسول بالزرع وأصحابه بالشطء ليدرك السّامع (الكافر) والكوني وجه الشبه ويستنبطه ويفهم مدى قوة وتكاثر وانتشار الإسلام، ثم استعان بالطباق الايجابي (أشداء ≠ رحماء)، كوسيلة لإيضاح المعنى. هذه الصور البلاغية واقعية تنبض بالجمال والتأثير والتفاعل، مما جعل المثل القرآني يخاطب العقل والقلب معاً، فلا بد أن يقتنع السّامع الخاص والكوني بالتعريف المطروح ولا بد أن يؤمن به.

جاءت حجة التعريف بالأسلوب الخبري المناسب لسياق الإنكار للإفادة السّامع وهو الكافر والإقرار بأنّ محمد رسول الله وأنّ أصحابه المهاجرين معه في قوتهم بمثابة قوّة الزرع، كما هو مذكور في التوراة وفي الإنجيل وهي كتب لها شأن وسلطة عند السامع الخاص (الكفار) فقد كانت منهج حياتهم، وأحقّ كتب في أيديهم والأخبار الواردة فيها لا يمكن رفضها، لأنّ في رفضها رفض لما في كتبهم الدّينية من معتقدات ومبادئ، أي لا مجال للكافر للدّحض.

1 - بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، كليات رسائل النور، مرجع سابق، ص 205-206.

2 - عبد السلام راغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 162.

وبذلك أثار المثل القرآني أهواء الانقياد للكافر المنكر فيستسلم للدعوة التي يروم إليها المثل القرآني، أما المؤمن فيزداد يقيناً نحو السعي لرؤية نفسه مثل أصحاب الرسول في اعتبار الله، لأن النتيجة تظهر في أن ذلك التعريف موجود عندهم يقيناً، وأن الله تعالى وعد الذين آمنوا وأصحاب تلك الصفات بعتاء ومغفرة وأجر عظيم.

وفي موضع آخر نجد حجة التعريف في مقام بيان "عظمة الله في الكون" حين خاطب الله المنافقين واليهود، الذين كانوا يُصَيِّرُونَ الفتن في المجتمع الإسلامي، ويبدلون جهوداً لكسر شوكة الإسلام، والمجتمع الإسلامي، لكن الحقيقة أن ولوعهم بالدنيا وتكالبهم على حطامها كان قد أعمى أبصارهم فكانوا لا يستفيدون من نور الله (القرآن) الذي يشيع في الكون¹.

فَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِنُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ فَأَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)﴾ النور [35]

جعل الله السماوات والأرض منيرتين باستقامة أحوال أهلها بكمال تدبره عز وجل وهدايته لمن فيها، مثل نوره الفاض عنه والذي جعله في قلب عبده المؤمن كمشكاة وهي الكوة في الحائط غير النافذ فهي أجمع للضوء الذي يكون فيها من مصباح، المصباح في زجاجة، يوقد المصباح من زيت الزيتون، يكاد زيتها المبارك يضيء

¹ - ينظر: أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، تعريب: محمد عاصم الحداد، دار لفكر بدمشق، 1960، ص ص 228 - 235.

لصفائه وجودته كذلك قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم زاده هدى على هدى ونورا على نور¹.

الأطروحة التي يسعى المثل القرآني إلى إثباتها هي وصف قلب المؤمن الذي يحمل هدى القرآن الكريم إيماناً و يقيناً، لدحض أطروحة من يدعو إلى عبادة غير الله ويتظاهر بالإيمان به.

أنزل الله مفهوماً واضحاً ووصفاً وجيزاً ليعرفهم بحقيقته كونه نور السموات والأرض وهي صفة في الله حقيقية محضة، بالاستناد على حجة التعريف إذ هو «الذي أبدع الموجودات، وخلق العقل نوراً هادياً؛ لأنّ ظهور الوجود به حصل، كما حصل بالضوء ظهور المُبَصَّرَاتِ»²، فالمتتبع لماهيّة "نور السموات والأرض" انطلاقاً من كتب التفسير - يمكن الاطلاع عليها، ابن عطية، ابن كثير - يجد أن معناه لم يخرج عند المفسرين بأنّ:

المعرف (أ)	تعريفه (أ)
الله - عزّ وجلّ -	هو القائم على كل شيء والهادي إلى طريق الحق ونوره محيط بالكون فهو مطلق لا زوال له.

«إلّا أنّ اليهود اعترضوا الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنّ قالوا: كيف هو نور الأرض والسماء بيننا وبينه؟»³ ولما اليهود طلبت معرفة كيف يحصل ذلك، حينئذ فصل الله قوله في وصف نوره في قلب المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره لتقريب المعنى لهم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ النور [35] بمعنى؛ مثل

¹ - ينظر: محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007، ص 354.

² - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ص 1361.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نور الله في قلب المؤمن الذي يحمل الإيمان والعمل بالقرآن كالمصباح في الزجاج الصافية المتوقدة من زيت طيب.

انطلقت حجة التعريف في المثل القرآني من المجتمع وما ساد فيه، من أفكار مقبولة ومن مبادئ مسلم بها بمعنى آخر؛ من الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية وذلك بما يعرفه أهل ذلك الزمان، وبحسب قواعدهم وسلوكاتهم الاجتماعية والمتطلبات الثقافية التي تحكم أنشطتهم، حيث عمد سبحانه وتعالى في تعريف ذاته إلى واقعهم الحسي «فضرب مثلاً للهدى النور، وللقلب المشكاة، وللإيمان المصباح، وللصدر الزجاج»¹، لبيّن لهم أن نوره ليس كالأضواء التي ندركها فقد «اجتمعت فيه المشكاة (الطاقة) والزجاجة والمصباح والزيت، لجعل النور قويا مشعا لا مجال لأي تقوية أخرى فيه»²، ولأنّ السّامع الخاص (المنافق) والكوني لم يكن يتصور إضاءة في الظلام أشدّ من إضاءة المصباح أو زيت الزيتون في الزجاج « فأقوى نور كان الناس يعرفونه في الزمن القديم هو زيت الزيتون وكان أصفى المصابيح عندهم، فهو من الشفافية بذاته حتى ليكاد يضيء بغير احتراق»³، والأمر ذاته في إضاءة نور الهداية في قلب المؤمن فنور الله تعالى قد تجاوز أبلغ صفات النور الذي يعتبرونه منبع الضوء في ذلك الزمن، حتى في وقتنا هذا فنور الله يبدأ من حيث ينتهي النور الذي ندركه، فنلاحظ أن وظيفة حجة التعريف في هذا المقام هي التوضيح وتسهيل عملية الإدراك وتحقيق التواصل الفعّال مع السّامع الخاص (المنافق) والكوني لغرض إفهامه بحقيقة الإيمان بالله تعالى، كما يتغيّر هذا التعريف تجنب اللبس والتأويل الخطأ عن الله سبحانه وتعالى، لأنّ العرب كانت « تؤمن بالله ربّاً، ثم تشرك به

¹ - عبد الله بن عبد الرحمان الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، مرجع سابق، ص 319.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مج9، ج 17-18، مرجع سابق، ص 582.

³ - أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، مرجع سابق، ص ص 228-235.

عبادة أي أنها تشرك به تعالى في ألوهيته، رغم أنها تؤمن به في ربوبيته، ولكن إيمانها ذلك إنما كان إيماناً تصورياً لا معرفة فيه، لذا لم ينتج تعلقاً بالله ولا تأليهاً له¹. وعلية، قدم المثل القرآني تعريفاً لهم حتى يفهموا ويعقلوا معنى الله نور السموات والأرض، كما يسعى المثل في هذا المقام إلى تغيير أساليب تفكير السامع (المنافق) وطرق تشكيل معتقداته رغبة في الإمساك عن الشرك وتغيير وجهته نحو النور أو ليتهاياً للظلام والحرمان.

كان التشبيه التمثيلي طريقة لحجة التعريف لتقريب المفهوم حتى لا يتعسر على أحد فهم طبيعة نور الله تعالى حيث «شبه نور الله الذي جعله في قلب المؤمن بالمصباح في كوة (طاقة) داخل زجاجة، تشبه الكوكب الدرّي في الصفاء والحسن، سمي تمثيلاً لأن وجه الشبه منتزع من متعدد»²، وهذا يمنح للأطروحة تشخيصاً لمعانيها وترسيخاً في الذهن وتثبيتاً في القلب، وعليه، يدرك السامع معنى الضوء القويّ لذات الله بصورة مشخصة أمام عينيه، كذلك تسهم في تحفيز ذهن السامع نحو الإذعان والتأييد، لأنّ المشهد هنا مشهد إقبال، فالسامع أدرك وجه الشبه واستنبطه فلا بد أن يقتنع ويؤيد مكانم النور ويخضع لمنافذ التغيير التي يعبر عنها المثل لبناء الفكر الإسلاميّ فالمثل أراد أن يقنع السامع بالإيمان بالله تعالى ويجعله يعرف أثره في المؤمن، لأنّ النتيجة ستكون حتماً أنّه، كما يضيء المصباح المشكاة كلها كذلك الله سبحانه وتعالى يضيء قلب المؤمن والكون كلّهُ.

إنّ حدّة الإذعان تقوى عند المؤمن المدرك لمعنى المثل بشكل يبعثه على التمسك ببعيدته والاعتزاز بها، لأنّه يعلم أن تلك الصفات من نصيبه، أمّا المنافق فهذا المثل

¹ - فريد الأنصاري، جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح، دار السلام (منتديات مجلة الدين)، ص 45.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مج 9، ج 17-18، مرجع سابق، ص 578.

بمثابة دعوة له إلى تصور نور الله وشدته، وتنبيه بأن تلك الآثار ليست من نصيبه، فالأبصار المحدودة العاجزة لا تدرك قوة نور الله وسعته وشموله في خلقه.

لما كانت هناك أبصار غير مدركة لنور الله تعالى، ولما كان المثل ذو خصوصية تعريفية، استلزم الأمر عرض هذا التعريف بأسلوب خبري، هذا الأسلوب يؤدي إلى الحضور القوي للموضوع في ذهن السامع، لإفادته بتعريف لشيء يجهله، تحقيقاً لإبلاغية المثل عن طريق تعديل الأطروحات والاعتقادات لدى السامع، إذ لا بد من الوعي والعمل به، وذلك من خلال الإقرار بأن نور الله تعالى قد تجاوز أبلغ صفات النور الذي بين الناس فهو «كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر المشكاة الكوة في الحائط غير النافذ»¹ لحصول اعتراف المنافق بالإيمان بالله عند إقامة هذه الحجّة التعريفية أي؛ يقنع نفسه بنفسه فيذعن بالأطروحة وهذا ما يسمى بالاعتناع.

2- حجة العدل أو الحجّة التبادلية:

حجة العدل أو الحجّة التبادلية هي من الحجج التي تستدعي تشغيل العقل بشكل واسع، فتترك للسامع مجال الاستنتاج، كما تعزز مصداقية الخطاب القرآني في التفكير والتعامل معه، وهي حاضرة بقوة في المثل القرآني، تتجلى في سورة الزمر وهي سورة مكيّة. في موضوع "المشرك والمؤمن" حين «دعا رسول الله اليهود إلى الإسلام، ورجبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال: رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرا منا»². فخاطب الله تعالى الرسول الكريم فيهم «وضرب لقومك يا محمد مثلاً وقل لهم ما تقولون»³، في قوله

¹ -أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، مرجع سابق، ص 228-235.

² -وهبة الزحيلي، التفسير المنير، مج1، ج1-2، مرجع سابق، ص 436.

³ -الزمخشري الكشاف، علق عليه: خليل مأمون شيجا، مرجع سابق، ص939.

تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر [29]

يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك:

الأول: يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه لا يمكنه رضاهم، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يملك أن يرضى أهواءهم المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه.

والثاني: يملكه سيد واحد وهو يعلم ما يطلبه منه ويكلفه به فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح، فهو في راحة من تشاحن الخطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه فهما لا يستويان¹.

الأطروحة التي يدافع عنها المثل هي الدّعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له وما له من أثر إيجابي في حياة المؤمن ودحض الشرك به لما له من فساد وضلال يعود على صاحبه.

تقوم هذه الآية على حجة العدالة أو مبدأ التماثل بين وضعيتين للتعامل معهما بكيفية واحدة وهذه العلاقة علاقة منطقية، يفرضها المثل لاحتوائه قوة المنطق الظاهرة فيه، بمعنى؛ أن العلاقة بين (أ) و(ب) هي العلاقة نفسها بين (ب) و (أ) ذلك من خلال المعاملة بالعدل للوضعيتين كما يلي:

¹ -ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، ص 261. ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3049.

وضعية (أ)	وضعية (ب)
علاقة العبد بممالك متشاكسون وآخر بملك واحد كريم (أ)	تمائل علاقة العابد للأصنام والأوثان وعلاقة العابد لله وحده لا شريك له (ب).

ليتم إصدار الحكم على الوضعية الأولى وتمريه على الوضعية الثانية كالآتي:

أن العبد الذي يحكمه ممالك عدّة حالته في اضطراب وتنازع، لا يعرف من يرضي وعلى من يتوكل في أموره، فهو فاقد للحرية وكل شأنه يقام تحت سلطان ومصيره الضياع، وأن العبد الذي يحكمه مالك واحد عزيز حكيم حالته حالة أمن واستقرار ونتيجته الفلاح.

ومن ثمة، تمرر الحكم ذاته على العلاقة الماثلة تطبيقاً لحجة العدل، ليتضح للسّامع (الكافر) أن من يشرك بالله في اضطراب وتنازع مع غياب الحرية، والخضوع للدّلّ نتيجته الضياع والتشتت، وأن المؤمن بالله طريقه واضح، ومصيره الأمن والفلاح فهو « يخدم سيّدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء»¹، نلاحظ أن المثل القرآني مقنع بشكل قوي، لاستناده لمبدأ منطقي هو العدالة والتبادلية أي؛ إثبات صحة عدالة الحالتين في الوضعتين (أ) و(ب)، لأنّ المثل القرآني اعتمد على مبدأ ذهني ليقود السّامع (الكافر) إلى الإقناع والإقرار بالدّعوة والبرهنة عليها من خلال النتيجة التي يتوصل إليها، ويكفي أن يدرك السّامع هذا ليذعن بالأطروحة، ويقتنع بحقيقة المشترك وحقيقة المؤمن.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص 3049.

لقد اعتمد المثل القرآني على هرمية مقصودة ومناسبة لسياق في المثل القرآني بداية بثقافة السّامع الدينية المنتشرة ليستدرجهم نحو ثقافة دينية جديدة باستعمال حجة العدل، لإحداث نقلة من قيمة سلبية إلى قيمة إيجابية مرغوب فيها ويحكم السّامع بنفسه على هاتين القيمتين أو الوضعيتين فيفسر النتيجة بنفسه بمعنى آخر؛ دعوة المثل القرآني السّامع لتطبيق مبدأ العدالة في هذا الموضوع لعلمهم يعلمون أن الحالتين في الوضعية الأولى لا تستويان مع الحالتين في الوضعية الثانية فنلاحظ أن قاعدة العدل تنطبق على المثل القرآني.

كان للوجه البلاغي دور كبير في تحقيق التأثير في السّامع والأخذ به نحو الاقتناع بالأطروحة حيث يدرك أن حال الكافر (مشبه) وحال المملوك (مشبه به) الذي فيه شركاء لكل أمره ونهيه لوجه شبه جامع بينهما هو التثنت، بخلاف حال المؤمن (المشبه) وحال رجل سالم (مشبه به) لوجه الشبه بينهما هو الاستقامة والوضوح فإنه في يد الخالق الحكيم، وهي صورة دقيقة توضح حال الكافر والمؤمن فهما لا يستويان.

وما زاد حجة العدل قوة تأثيرية إلى جانب القوّة الإقناعية ورود النتيجة فيها بصيغة استفهام ليثبتها في ذهن السّامع الكافر بطريقة فعالة ومؤثرة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر 29]، يذهب بنا (ابن عطية) أن المقصود به توقيف لا يجيب عنه أحد إلاّ بأنّهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنّهم قد جاوبوا، فقالوا: "الحمد لله" على ظهور الحجّة عليكم من أقوالكم¹ وهي جواب الأقلية الذين علموا أمر التوحيد وتمسكوا به ورفضوا الشرك بالله وعبادة الأوثان.

¹ - ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن في تفسير الكتاب العزيز، ص 1617.

إنّ حجة العدل في المثل القرآني ساهمت في إقناع السّامع، إذ جعلته يعي المقصود بطريقة منطقية، كما ساهم الوجه الأسلوبى في حضوره المناسب إحداث تواصل وتفاعل مع السّامع بنوعيه ليذعن بالأطروحة.

ونحو ذلك نجد حجة العدل في المثل القرآني من سورة البقرة وهي سورة مدنية. في موضوع "الارتقاء بالعقل" قال تعالى مخاطبا الرسول الكريم في الكفار: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة [171]

هذا المثل قد نزل في طائفة من اليهود دعاهم الرسول إلى الإسلام فقالوا نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أي؛ مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناقع والمنعوق فهم كبهائم تتعق لا يسمعون من الدعاء سوى أجراس النغمة وصدى الصوت من غير استبصار وإذعان، فهم كالدواب السارحة لا تفقه ولا تعي ما يقال لها إذا نعق بها راعيها أو دعاها إلى ما يرشدها¹.

الأطروحة التي يثبتها المثل هي الدّعوة إلى الاحتكام للعقل في جميع الأمور الحياتية وإتباع الدّين الحق، ودحض فكرة التقليد أو التمسك بالمعتقدات القديمة دون استخدام العقل أو التفكير فيها.

حجة العدل في هذا المثل قائمة على مبدأ التناظر بين الوضعيتين فالعلاقة بين (أ) و(ب) هي العلاقة نفسها بين (ب) و (أ)، لذا طلب الله تعالى في المثل القرآني المعاملة بالمثل استنادا إلى حجة العدل بشكل ضمني، ليستدرج السّامع نحو تمرير الحكم والإقرار بأحقية العدل بين القضيتين التاليتين:

¹ - ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص250. وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: عادل بن يوسف العزازي وآخرون، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2017، ص 662.

وضعية (أ)	وضعية (ب)
إنّ صفة الكافر بالله والرسول يدعوّه إلى الدّين الحق (أ)	تماثل صفة البهيمة التي تسمع نداء من صاحبها دون أن تعيه (ب)

ليكون الحكم على الوضعية الأولى هو عينه في الوضعية الثانية وهو:

أن الكافر في عناده وجحوده للدّعوة كالبهيمة في إتباع أهوائها، فجحود البهية حقيقة لا يمكن إنكارها والحجّة التي تعادلها هي أيضا تحمل تلك الحقيقة الواقعية.

تضم حجة العدل وجه بلاغي يتمثل في التشبيه المرسل وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْبَقَرَةِ [171]، لذكر أداة التشبيه، وهو تشبيه مركب تشبيها للكفار في عدم إتباعهم لدعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالبهائم التي ينعق بها الراعي فلا تعي قوله سوى سماع صوت نداء، وفي قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾ البقرة [171]، تشبيه بليغ حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه أي؛ هم كالصم في عدم سماع الحق، والعمى والبكم في عدم الانتفاع بالقرآن¹. لذا فالله تعالى يدعو لإعمال العقل واستنتاج وجه الشبه لهيئة الكافر مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي يتمثل في أنهم مثل البهائم تسمع صوتا ولا تفهمه، ليعرف السّامع الخاص (الكافر) والكوني مدى قبح صورته وحقارته، فتنشأ لديه أهواء التنفير من ذلك العمل.

إنّ حضور التشبيه بأنواعه في المثل القرآني يضطلع بوظيفة حاجية تدفع للتغيير لأنّه يوحي بأن البهيمة معادلة للكافر بالله تعالى، فالتشبيه يكشف عن حالة الكافر

¹ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج1، ج1-2، مرجع سابق، ص

المعارض للدعوة، ويصف مقام الكافر وفيه تتجلى دلالة الضعف والعجز. وعليه، فالتشبيه يحرك الدوافع النفسية التي تبعث على التأييد للأطروحة وتغيير الآراء، فالله تعالى يفرض على السامع بنوعيه القوة المنطقية والبلاغية ليكشف النتيجة ووجه الشبه للصورة البلاغية بنفسه.

أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها:

-تقتضي العلاقة التفاعلية للحجج المنطقية في المثل القرآني إلى أنّ نحدد موقفنا من الأطروحة والموضوع، إمّا أن نؤيد حجة ما، أو ندافع عنها، أو ندحضها أو نعارضها أو نعاكسها ونناقضها.

-إنّ المثل القرآني انطلق من مبادئ ومقدمات كونية هي محل اتفاق للسامع بنوعية لأنّ الاقتناع بها يجعل السامع يقتنع ويقبل ما جاء به المثل لتأسيسه أو لهدمه.

- إنّ الهدف من تحليل المثل القرآني وفقا للحجج شبه المنطقية ليس لعرض المنطقية والجمالية فيه فحسب، إنّما للتفكير والأخذ به والتدبر في آياته.

-استطعنا أن نترجم الحجج إلى عمليات وأشكال معروفة في المجال الرياضي من عمليات الجمع وأشكال الدوائر والتقسيمات وغيرها من العمليات الرياضية.

-إن الحجج التي جاءت في صيغة رياضية حجج تتمتع بالصحة ومشروعية إتباع الأطروحة لأنها تعتمد على التجارب العقلية والمنطقية، ولأنّها تقوم على قضايا وعمليات سبق التسليم بها، تستخدم لإثبات والبرهنة على القواعد والقوانين الموجودة في المثل القرآني فالمثل القرآني عرض الحجج بشكل منطقي ومنظم بعيدا عن التناقض ليسهل عملية الفهم والتدبر والتذكر.

-إن الحجج شبه المنطقية في المثل القرآني تحمل صفة الكمال والمطلقة التي استمدتها من مطلقية الخطاب القرآني باعتباره خطاب تكليف ومسؤولية لأنّ ما يُدعم الطّابع شبه المنطقي للحجج هو التقارب بين البرهان والحجاج وهو ما يعطي الحجّة شبه المنطقية قوتها الإقناعية.

-تخضع الحجج شبه المنطقية سواء الرياضية أو المنطقية للعمليات العقلية وتكسب الحجج الصحة، فهي مبنية على شكل استنتاجات واضحة لفهم المقصود من المثل القرآني، وتقديم الحقيقة الثابتة الأزلية، كونه المعجزة الوحيدة المستمرة عبر الزمن.

-الحجج المنطقية تركز على العقل والمنطق كأداة للإقناع والتأثير وتقوم على الفكر السليم لأنها تقدم معرفة صحيحة، لذا كثيرا ما نجد في الخطاب القرآني حثاً على إعمال العقل والفكر والتدبر كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (176) ﴿الأعراف [176]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (4) ﴿الرعد[4]..

-الحجج المنطقية تقوم على الاستدلال أي؛ إعمال العقل لتمييز الأطروحة الصحيحة من الأطروحة السقيمة.

- تظهر حجة المقارنة في المثل القرآني كأسلوب تفضيل بين ما يحثنا إليه الله-عزّ وجلّ- وبين ما يدعونا للإمساك عنه.

- تتجلى وظيفة التعريفات القرآنية في التبرير الحجاجي لأنه يحرك العملية الاستدلالية ويقدم اختيارات دون أخرى كما أنه يشكل حكماً على الأشياء وتقويمها.

-حجة التعديّة وحجة العدل يُقصد بهما تلك العلاقات المنطقية في المثل القرآني والتي تتجسد فيه إلى أبعد حدّ.

- لاحظنا أن الوقائع الواردة في المثل القرآني تشكل حجة في ذاتها فهي تملك دوراً إقناعياً، فقد انطلقت الأمثال القرآنية من أمور مسلمّ بها لا يمكن معارضتها أو رفضها لتجعل السامع في حالة تبكيت بعد الإذعان، كذلك تمثل عاملاً مهماً لفهم سياق الحجة، وحمل السامع على التأييد.

- في الأمثال التي تم تحليلها لاحظنا أن ترتيب القيم أو ما يسمى بالهرميّة مختلف من سامع إلى آخر لأنّ؛ لكل منهم طريقة ترتيب خاصة في ذهنه، والله تعالى عالم بما تُحدثهم به نفوسهم وعقولهم فخاطبهم وحاججهم بما يناسب أنفسهم ووعيهم، أي؛ بداية بما يعتقدون ويؤمنون به، ليُتبعها بقيمة أعلى منها يتخذها جسراً نحو الغرض من المثل كلّه.

- المثل القرآني لم يقتصر على وضع الحجّة على طريقة واحدة، بل دمج بين الحجج وهذا أسلوب القرآن كلّه لإعمال العقل والقلب معا.

- تعتمد الأمثال القرآنيّة اعتماداً كلياً على المستويات الإدراكية (العقل والعاطفة) لدحض الإرث الجاهلي وتفنيد كلمة الباطل، وتقديم واقع جديد ورؤية جديدة للسّامع بنوعيه للفوز بالجنّة والنجاة من النّار، لأنّ غرض القرآن الكريم لا يتوقف عند الإقناع بل لحصول اليقين والعمل بالأطروحة المفروضة.

-إن النتيجة التي أصبح عليها السّامع الخاص لا شك أنّها ستصبح نتيجة السّامع الكونيّ نفسها رغم تغير الأحوال والمعارف.

الفصل الرابع

الحجج المؤسّسة على بنية الواقع والمؤسّسة
للواقع في المثل القرآني

-تمهيد

أولاً: الحجج المؤسّسة لبنية الواقع في المثل القرآني

ثانياً: الحجج المؤسّسة للواقع في المثل القرآني

تمهيد:

تختلف الحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة للواقع عن الحجج شبه المنطقية والرياضية في الشكل والصيغة؛ فالأخيرة تظهر في شكلها إما منطقية أو رياضية، يستطيع كل من له عقل أن يفهم علاقاتها ويعي مقصودها بوضوح ويشكلها بصيغ رياضية حسابية أو شكلية ما يعني أن اللغة القرآنية لغة مرنة، لكونها تتسم بالدقة والتنظيم، وتتجلى غاية هذه الحجج في حصول الاقتناع من طرف السامع الخاص والكوني.

أما حضور الحجج المؤسسة على بنية الواقع في خطاب المثل القرآني فهي تنطلق من بنية الواقع ومن التجارب المعروفة والمستوحاة من بيئة السامع وعالمه، لتؤسس قاعدة وتبرهن عليها بالتجربة والواقع ما يجعل السامع في حالة تأييد واستسلام وخضوع لأنها تقوم على مبدأ يقيني لا جدال فيه فالعقل البشري يؤمن بالتجارب ويأخذ بنتائجها. وعليه، يتحقق الوصول إلى عقل السامع والاقتناع بما يحمله خطاب المثل القرآني، وبالتالي بناء ما أراد سبحانه وتعالى أن يكون في الواقع حقاً، في حين تهتم الحجج المؤسسة للواقع على ابتكار واقع مرغوب فيه، فهي لا تقوم على الواقع بل تعيد بناءه بواسطة الحالات الخاصة أو التمثيل التي تسعى لتأكيداتها وتوضيح قضية معينة، ذلك بالاستعانة بالآليات البلاغية في صياغة خطاب المثل القرآني وهذا يعود للفعل الإبداعي بمعنى؛ الاعتماد على الصور البيانية والبديعية وغيرها لتحريك انفعالات السامع وإعمال عقله، لأن الصور البلاغية تكتسب طاقتها الحجاجية انطلاقاً من قدرتها على التعبير عن الواقع بصور فنية تحرك خيال السامع، كما تسمح بتوضيح الواقع وتأسيس القوانين التي جاء بها الدين الجديد (الإسلامي)، ما يدل على عدم القدرة على دحضها والاعتراض عليها هذا ما جعل

الفصل الرابع: الحجج المؤسسة على بنية الواقع والمؤسسة للواقع في المثل القرآني

وظيفتها تتجلى في استدراج الخصم للإذعان والتسليم، وأصبحت حجة في ذاتها لكونها تحمل بعد إقناعي تأثيري.

وتلتقي تلك الحجج في الغاية فكلها تتغيا إيجاد واقع جديد يستند على القاعدة التي جاء بها خطاب المثل القرآني ليبيد بها المعتقدات الخاطئة، ويدفع السامع إلى الفعل والاستجابة بما يحمله المثل القرآني، وعليه نقول: إنّ الخوض في مسألة المقاربة الحجاجية في المثل القرآني يعني بالضرورة النظر في مختلف الحجج المؤسسة على بنية الواقع والمؤسسة للواقع التي وظفها الله تعالى لغاية الإقناع والحمل على الإذعان، وذلك بالوقوف على نوع الحجّة ووظيفة الوجوه البلاغية والأسلوبية وتحليلهم وتبيان طاقات التأثير والإقناع بهم وسنبين ذلك كالتالي:

أولاً: الحجج المؤسسة على بنية الواقع في المثل القرآني:

إنّ الحديث عن الحجج المؤسسة لبنيّة الواقع في المثل القرآني، يسمح لنا بإقامة علاقة بين أحكام متفق عليها في الواقع، وأحكام شرعها الله- عزّ وجلّ- لإقامتها والنهوض بها في دنيا الناس، كلّ مدمج في بنية حاجية متماسكة، بحيث لا يمكن التسليم بأحدهما دون التسليم بالآخر، لأنّ العلاقة بينهما علاقة اتصاليّة، والأطروحة التي يعرضها المثل القرآني تبدو أكثر إقناعاً وأقدر على الفعل في السّامع، لأنّ مرجعيتها مأخوذة من التجربة والواقع المعيش؛ وبالتالي يستحيل على السّامع الرّد عليها والطعن فيها. وتعد الأمثال القرآنية قضية دينية وفكرية وتاريخية، يحتاج بسطها إلى تفصيل، وتعليل، وإلى استحضار الواقع، بهدف إفهام السّامعين وإقناعهم مهما اختلفت أفهامهم وأزمانهم.

ومن بين هذه الحجج المؤسسة لبنيّة الواقع الظّاهرة في المثل القرآني نجد:

1- الحجّة السببيّة:

نعني بها وجود رابط سببي في المثل القرآني يُبيّن حدثين متتاليين استند إليه لوصف واقع جديد يروم إليه، انطلاقاً من الواقع الذي ينتمي إليه السّامع أو من التجربة التي مرّ بها. وتتأسس الحجّة السببية على القول «بسبب كذا»¹.

ففي سورة النحل -وهي سورة مكّيّة- تتجلى في موضوع "جزاء الكافر" في مقام الإنذار والتهديد بالوقوع في الجوع والخوف لأهل مكة. وذلك لما دعا عليهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وقال: «اللّهم اشدّد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام»²، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿

¹ - جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 49.

² - محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، ج14، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007، ص 279-280.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) النحل [112، 113]

تحمل هذه الآية معنى أنّ قوماً من بني إسرائيل تُوتى لهم من طعامهم حتى جعلوا منه تماثيل بمدن كانت في بلادهم يستتجون بها، فلما كانت هذه فعلتهم بعث الله على أرضهم دواب من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلا أكلته من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستتجون به فأكلوه¹ فضربها الله تعالى مثلاً لمكة وغيرها.

يُثَبِّتُ المثل القرآني **أطروحة** وجوب شكر الله عند النعم والامتنان له وطاعته والتصديق بدعوة رسوله الكريم محمد-صلى الله عليه وسلم- ويدحض أطروحة الجحود في حق الله تعالى والتقصير في عبادته وتكذيب دعوة رسوله-صلى الله عليه وسلم-

كما يتناول المثل القرآني حقيقة جحود أهل الكفر بأنعم الله، حيث اعتمد المثل القرآني في حجاجه لهؤلاء على **الحجة السببية** القائمة على ذكر السبب الذي كان وراء حصول تلك النتيجة السلبية، كونها الأنسب لمقام التحذير والتنبيه والأجدر للإقناع والتأثير في السامع الخاص (أهل مكة) والكوني، منطلقاً من واقعة معاشة وهي أهل القرية من بني إسرائيل الكافرين بنعم الله وبآياته لينبّه السامع الخاص (أهل مكة) بنتيجة أفعالهم ويوقظهم من غفلتهم، فيقيموا الصلة بين فعل الكفر بأنعم الله بناء على نتيجته وهي الخسران والإقصاء من رحمة الله تعالى، وهنا يقف السامع لي طرح السؤال: ما السبب الذي أدى إلى نتيجة الضلال والخسران لأهل القرية؟، ليعود

¹-ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 186.

السّامع بنوعيه إلى تقصي أحداث وأفعال هذه القرية الظاهرة في البنية الحجاجية للمثل فيجد أنّها تقوم على سببين رئيسين قام بهما أهل القرية:

السبب الأول: هو ظلمهم لأنفسهم وإصرارهم على الشرك والكفر بالله تعالى.

السبب الثاني: يتمثل في تكذيبهم وإنكارهم لدعوة الرّسول -صلى الله عليه وسلم-

فسياق هذه الآية يوجز لنا مجموعة من الأحداث متتابعة تتعالق فيما بينها برابط سببي واضح في المثل يتجسد في الكفر بنعم الله، أي؛ كفرت القرية بنعم الله تعالى فأذاقها الله لباس الفقر والخوف، ثم كذبت بآياته فأخذهم العذاب الشديد. ليجعل السّامع بنوعيه يفهم الأمر الذي أدى للهلاك والخسران، ويعلم نتيجة تلك الأسباب التي أوصلتهم إلى العقاب الإلهي بما يناسب صنيعهم أن: حلّ عليهم غضب الله ففقدوا كل شيء وابتلوا بالفقر والخوف والجوع.

وعليه، ذكر الله تعالى الأسباب وربطها بنتائجها «حيث يعد ذكر الأسباب وسيلة من وسائل الحجاج وإثبات الدعاوى أو رفضها»¹، ومقتضى ذلك أن هذه النتيجة وقعت مع أهل القرية وستقع مع السّامع الخاص (أهل مكة) وغيرهم إذا وجدت الأسباب نفسها خصوصاً إذا كان الفعل هو الكفر والكذب ليكون الردّ هو الخوف والفقر والعذاب ثم النتيجة الخسران والإقصاء من رحمة الله تعالى، فكما حصل لهم سيحصل للسّامع بنوعيه إذ امتلك الأسباب نفسها.

لذلك يتأكد لنا أن بيان السبب في المثل القرآني أحدث تأثيراً في القلوب وردة فعلٍ في السلوك؛ لأنه يُقدّم تفسيرات واضحة ومناسبة للسّامع الخاص والكوني، فكلمة كانت الحجّة سببية حاضرة في الخطاب كانت أكثر إقناعاً وأنجح على الفعل في السّامع والتأثير فيه بحيث لا يمكن الشك في النتيجة.

¹ - محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 57-58.

كما يحوي المثل القرآني إلى جانب الحجّة السببية مجموعة من الصور البيانية من أجل تصوير الأسباب والنتائج تصويراً بلاغياً مؤثراً في السّامع ومبيناً حدود الأطروحة، حيث وظف المجاز المرسل بذكر المحل وأراد الحال وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ النحل [112]، عبّر بالمحل (القرية) وأراد به أهلها وأصحابها؛ لعلاقة محلية لأن القرية هي «مكان الأمن وظرف له، والظروف توصف بما حل بها»¹، ووظف الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ النحل [112]، فالمشبه هو حال أهل القرية والمشبه به الإنسان فحذف المشبه به الإنسان وترك لازماً من لوازمه وهو الإذاقة واللّباس على سبيل الاستعارة المكنية التي تسعى إلى ترسيخ المعنى بعمق في ذهن السّامع بنوعيه ودفعه لإنجاز المطلوب، فقد «استعار الذوق لإدراك أثر الضرر واللّباس لما غشيم واشتمل عليهم من الجوع والخوف»²، فمتى اعتمد المثل القرآني على الوجوه البلاغية ازدادت قدرته الإقناعية أكثر في السّامع ليُسَلِّمَ بالأطروحة المعروضة عليه.

فيتبين لنا أنّ الحجّة السببية المزودة بالصور البلاغية توضح وتفسر الأسباب بدقّة، كما يُؤتى بها لتشخيص المعاني وتجسيدها، واندماجهما معاً كان من أجل التفسير وإيضاح المقصود من المثل القرآني.

أضف إلى ذلك، استعانة الحجّة السببية في هذه الآية بالأسلوب الخبري؛ لأنّ الأسلوب الخبري في الخطاب القرآني عامة والمثل خاصة يحمل خيراً يقينياً لا شك فيه ولا لبس عليه، ولا يمكن الشك في الأسباب التي أدت بهلاك القرية ولا بنتائجها بمعنى آخر؛ على السّامع الخاص أو الكوني أن يحذروا من ظلم أنفسهم وبيتعدوا عن إنكار التوحيد وتكذيب دعوة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ لأنّ نتيجة تلك

¹ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج14، مرجع سابق، ص 572.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأسباب حتما ستكون تماما مثل نتيجة تلك القرية؛ فالعذاب الإلهي لاحق بكل كافر وجاحد بنعمه، فإنّ تخلص السّامع من تلك الأسباب تخلص من تلك النتيجة.

ونظير هذه الحجّة ما ورد في سورة الأعراف وهي سورة مكّيّة في موضوع "العلم دون العمل" حين خاطب الله تعالى رسوله الكريم محمد-صلى الله عليه وسلم- بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) ﴿الأعراف [175، 176]

فقد أمر الله تعالى الرسول الكريم-عليه الصلاة والسلام- أن يقرأ على اليهود خبر الذي علمه آياته* ولكنه هجرها وتركها ولم يعمل بها، فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له، فصار من الضالين الكافرين¹.

يدافع المثل القرآني عن أطروحة التمسك بآيات الله والعمل بها ونهي النفس عن إتباع الهوى، ودحض أطروحة نقض آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها، من أجل الميل إلى الدنيا وإتباع الشيطان.

تُبين هذه الحجّة في هذا المقام وهو مقام التحذير، حقيقة إنكار اليهود لنبوّة محمد-صلى الله عليه وسلم- وهذا هو واقع اليهود الذين أعلمهم الله تعالى بصفاته وأخبرهم بمجيئه في كتبهم التوراة والإنجيل، ومع ذلك أصرّوا على تكذيب آيات الله

*روي في أسانيد كثيرة أن المعني بها (أمية بن أبي الصلت الثقيفي) كان ممن أراد إتباع دين غير الشرك طالبا دين الحق فرفض عبادة الأصنام وتوخي الحنفية دين إبراهيم وأخبر أن الله يبعث نبيا في العرب، فطمع أن يكون هو ويروى أنّ له إلهامات ومكاشفات، ولمّا بُعث محمد-صلى الله عليه وسلم- أسف أن لم يكن هو الرسول المبعوث في العرب، فتردد في الإسلام ولم يؤمن بمحمد-صلى الله عليه وسلم- حسدا فمات كافرا، ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4، مرجع سابق، ص 174.

¹-ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 9، مرجع سابق، ص 174.

ودعوة الرسول-صلى الله عليه وسلم-، فجاء الردّ من الله تعالى بضرب المثل (الرجل المنسلخ) ليحذرهم مستعملا الحجّة السببية لبناء واقع منشود قائم على إتباع الرسول-صلى الله عليه وسلم-، هذه الحجّة تحرك في السّامع أهواء الاستفسار وطرح السؤال لمعرفة السبب الذي كان وراء النتيجة السلبية من ضلال وابتعاد عن رحمة الله تعالى رغم أن الرجل علّمه الله تعالى آياته ونتيجته ستكون حتما الرّفعة والعلو. فيتساءل في نفسه: ما السبب الذي جعل ذلك الرجل من الغاوين رغم أنّه كان قريبا من الله تعالى؟

ليقف السّامع الخاص(اليهود)والكوني على البنية الحجاجية للمثل، فيدرك أن الأسباب التي أدت بالرجل إلى الخسران هي:

السبب الأول: الانسلاخ عن آيات الله تعالى بعد معرفتها.

السبب الثاني: الميل إلى الدّنيا وإتباع الشيطان.

وكنتيجة لهذه الأسباب والأفعال أصبح من الخاسرين والغاوين، رغم أنّ الله تعالى قد هياّ له أسباب الهداية وذلك بما علّمه من آيات، فيفهم السّامع الخاص(اليهود) أن عمّل ذلك الرجل وحاله يشبه حالهم في تكذيب آيات الله، ليعلم أن الواجب أمام آيات الله تعالى ليس معرفتها فحسب، بل التمسك والعمل بها.

إذ إنّ الرّفعة عند الله تعالى ليست بمجرد العلم وإنّما بإتباع الحق وإيثاره قصد مرضاته، فلو لزم الرجل الآيات لرفعه بها، إذ اللزوم لها موقوف على مشيئة الله وهو الحق¹ هكذا، يصل السّامع الخاص(اليهود) والكوني أن السبب أو الفعل وراء تلك النتيجة السلبية التي يؤولون إليها هي اختيارهم طرق إتباع الهوى والميل إلى الدّنيا وعدم نصرتهم للرسول-صلى الله عليه وسلم- رغم أنّهم أحق الناس وأولاهم بإتباعه ومناصرته، إلاّ أنهم انسلخوا عن ذلك ولم يعملوا بما أقرّت به كتبهم، واتبعوا الشيطان

¹-ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 219.

وهي أسباب كافية لحصول النتيجة عيئها للسامع الخاص (اليهود) أي؛ تكون نتيجتهم مثل نتيجة ذلك الرجل وهي تحول النعمة وحلول الضلال والابتعاد عن رحمة الله تعالى، فالله تعالى يستدرج السامع بنوعيه في هذا المثل إلى معرفة السبب وإدراك النتيجة ليصدر الحكم على نفسه بنفسه.

لقد عمدت الحجّة السببية إلى إثبات إنكارهم لنبوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ورسالته فأقامت الحجّة البالغة عليهم لعلّ السامع الخاص (اليهود) والكوني العالم بما جرى لحال ذلك الرجل المنسلخ من إبعاده من رحمة الله تعالى يأخذون طريق الحق، ويدخلون في دائرة الاقتناع والتمسك بآياته والتصديق بدعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

كان حضور التشبيه التمثيلي الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُ الْكَلْبِ﴾ الأعراف [176]، القائم على استعمال لفظ المثل بعد كاف التشبيه المألوف بأنه يراد به تشبيه الحالة بالحالة¹، فالتشبيه مأخوذ من طبيعتهم وبيئتهم وهو آية معينة على حصول فهم الأسباب للإذعان بالأطروحة، حيث شُبه حال من آتاه آياته ليؤمن بها ويستقيم على طريقه فلم يحقق ذلك، بل أنكر واستكبر وكذب بها، ليصبح تابعا ذليلا للشيطان فأصبح كحال الكلب في دوام لهته سواء في حالة التعب أو الراحة «لأنّه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها»²، فحال الكافر «إن وعظته فهو ضال وإن تتركه فهو ضال فهو كالكلب إن حملت عليه فهو يلهث وإن تتركه فهو يلهث أي هو لاهث دائما وأبدا»³، وهذه حالة المنسلخ عن آيات الله ومن شدة لهفه على الدنيا وقلة صبره عليها ولانقطاع قلبه عن الله تعالى والدار الآخرة صار نظير الكلب⁴، وهو

¹-ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4، مرجع سابق، ص 177.

²-عمر سليمان عبد الله الأشقر، المعاني الحسان، مج 2، ج 8، المرجع السابق، ص 1281.

³-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴-ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 216-217.

تمثيل لِقُبْحِ وسوء حالهم، حيث تكمن حجاجية قوّة الوجه البلاغي في المثل القرآني في إفادة غاية تقريب الصورة لدى السّامع بنوعيه وإيضاح الموضوع ليستقر معنى ذلك السبب ونتيجته في ذهن السّامع كما تحمل أيضا مآرب إقناعية للتسليم بالأطروحة وتأييدها.

جاء المثل القرآني في خطابه هذا مع الكافرين بصيغة أمر التي كانت دعامة لشدّ انتباه السّامع، وشأن الخطاب أو المثل المستفتح بقوله تعالى: ﴿وَائْتُوا عَلَيْهِمُ﴾ الأعراف [175]، «أن يُقصد منها وعظ المشركين بصاحب القصة بقريظة قوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ الأعراف [176]، ويحصل من ذلك تعليم¹، فالله أمر الرسول الكريم-عليه الصلاة والسلام- أن يخبرهم ويُعلمهم السبب الذي جعل ذلك الرجل ينسلخ عن آيات الله تعالى ليحرك فيهم أهواء الزجر فيحذروا أن يكونوا مثله من سوء الحال بما أصبح عليه ذلك الرجل فيكفوا عن تكذيب آيات الله ودعوة رسوله-صلى الله عليه وسلم- ويتعظ السّامع الخاص (اليهود) والكوني فلا يستمروا على الضلال، لأن القاعدة المنطقية المفهومة من هذه الحجّة هي أنّه:

إذا كانت الأسبابُ نفسُها ستكون النتيجةُ نفسُها، وهذا مبدأ الحجج المبنية على الواقع، وبذلك يكون السّامع بنوعيه قد تأثر بالمثل القرآني وأدرك حالته فيغير ما يجب تغييره في اللّحظة المناسبة، فينتهوا عن تلك الأسباب بعدما علموا بالنتيجة.

2- الحجّة النفعية:

تسمى بالحجّة البراغماتية أو «حجّة النتائج التي تُقدّر فعلاً وحدثاً وقاعدةً بناء على النتائج المقبولة أو غير المقبولة لنقل جزء من القيمة أو القيمة كلّها من النتائج

¹-محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4، مرجع سابق، ص ص173-174.

إلى الأسباب»¹، وهي حجة صالحة ومفيدة تعود بالنفع على السامع الخاص والكوني وتعمل على مصلحته وخدمته، وهي تتأسس على قول: «من أجل كذا»²، لتكشف عن السلوك النافع أو الضار.

تتجلى **الحجة النفعية** في سورة العنكبوت وهي سورة مكية حول موضوع "الشرك بالله تعالى" وهو موضوع لا يحقق المنفعة للسامع الخاص والكوني ولا يحقق له أي مصلحة وفائدة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكُبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)﴾ العنكبوت [41]

يقودنا المثل القرآني هنا إلى فهم صفة المشركين. في اتخاذهم الأصنام آلهة من دون الله طمعا في نصرهم ورزقهم ونفعهم والتمسك بهم في الشدائد كصفة العنكبوت في ضعفها اتخذت لنفسها بيتا يقيها الأذى والحرّ والبرد فلم يفدها شيئا وإذا هبت ريح يصير هباء منثورا³.

يدحض المثل القرآني **أطروحة اللجوء** إلى الأصنام لعبادتها قصد العزة والحماية والعون، **ليدافع** عن **أطروحة** أن الله تعالى هو مستحق العبودية والحفظ والإمداد بالقوة والعون.

نلاحظ أن المثل القرآني يؤسس لأكبر حقيقة دينية في الوجود لا بد من معرفتها وهي وحدانية الله تعالى، ليصل السامع بنوعيه إلى **نتيجة** ضمنية أن الله هو الباقي فلا ركن يأوي إليه سوى ركن الله ولا حماية له سوى حمايته سبحانه وتعالى.

¹ - الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2014، ص72.

² - جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 49.

³ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج10، ج 20، مرجع سابق، ص 618.

وعليه، فقد حاجج خطاب المثل القرآني المشركين في هذا المقام وهو مقام التحذير من الشرك بالله تعالى باستعمال الحجّة النفعية، هذه الحجّة هي الأنسب للموضوع وللسامع الخاص (المشركين) تنطلق من موقفه اتجاه الدّعوة الإسلامية، ومن بيئته وثقافته فهو يعرف أنّ الله وحده لا شريك له وينكر ذلك، ويعرف واقع بيت العنكبوت إذ يزول بأدنى شيء، وهو واقع يدركه الكل ويتفقون عليه، تم توظيفه في المثل القرآني لاستدعاء الطاقة التأثيرية والإقناعيّة وتغيير الواقع المنكر للتوحيد إلى واقع يؤمن بالله تعالى، من خلال معرفة النتائج السيئة لواقع بيت العنكبوت. بمعنى؛ انطلق الله -عزّ وجلّ- ليدعم أطروحته من واقعهم الحسي كون الحجّة النفعية حجّة مؤسّسة لبناء الواقع، فمثل عبادة الأصنام ببيت العنكبوت لأنّه جزء من بيئتهم يرونه كل يوم، فخطاب المثل يُقيّم أفعال هؤلاء ومعاملاتهم بذكر نتائج تلك الأعمال وهي نتائج سلبية يستشفها السّامع من واقع بيت العنكبوت، وهو عبارة عن نسيج من الخيوط الضعيفة، وتحت هذا المثل يدرك السّامع الخاص (المشركين) والكوني أنّ هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء وهي لا تحقق نفعاً ولا تجديهم شيئاً؛ ليجعل سبحانه وتعالى السّامع يتخذ موقفاً إيجابياً فيترك عبادة الأصنام ويأخذ بالمفيد وبالشيء الذي يعود عليه بالنفع وهو عبادته وحده، وأنّ القوة المطلقة والحفظ الكامل من عند الله تعالى وليس من عند الأصنام.

ويحمل هذا المثل رسالة نفعية للسّامع بنوعيه قوامها التنفير من عبادة الأصنام، فالمثل يدفع بالسّامع نحو تقييم حاله، حيث ربط عمل السّامع (عبادة الأصنام) بغايته وهي الحصول على القوة والحفظ وبيان أثرها ليستخلص السّامع نتيجة ذلك وهي: أنّ المشركين ضعفاء والذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم وأنّ عملهم زائل لا أثر له، فيدرك أنّ من أجل الحصول على القوّة والعزّة لا بد من عبادة الله وحده لا شريك له.

اتبعت هذه الحجّة الانطلاق من الوسيلة وهي عبادة الأصنام إلى الغاية وهي الحصول على القوّة والحفظ، رغبة في بيان مدى هوان ذلك العمل المنافي للعقيدة الإسلاميّة فالحجّة النفعيّة تتمتع بقوّة إقناعيّة لا طعن فيها، أي أنّها قائمة على معيار التقييم والفلاح في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، استُخدمت في هذا المثل لتقييم فعل عبادة الأصنام بالقيمة السلبية وهي الضعف والوهن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ العنكبوت [41]، ليقنع السّامع بأنّ ظنهم بالأصنام لم ولن يفيدهم لا في العزّة ولا في القوّة، فقد كان الأمر الحاصل لهم بخلاف ما ظنوه، فهي لا تفيدهم ولا تدفع عنهم السوء، وأعمالهم للأصنام لا منفعة فيها ولا أثر لها، وعليه، استلزم الأمر الإيمان بالأطروحة والخضوع لها وهي عبادته وحده لا شريك له.

ولمّا أراد الله تعالى أن يبرز القوّة الحجاجية في المثل وظّف التشبيه التمثيلي كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ العنكبوت [41]، ففي هذه الصورة تقبيح وترهيب وزجر لغاية ذمّ السّامع الخاص و«إبراز شدة ضعف الكفار حين استندوا إلى أوليائهم الذين يشبهون بيت العنكبوت في ضعفهم وظنوا أنهم صاروا بهم أقوياء»¹، ليحاجج السّامع الخاص (المشرك) والكوني بصورتهم ويؤكد لهم النتائج السلبية التي حصرها في التمثيل حيث شبه المشرك بالعنكبوت وشبه لجوءه إلى الأصنام بلجوء العنكبوت إلى بيته فحاله كحال «العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يحميها من الأذى ولا يمنع عنها الحر أو البرد»²، لجعل السّامع بنوعيه ينتقل بين أطراف التشبيه التمثيلي فيصدر الحكم بنفسه على فعله، استنادا على وجه الشبه الجامع بين الأطراف وهو الضعف وغياب الأمن

¹ - ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 188.

² - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج 10، ج 20، مرجع سابق، ص 618.

والحماية، والمفروض عند إدراك هذه النتيجة وأسبابها يذعن السّامع ويخضع لعبادته وحده.

وجاء خطاب المثل في موضوع عبادة الأصنام بأسلوب خبري يقيني لا جدال ولا حجاج فيه فهو كلام الله، وكلام الله كلّهُ حقٌّ، وقد ختمه بأسلوب إنشائي لإيجاد تفاعل مع السّامع، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت [41]، فالجواب أنّه سبحانه لم ينف عنهم عِلْمَهُم بوهن بيت العنكبوت، وإنّما نفى عِلْمَهُم باتخاذهم أولياء من دونه سبحانه فلو علموا ذلك لما فعلوا¹، هذا لأنّهم في غاية الجهل لا يدركون حقيقة الله سبحانه وتعالى فاستمسكوا بِظَنِّهِمْ بأنّها تحقق لهم النفع والعزة والنّصر، فلم يستفيدوا منها إلّا الضعف والوهن.

وهنا لا مانع من ذكر وجهين من أوجه الأعجاز العلمي، الذي اكتشفه العلماء المعاصرون؛ وهو أن القرآن الكريم لما ذكر العنكبوت، الذي هو اسم مذكر، أسنده إلى ضمير المؤنث ((اتخذت))، الأمر الذي أشكل على بعض الناس، والذي جعله المغرضون من أعداء الإسلام سببا للطعن في القرآن، ليأتي علم الكائنات الحية المعاصر ليثبت أنّ أنثى العنكبوت هي الوحيدة القادرة على بناء بيتها، ونسج خيوط العنكبوت عليه، أما ذكورها، فليس له إلا خيوط يستخدمها في تنقله وحركته من مكان إلى آخر.

أمّا الوجه الثاني والفائدة الأخرى، أن الأنثى بعد أن تتجب تقوم بقتل الذكر، ولما يكبر أولادها، يقومون بقتل أمهم أو طردها خارج البيت.
فالقدماء أدركوا وهن بين العنكبوت حسّيًا، وجاء المحدثون فأثبتوا وهنا لا يقل غرابة عن الأول وهو الوهن المعنوي المذكور آنفًا.

¹-ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 190.

إنّ حضور الحجّة النفعية في أثناء التحاج لا يحتاج إلى مبرر، كونها تأتي لتحقيق مصالح السّامع بنوعيه وتوجههم نحو الفعل المرغوب به والحمل على الإذعان، كما أنّ مرافقتها بصورة بلاغية لها دور حجاجي يسعى لتغيير وجهة السّامع بنوعيه من خلال إثارة أهوائهم بتمثيلهم ببيت العنكبوت، لاسيما الأسلوب الخبري الذي كان له أيضاً حظ في قيادة السّامع بنوعيه نحو العمل النّافع من الإيمان بالله تعالى وترك العمل الضّار عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى.

3- حجّة الاتجاه:

تقوم حجّة الاتجاه على فكرة التحذير من ظاهرة ما «بحجّة أنّها قد تصيب المحاور لها بالعدوى، ويكثر هذا النوع الحجاجي خاصة في القضايا الأخلاقية، لأنّ التنازل فيها خطير وإدخال ما ليس منها فيها سيصيب المنظومة القيمة كلّها بالفساد»¹. وتقتضي من جهة « وجود سلسلة من المراحل نحو هدف معين يتسم غالباً بأنّه مرعب»² يتجلى هذا النوع من الحجج في سورة الحديد وهي سورة مدنية في موضوع "الإيمان باليوم الآخر" في واقعة "الاستعلاء على الدّنيا" قال تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) الحديد [20]، يذهب بنا المفسر (جعفر السبحاني) إلى أن المقصود بهذه الآية أمران:

الأمر الأول: ترسيم الحياة الدّنيا والمراحل المختلفة التي تمرّ على الإنسان؛ اللّعب واللّهو الرّينية، التفاخر، والتكاثر في الأموال والأولاد.

¹ -محمد سالم الأمين محمد الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص130.

² -جميل حمداي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص51.

الأمر الثاني: تشبيه الحياة الدنيا بدايةً ونهايةً بالنبات الذي يعجب الزراع طراوته ونضارته ثم سرعان ما يتحول إلى عشب يابس تذروه الرياح¹.

الأطروحة التي يدحضها المثل القرآني هي التمسك بأغراض الدنيا والتفاخر بها وتغيب الآخرة تماما، ليثبت أطروحة أن الدنيا صائرة إلى الزوال وأن الدار الآخرة هي دار البقاء وفيها يحاسب الإنسان على أعماله.

وقد أنزل الله تعالى المثل القرآني من أجل تحذير السامع الخاص والكوني من التعلق بالدنيا والتفاخر في التملك، ناصحا للمؤمنين بالاستعلاء عليها عسى أن لا تحملهم على نسيان الآخرة، ومحذرا للكافرين على الانغماس فيها والاستمرار على حبها، فذكر الله تعالى في المثل ما هو الغالب على واقع السامع بنوعيه من شؤون الحياة، تعبيراً عن أحوالهم في ذلك الزمان وهو زمن قائم على التعلق بالم لذات الدنيوية من تفاخر بالأموال وتكاثر الأولاد، لذا، خاطبهم الله تعالى على أصول أحوال المجتمع في الحياة وأيضاً على أصول أطوار الناس فاللعب طور سن الطفولة واللهو طور الشباب والزينة طور الفتوة والتفاخر طور الكهولة والتكاثر طور الشيخوخة²، لإثبات حقيقة زوال الدنيا وتأكيد حقارتها، وليستعلوا عليها ويحققوا إيمانهم، أيضاً تحذيراً من أن تجذبهم أهواءهم نحو مرحلة التعلق بمذاتها وهي مرحلة غير مرغوب فيها تقود للسير نحو اتجاه الزوال، فينسوا الغاية العليا وهي الإيمان باليوم الآخر.

جاء المثل القرآني في شكل **حجة الاتجاه** كونها «تستخدم كلما قُدم هدف ما على أنه مرحلة تمهد للسير في اتجاه ما»³، ليبين لهم الله تعالى مآل من تمسك بالدنيا وما تقود إليه من انزلاق، وليلفت الأنظار إلى أهمية الاستعداد لليوم الآخرة

¹-ينظر: جعفر سبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 258.

²-ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص ص 401 - 402.

³-الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، مرجع سابق، ص 75.

ولأن الله تعالى «أقام نظام أحوال الناس في الحياة الدنيا على حكمة أن تكون الحياة وسيلة لبلوغ النفوس إلى ما هيأها الله له من العروج إلى سُمومِ الْمَلَكِيَّةِ كما دلَّ عليه قوله إنِّي جاعل في الأرض خليفة، فكان نظام هذه الحياة أن تجري أمور الناس فيه بحسب تعاليم الهدى للفوز بالحياة الأبدية في النعيم الحق بعد الممات والبعث»¹. وعليه، انطلقت حجّة الاتجاه من تجربة واقعية عامة تمسّ السّامع بنوعية ومخاطباً له بأعلى وأعزّ ما في حياتهم من ذريّة وأموال من أجل إيقاع التصديق واستمالاته لتأييد الأطروحة، وبناء على ذلك، جاء عرض مراحل حال الدنيا في سلسلة متوالية بحيث كل مرحلة تمهد لمرحلة أخطر منها، ولفهم توجيه المثل القرآني توجيهها واضحاً، وتقييم مراحل سير حال الدنيا نحو الزوال أمكن لنا القول إن:

المرحلة الأولى (اللعب) ثم المرحلة الثانية (اللهو)، ثم المرحلة الثالثة (الإعجاب والتفاخر) ثم المرحلة الرابعة (الاضمحلال والزوال).

فإذا بدأ السّامع بالمرحلة الأولى حتماً سيُكمل تلك المراحل حتى يصل إلى نتيجة الزوال. وكل هذه المراحل يُتقصد منها، ما يشغل عن ذكر الله والإكثار منها دليل على خسة العقل وضعف النّفس، وهي صفات المفتون بالحياة الدنيا². فالمثل القرآني يقوم مسار السّامع ويبرهن أن حال الدنيا مؤقت زائل لا محالة، والمتمسك بها يلقي العذاب يوم الحساب، فيدرك السّامع بنوعيه أن مواصلة السير في اتجاه حب الحياة الدنيا والبعد عن أعمال الآخرة، ستكون نتيجته الزوال والعذاب.

وتأسيساً على ما سبق، ربط المثل القرآني حقيقة الدنيا بمراحل تطور الإنسان القائمة أساساً على حقيقة موته وزواله من الدنيا، حتى لا يدع مجال للشك في الأطروحة معتمداً على هرمية بديعة قائمة على ترتيب حكيم فالله هو العالم بعباده حيث كانت

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 403.

² - ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مج 3، مرجع سابق، ص 273.

البداية برغبة السّامع الخاص والكوني في إقبالهم على الدّنيا وحبهم لأغراضها من تفاخر بالأولاد والأموال، إلى ذكر أثره ونتيجتها في أن الحياة الدّنيا متاع الغرور «يغتر بها المخلدون إلى الأرض فهي غايتهم ولكنها في نظر المؤمنين قنطرة للحياة الأخرى لا يغترون بها»¹، هذا، ليجعل السّامع بنوعيه يصحح «المقاييس الشعورية والقيّم النّفسية، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض»²، استنادا إلى أحكام مستقبلية ووعود إلهية لعباده الظاهرة في المثل القرآني، والمتمثلة في عذاب شديد للتمسك بالدّنيا ومغفرة من الله ورضوان يوم الحساب لتاركها.

يحدثنا المثل القرآني عن رؤى واقعية، عن زوال الدّنيا بصورة مصير النبات بعد نمائه، وهي حجة عقلية مقنعة تضافر فيها صدق الحجّة المبنية على الواقع بجمالها الفني المؤثر وبأسلوبها المعجز لتثمين الرؤية نحو الإيمان باليوم الآخر فقدم الله تعالى جملة من الصّور البلاغية والأسلوبية بوسمها أقوى الآليات الحجاجية التي تضطلع بالوظيفة الإنجازية ناهيك عن الوظيفة التأثيرية الإقناعية، الهادفة إلى التنفير من التمسك بالدّنيا وأنّ الدار الآخرة هي دار بقاء، لاستدراج السّامع وإقناعه بضرورة تغيير أفكاره ومعتقداته عن الحياة الدّنيا، حيث استعمل التشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ الْحَدِيدُ﴾ [20]، يظهر المشبه (حال الدنيا) والمشبه به (اللعب واللّهو) لوجه تشابه يجمع بينهما يظهر في عدم حصول الفائدة لأنّها فانية، ولما تسببه من تعب وانهماك، ويُدعم هذا المعنى تركيب مجازي آخر يتمثل في التشبيه التمثيلي، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ الحديد [20]

¹ - جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 258.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 6، ج 17، مرجع سابق، ص 3491.

هذا التركيب التمثيلي أبلغ في النفس وأكثر إقناعاً للتفكير من التعلق بالدنيا، أي؛ أن مرحلة المتمسك بالدنيا تشبه حال نزول الغيث ومرحلة الانتفاع بالدنيا تشبه نمو النبات ومرحلة اكتمالها وقوتها تشبه هياج النبات ومرحلة الهرم والضعف تشبه اصفرار النبات، لينتهي التشبيه بمشهد الحطام إثباتاً لحقيقة زوال الدنيا وحقارتها، فيتصورها السامع بنوعيه في شكل مجسد محسوس باعث على الانفعال وإثارة أهواء الترك والإمساك عنها، مدركاً أن للحياة الدنيا أجلاً موقوتاً تماماً كحال النبات حين ينمو ثم يتلاشى فلا يبقى له أثر، حينها يتأسس فكر السامع بنوعيه على الاقتناع التام بذلك العلم والعمل فيربط أعماله الصالحة بيوم الآخرة.

إنّ طبيعة الأسلوب الإنشائي الذي حفل به المثل القرآني قد تميز ببناء إستراتيجية توجيهية مناسبة للسامع، فقد استهل الله تعالى حجته بأسلوب الأمر بصيغة (افعل) قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ الْحَدِيدُ [20]﴾، يعدّ فعل الأمر دليلاً صريحاً على حرص الله تعالى أن يبلغ قصده التوجيهي إلى السامع بنوعيه ويفهمه ويأخذ به، كون فعل الأمر من أنواع الأفعال اللغوية التي صاغها (سيرل) وقد سماها بالأفعال التوجيهية التي تأتي «محملة بطاقة حاجية يتم توظيفها من الباث فتكون قادرة على توجيه الملفوظ تبعاً لقصدية الكلام ومتطلبات التلقي والتوصيل»¹ وتظهر صيغة القصر أنّها وهي أخت إنّما على حد تعبير (ابن عاشور) أنها تفيد الحصر للحياة الدنيا على صفات اللّعب واللّهو والرّينة والتفاخر والتكاثر، وهو قصر ادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا²، ليعلمنا الله تعالى معنى الدنيا وكأنّه يقول: اعلموا أيّها السامعون أن الحياة الدنيا مؤقتة وإياكم والتعلق بها فهي زائلة، واعملوا على كسب الآخرة مبسطاً النتائج أمامنا من العذاب

¹ - عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، عبد الكريم حسين عبد السعداوي، التوجيه الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء - عليها السلام -، مرجع سابق، ص 3.

² - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، مرجع سابق، ص 401.

والمغفرة وذلك أقوى للإقناع والدخول في دائرة الاقتناع، ومن ثمة، الحث على أن تكون الأعمال في الحياة الدنيا موصلة بالآخرة، وأنه لا سبيل إلى الفلاح سوى بالعمل الصالح والإيمان باليوم الآخر، وهذا ما يريد المثل القرآني أن يصححه في أذهان السامع بنوعيه بعيدا عن الغرور والخداع.

4- حجة الشخص وأعماله:

إن العلاقة بين الشخص وأعماله علاقة تفاعلية استطلاعية إذ تُطلعنا على ذاته، فصورة الشخص تتكون في أذهاننا من خلال الأعمال التي قام بها، كونها تجليات للجوهر، فنحكم على الشخص ونقيمه في ضوء أعماله « وهذه الأعمال يمكن أن تكون أفعالا أو صيغا تعبيرية أو استجابات انفعالية أو عادات لا إرادية أو أحكاما»¹، إذ يستند حجاج الشخص إلى توصيف الشخص بغية تقويم أعماله وأحكامه إذ يحكم على العمل وصاحبه في الوقت نفسه فهي جزء منه لا يتجزأ² وتظهر نماذج كثيرة من حجة الشخص وأعماله في الأمثال القرآنية، تصف شخصيات وتحكم عليها، إما استحسانا أو استهجانا من أجل تحبيبها أو التنفير منها.

تتجسد في نسق نظامي هو: الشخص— أعماله.

نجد آية في سورة التحريم وهي سورة مدنية تتحدث عن موضوع "المرأة المؤمنة القوية" في واقعة "إفشاء سرّ النبي-صلى الله عليه وسلم-"، حين أسر الرسول-صلى الله عليه وسلم- إلى حفصة-رضي الله عنها- حديثا، هذا السر غير واضح تحريم العسل أو غيره، أخبرها لتحفظ بسرّه وأفشته فنبتت به عائشة-رضي الله عنها- وبذلك أفسدت الصحبة وأفشت سر رسول الله مع أن واجبها كان كتم السر³. فأنزل

¹-محمد مشبال، محاضرات في الحجاج، مرجع سابق، ص61.

²-ينظر: جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص52.

³-ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 269-270.

الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِيمَانِ (12)﴾ التحريم [11، 12]

يذهب المفسرون إلى أنّ المأثور عن امرأة فرعون أنّها كانت مؤمنة بالله ولم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيشه في قصر فرعون وهو أكفر الكافرين، واستعلت على هذا بالإيمان بالله تعالى، ومريم التي لا زوج لها مثلٌ للطهارة والإيمان الكامل والطاعة¹.

يثبت المثل القرآني أطروحة المرأة المؤمنة القوية بالله تعالى والمتصفة بالأخلاق الحميدة، ودحض أطروحة المرأة الخائنة لقيمها وأخلاقها.

إنّ الله تعالى يصف في مقام الحث على الطاعة لزوجات النبي-صلى الله عليه وسلم- شخصيتين مؤمنتين، وهذه الشخصيات القرآنية من أرقى الشخصيات لتميزهما واستحسان صفاتهما كما ورد في القرآن الكريم، حيث ربط بينهما وبين تجلياتهما ليقود السامع الخاص (زوجات النبي) والكوني إلى فهم حقيقة "المسؤولية الفردية" بمعنى؛ أن لكل إنسان ما سعى فلا يغني من الله شيئاً في الآخرة أحد من قريب، إذ، الحكم على الإنسان يتم من خلال ما قدّمه من أعمال، وهذا ينطبق على زوجات الرسول وقتنّذ، فالرسول لا يغني عنهم من الله شيئاً، إنّما لكل نفس ما قدمت، واتصال الكافر بالمؤمن أو العكس لا يضره شيئاً، ففي الآخرة لا يصيبه بكفره ومعصيته.

¹ - ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 265. وينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 28، مرجع سابق، ص ص 3621-3622.

لقد استند المثل القرآني في بيان هذه الحقيقة إلى **حجّة الشخص وأعماله** لأنّ طبيعة الإنسان يتأثر بالشخصيات، وأعمالها فتدفعه للمحاكاة وهي **حجّة** لا تقوم عليها **حجّة** أخرى لاستنادها على الشخصيات الواقعية، ليكون للسامع نمطا وسلوكا في حياته، ولأنّ الله سبحانه هو العالم بعباده، وعليه، قدّم وصفا لجوهر شخصية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، رغبة في إصلاح قلب السامع الخاص (زوجات النبي) ومن على شاكلتهن، بعد أن اشتركتا في إفشاء سر النبي-صلى الله عليه وسلم- ويثبنّ على ما كسبن، فقربهن للرّسول-عليه الصلاة والسلام- لا يغني عنهم من الله شيئا من فعلتهم، والله تعالى لا يسلط الضوء على الشخصية التي تحمل قيمة إيجابية إلا بمقدار ما يخدم الوظيفة الحجاجية للمثل، لأنّ الحكم أو تأويل أفعال الشخصية الحاضرة في المثل أصبح معينا على توجيه السامع الخاص (زوجات النبي) والكوني، لمعرفة القصد من المثل القرآني، وفهم سلوكه وتقويمه في ظل النتيجة المتحصل عليها من الإذعان والاستسلام للأطروحة واختيار الله ورسوله.

عرض الله تعالى وصفا مفصلاً لأعمال امرأة فرعون التي كانت تعيش مع زوج كافر، إلا أنّ هذا لم يمنعها من الإيمان بالله، بل قدمت أعمالاً لتُبرر شخصيتها بدعائها الإيماني فطلبت من الله بيتا في الجنة، وطلبت النجاة من فرعون وعمله وطلبت النجاة من قومه، أي تتسم بالحلم وقوة الإيمان وقد اتضح ذلك في أسلوب دعوتها في مناجاة الله تعالى كما نراه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم [11]]

ربط المثل القرآني جوهر شخصية امرأة فرعون بتجلياتها من أعمال وأقوال، ليجعل السامع الخاص يصل إلى النتيجة المقصودة من المثل القرآني، فالصورة التي يكونها السامع الخاص والكوني عن امرأة فرعون انطلاقا من أحكامه المسبقة

عليها (المواضع)، ومن خلال أعمالها الظاهرة في المثل القرآني نفس سلوكها بأنها؛ مؤمنة، قويّة، صادقة، هذه السلوكات حققت لها دخول الجنة والنجاة من الظلم والسّامع الخاص (زوجات النبي) والكوني حين علم أن حكم أو نتيجة هذه الشخصية وأعمالها هي النجاة من الظلم ودخول الجنّة، فإنّه يسعى إلى تقيّم صفاته وأعماله في ضوء هذه الشخصية المؤمنة وينحُو نحوها، وبذلك يكون ملزماً بأن تكون أعماله من جنس أعمال هذه الشخصية من الإعراض عن متاع الدّنيا والاستعلاء عنها بالإيمان.

ثم وصف شخصية مريم بنت عمران المؤمنة الثابتة « كونها الصديقة الكبرى المصطفات على نساء العالمين»¹ فتظهر بأنها؛ أحصنت فرجها، صدّقت بكتب الله وشرائعه، كانت من المطيعين*، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَائِنِينَ (12)﴾ التحريم [12]

وصَلَ خطاب المثل القرآني شخصية مريم بنت عمران بجوهرها من خلال وصف الأعمال المنسوبة إليها، هذه الأعمال تعطي معنى ونطاقاً تفسيريًا لسلوكها، فهي محافظة وصادقة ومطبعة، هذه السلوكات حققت لها الاصطفاء والطهارة والصدّيقية في حياتها، والسّامع الخاص (زوجات النبي) والكوني حين علم أن نتيجة هذه الشخصية وأعمالها هي الاصطفاء والطهارة فإنّه يندفع للتشبه والاقتران بها والعمل على اكتساب تلك الصفات.

¹ - ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 266-267.

* ويتجلى ذلك في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)﴾ أيضا في سورة مريم قال تعالى: ﴿ (15) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَعِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثِيًّا (20)﴾. مريم [16-20].

يظهر لنا؛ أن جوهر هذه الشخصيات أنّهما من المؤمنات الصادقات المخلصات وحكهما أنّهما من المصطفين في الدنيا والآخرة، فكل ما يقال عنهما تبرره الصفات والأفعال التي يُظهرها المثل القرآني، فيحاكي السامع بنوعية أعمال هذه الشخصيات ليؤسس شخصيته على الإيمان بالله تعالى وبيوم الآخرة والإعراض عن الحياة الدّنيا لنيل حكم الاصطفاء والمعيّة، ودخول الجنة، وكانت هذه نتيجة السامع الخاص (زوجات النبي) حين اخترن الله ورسوله واعرضن عن متاع الدّنيا.

لقد بنيت حجة الشخص وأعماله على هرمية محكمة بداية متدرجة في أدلته التي يوردها من الأفضل إلى الأقوى، من شخصية امرأة فرعون التي يحيط بها كل نعم وملذات الدّنيا من قصر وجنات وغيرها، لكن استعلت على هذا وفضلت الإيمان عليه، متدرجا إلى شخصية مريم القويّة التي اتخذت مكانا شرقيا في وسط عمّ فيه البغاء، لبيان المقصود للسامع (زوجات النبي) وإظهار الحق وتبنيه أنّ من الواجب أن تكون أعمالهن من الإخلاص والصدق وقوة اليقين كهاتين الشخصيتين.

لما نزل المثل القرآني مخاطبا زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- في سلوكهن استدعى الموقف حضور وجه بلاغي معيّن على إنشاء الحكم بطريقة مؤثرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ﴾ [التحریم 12] حيث شبه الله تعالى المرأة المؤمنة التقية (مشبهه) بامرأة فرعون (آسيا بنت مزاحم) ومريم بنت عمران (مشبهه به) باستعمال أداة (مثلا)، على سبيل التشبيه التمثيلي تاركا أمر وجه الشبه للسامع بنوعيه ليجتهد عنه ويتفاعل مع الصورة البلاغية فيعرف أنّهما من عباد الله المخلصين المقربين، ولا يخفى لما لهذا التشبيه من أثر حجاجي وبناء إقناعي يجعل السامع بنوعيه يتبنى أعمال تلك الشخصيات ويغير من سلوكاته اقتداء بهم، لأنّ الله تعالى ميّز امرأة فرعون ومريم بنت عمران على نساء العالمين، ومن اقتدى وسار على نهجهما فسيكون له نصيب من الاصطفاء.

لقد كان ورود حجة الشخص وأعماله في هذا المثل مركزاً على الأسلوب الخبري، لتقديم أخبار يقينية في مقام حجاجي قصد الحصول على التأييد للأطروحة وحصول الفعل والإذعان، لأن الحجة واقعية وما تسعى إليه هو بناء واقع مرجو فهي الأنسب في توجيه وإرشاد السامع الخاص (زوجات النبي) والكوني بحقيقة المسؤولية الفردية والحث على التمسك بالتوحيد وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم-

5- حجة السلطة:

حجة السلطة هي من الحجج المركزية الفاعلة في المثل القرآني، حيث تظهر في الغالب مقرونة بحجة أخرى، كونها تأتي لتدعيم الحجج وتقويتها وهذا ما أقر به (بيرلمان) حين قال: «إنها تُستدعى لدعم حجج أخرى»¹، ويوضح ذلك (محمد سالم محمد الطلبة) قائلاً: «إنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنياً بحجج أخرى غير حجج السلطة كما أنه كثيراً ما نعلم إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة في كلامنا وذلك لكي نكسبها مصداقية أكبر»²، وهي حجة لها من الوجوه ما تعدد ومن الأنواع ما تباين؛ فمن المعلوم أن حجة السلطة تستند على حظوة شخصية بالإشارة إلى أسماء معينة ذات إجماع عام أو الإشارة إلى ذات المتكلم أو حظوة لا شخصية كالإشارة إلى الكتب الدينية وغيرها، التي يلزم عنها بالضرورة نقل الحظوة منها إلى الأطروحة، لبناء الحكم وتقييمه. وعليه، سنتابع مختلف صورها ومتباين مظاهرها في المثل القرآني لنخلص إلى ما تقوم به من أدوار إقناعية تأثيرية وما تضطلع به من أفعال لجعل المثل القرآني نافذاً ندرك معانيه ونُعاین مقاصده تقويماً وتشبيهاً لتعزيز الثبات على الإيمان والعمل الصالح:

¹-محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 146.

²- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص 131

تظهر حجة السلطة بذكر اسم النبي آدم -عليه السلام- في سورة آل عمران وهي سورة مدنية في موضوع "الردّ على من زعم ألوهية عيسى -عليه السلام- في واقعة "مجادلة النصارى للرسول -صلى الله عليه وسلم- في عيسى -عليه السلام- فقد أجمع المفسرون -ابن عباس وقتادة والسّدي- أن وفد نصارى نجران جادلوا النبي في أمر عيسى فقالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: عنه عبد، قال: وما يضر ذلك عيسى أجل، إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا خلق من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله¹، فجاء الردّ في المثل القرآني وما كان على الرسول الكريم إلاّ البلاغ قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (59) آل عمران [59]

المراد أن صفة عيسى في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب وقدره جسداً من طين، ثم قال له كن فيكون فأنشأ بشراً بنفخ الروح فيه فكذلك شبه عيسى -عليه السلام- وصفته في خلق الله إياه، قال له كن من غير أب فكان².

يدافع المثل القرآني عن أطروحة خلق عيسى من دون أب بقدرة الله تعالى لدحض أطروحة تأليه عيسى -عليه السلام- واعتباره ابن الله*.

¹-ينظر: الأندلسي، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ص 309، وينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج 1، مرجع سابق، ص ص 197-198.

²-ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والمنهج والشريعة، ج3، مرجع سابق، ص 268-267.
* هناك فريق لم يكفر بعيسى ولم يؤمن به إيماناً صحيحاً بل افتتن به افتتاناً، لكونه ولد من غير أب، فزعم أن معنى كونه كلمة الله وروح الله أنّ الله حلّ في أمه وأن كلمة الله تجسدت فيه فصار إنساناً وإلهاً ذا طبيعة مزدوجة فردّ الخطاب القرآني عليهم بأنّ خلق آدم أعجب من خلق عيسى، ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والمنهج والشريعة، ج3، مرجع سابق، ص ص 268-267.

تتجلى **حجة السلطة** في المثل القرآني في سلطة النبي آدم-عليه السلام- وهي سلطة شخصية، توسل إليها المثل القرآني في الدفاع أو بالأحرى في إثبات أطروحته والإقناع بها، لما لها من قوة وهيبه تفرضها على السامع الخاص (وفد نجران) والكوني، مستندا سبحانه وتعالى لبيان أمر عيسى-عليه السلام- على قصة واقعية هي قصة النبي آدم-عليه السلام- الذي خُلق من تراب، وهي من المبادئ المسلم بها من طرف السامعين، يقول (وهبة الزحيلي): «إن شأن عيسى الغريب كشأن آدم الذي خلقه الله من تراب ثم أوجده بقوله كن بشرا فكان، بل أمر آدم أغرب فإنه لا أب ولا أم لخلقه من التراب»¹، ليبرهن الله تعالى ويحاجج السامع المنكر أن القادر على خلق آدم-عليه السلام- من لاشيء، قادر على خلق عيسى-عليه السلام- من بعض الشيء. أي؛ لبيان أن النبي عيسى-عليه السلام- عبد الله وليس ابن الله، تم استدعاء سلطة النبي آدم-عليه السلام- لما فيها من تصور يُجلُّ الأنبياء ويرفع منازلهم، ويحولهم إلى سلطة ماثلة تُسيج حركة فهم المقصود من المثل وتوجه مساره فتحصل بذلك الموافقة بين صورة الأنبياء وهيئة المعنى المتولدة من ممارسة السامع لحدث التفسير على المثل القرآني المطبوع بطابع القداسة²، هذا؛ من أجل حمل السامع الخاص على الإذعان والخضوع للسلطة التي يؤمن بها ويعترفُ بنفوذها، فما كان موقف السامع المنكر سوى التعلم والانصراف لأنهم خلصوا إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد إله يعبد غير الله تعالى وحده.

تم الاستناد في المثل القرآني إلى السلطة في شكلها الظاهر بما تحيل إليه من قدرة إلهية في تسويغ الأطروحات وتبريرها كون السامع لا يؤمن بها؛ حيث استخدم سبحانه وتعالى صفة بشرية النبي آدم-عليه السلام- وهي صفة متفق عليها، في

¹- وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج1، مرجع سابق، ص 199.

²-ينظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات، مرجع سابق، ص160.

دعم أطروحة بشرية النبي عيسى-عليه السلام- فأكسبت سلطة النبي آدم-عليه السلام- الدّعم في إثبات البشرية لعيسى-عليه السلام- من خلال نقل صفة البشرية بقول الله تعالى كن بشرا بمعنى؛ «وُجِدَ بكلمة الله التكوينية»¹، ولو كانت ألوهية عيسى-عليه السلام- حقيقة لكونه مخلوقا من غير أب فالأولى للألوهية هو النبي آدم-عليه السلام- لأنه الأسبق والأغرب.

ومن ثمة، تم بناء حكم أنّ عيسى بشر وليس إلها، وتم الإقرار بدعوة لا اله إلا الله والإذعان لها. وسنخضع المثل القرآني للشكل المنطقي لحجّة السلطة كالاتي:

(آدم بشر) يثبت أن (عيسى بشر)

(آدم) سلطة موثوقة بها في مجال (البشرية)

دعوى أو نتيجة (عيسى) تنتمي إلى مجال (البشرية)

(عيسى) متوافق مع المعلومة الملائمة التي حصل عليها النبي آدم، إذن سلطة النبي آدم -عليه السلام- تثبت أن (عيسى) بشر ونبيّ فحسب. وهذه السلطة تمنح المثل القرآني بعداً حجاجياً وأثراً إقناعياً.

لقد عمد المثل القرآني على صورة بلاغية تتمثل في التشبيه التمثيلي حيث شبه النبي عيسى-عليه السلام- بالنبي آدم -عليه السلام- (مشبه به) وذلك بحضور أداة التشبيه (كمثل) «تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أوقع في النفس وأقطع لقول الخصم»²، وليجعل تركيز السامع وانتباهه منصب على الأطروحة المعروضة فيتفاعل مع التشبيه ويستنتج وجه الشبه الذي يتمثل في قدرة الله على الخلق وفي بشرية الأنبياء، وقد أدى التشبيه دورا حجاجيا إقناعيا إلى جانب الدور البلاغي الجمالي محققا بذلك الاستمالة وتأييد الأطروحة.

¹-وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج1، مرجع سابق، ص 196.

²- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والمنهج والشريعة، ج3، مرجع سابق، ص 268-267.

وردت حجة السلطة بالأسلوب الخبري الطلبي مؤكداً وموضحاً للسامع الخاص والكوني أنّ شأن خلق عيسى - عليه السلام - هو ما أخبرنا به الله تعالى لا ما اعتقده وفد نجران، وليحثّ السامع إلى ضرورة الاعتصام باليقين إلى الخبر الإلهي، الذي تقوم وظائفه الإقناعية بتغيير المعتقدات والقيم لإنجاز الفعل المطلوب في الواقع والتصديق بأمر بشرية النبي عيسى - عليه السلام -.

أمّا التجلي الآخر للمنحنى السلطوي في المثل القرآني فنستشفه من خلال الإشارة إلى حجة السلطة في ثوب صورة الذات المتكلمة (الإيتوس)، ولقد كتبت (روث أموسي) في هذا الصدد «يستلزم كل قول بناء صورة الذات»¹، ويؤكد (محمد مشبال) فيما جاء في معنى قوله؛ أن مفهوم السلطة قائم على أساس أخلاق المتكلم أو مفهوم الإيتوس، وبناء عليه، يمكن أن تكون حجة السلطة في حالة من الحالات شكلاً من أشكال الإيتوس، مثل الحالة التي يعمد فيها المتكلم إلى إبراز مزاياه لدعم دعوى ما² وبصيغة أخرى وعلى حد تعبير (جورجدينا بوربيا) فإن شكل ورود هذا التجلي من السلطة هو ربط الإيتوس بالخطاب الذي يشتغل حول الطريقة التي ينخرط بها المتكلم في الخطاب والتي بواسطتها يطبع المتكلم أثره في الملفوظ إمّا إظهاراً أو إضماراً، وتبني انطلاقاً من العلامات اللغوية الموجودة في الخطاب³.

المعنى؛ أنّ العبارات التي تحمل صفات الله تعالى ومزاياه وفضائله العليا، تعدّ جزءاً أساسياً في تشكيل المثل القرآني، مكونة صورته في وعي السامع بنوعيه كما تسعى إلى الدفاع عن الأطروحة المعروضة وتحقيق الاقتناع بها، فتظهر أحياناً في صورة إيتوس واضح وفي بعض الأحيان في صورة اللغوس.

¹ - جورجدينا بوربيا، الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب، تر: أحمد الوظيفي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 17 يوليو، 2019، ص3.

² - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجج، مرجع سابق، ص 138.

³ - ينظر: جورجدينا بوربيا، الإيتوس أو بناء الهوية في الخطاب، تر: أحمد الوظيفي، مرجع سابق، ص4.

والحال، أن مفهوم الإيتوس الديني حسب (محمد مشبال) يقتضي الحديث عن نوعين من الإيتوس هما:

1- **الإيتوس المقول**: وهو حضور الذات الإلهية في المثل القرآني بالإحالة إلى أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو الغائب، وبالصفات التي أسندها إليها¹، كما نرى في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة [261]، واسع الفضل عظيم الإحسان عليم بما يصدر منكم من النفقات سرها وعلنها، فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه².

أيضا في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ إبراهيم [25] أي؛ «بنتيسير خالقها وتكوينه»³، إليه يرجع الأمر كله فهو المتحكم في زمام الأمور. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (27) إبراهيم [27]، أي؛ «ما توجبه الحكمة؛ لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم، ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زلهم»⁴ هذه الآيات أو العبارات تهدف إلى إظهار العظمة والسيطرة الكاملة لله تعالى وتعكس الاعتقاد بسيطرته وقدرته على فعل كل شيء، كما تدعو السامع بنوعيه إلى الاستسلام والخضوع تلقائيا للأطروحة فقد جعلت من المثل القرآني «ذا لغة صارمة لا يقبل النقاش أو التملص من تنفيذ دلالته»⁵، هذه السلطة تمنح القوة الإنجازية والفعلية للمثل القرآني وتقود السامع نحو تأييد الأطروحة.

¹-ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 247.

²-ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ج 3، ص115.

³-الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، مرجع سابق، ص551.

⁴-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵-عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004، ص 237.

2-الإيتوس الموحى: يتمثل في صورة الذات الإلهية في المثل القرآني بواسطة التلفظ وجهات الكلام الذي يتمثل في الاختيارات المعجمية والأسلوبية¹. التي تحمل وسائل وتقنيات تأثيرية إقناعية مدرجة تحت القواعد اللغوية والقيود التي أرسنها في المثل القرآني، ونمثل له بأسلوب الأمر الذي يدل على الجبروت والكبرياء كما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ الْحَدِيدُ [20]﴾، فمن المعلوم أنّ «السلطة بمعناها العام هي الحق في الأمر، فهي تستلزم أمرا ومأمورا وأمرا»²، الأمر هو الله تعالى له الحق في إصدار أمر إلى السّامع بنوعيه(مأمور عليه)، وهذا الأخير واجب الطاعة لله تعالى بتنفيذ الأمر الموجه إليه وهو عدم التعلق بالدنيا وعلينا إتباعه، فنلاحظ أنّ، أسلوب الأمر يساهم في الاقتناع بالأطروحة، كما يُعلي من قدر المتكلم ومرتبته ويكسر حجة خصمه المتمسك بالدنيا، كذلك يقرب المسافة بين السّامع وبين الله تعالى.

ونمثل له كذلك بصيغة السؤال يقول (الشهري) «وقد تتمثل السلطة في الخطاب عندما يكون المرسل سائلا»³، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾هود[24]، تعبيرا عن إيتوس القوة والكمال، فالله -عزّ وجلّ- عندما قدّم في المثل صيغة استفهام فإنّه يثير انفعال السّامع بنوعيه نحو الأطروحة ويدعوه إلى اتخاذ قرار على أرض الواقع استنادا للنتيجة؛ لأنّ الاستفهام هنا لا ينتظر منه الردّ أو الجواب من السّامع الخاص أو الكوني بل يسمح للسّامع بأن يرى في المثل القرآني خبرا مؤكدا يدعوهم الله تعالى إلى تأكيده وهو نفي المساواة بين المؤمنين والكافرين.

¹- ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 248.

²- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص 221.

³-المرجع نفسه، ص237.

إنّ الوجوه الأسلوبية المميزة لهذه الآيات وغيرها من الآيات المماثلة لها تتجسد في الإيتوس الموحى، كونها ذات وظيفة حاجبية تتوخى الإقناع والتأثير ارتبطت بالصورة التي تجلى بها سبحانه وتعالى سواء بالإيتوس (صفاته تعالى) أو باللوغوس (بالأفعال اللغوية) بوصفها آليات تفاعلية حاجبية إذ تجعل من السّامع بنوعيه يخضع لهذه الأنظمة وتلزمه التنفيذ والتقيّد والاستجابة لقوة الأطروحة وسلطتها.

هذا من جهة الاستناد إلى حظوة شخصية، أمّا من جهة الاستناد على حظوة لا شخصية، كالإشارة إلى الكتب الدّينية فتظهر هذه الحجّة لإقناع السّامع الخاص والكوني بصحة الأطروحة وتأكيدتها والرفع من نسبة التأييد لها كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح 29]، فحضور سلطة التوراة والإنجيل في المثل القرآني تعد محطة مقدسة لدى السّامع الخاص (المشركين)، يلزم عنها بالضرورة نقل الحظوة منها إلى الأطروحة والتصديق بها وهي أن محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيحصل حمل السّامع بنوعيه على التأييد والإذعان وبناء الحكم أن رسالته من عند الله كما ورد في كتبهم، وهي حجّة لا تقوم عليها حجّة.

كل مظاهر حجّة السلطة الواضحة في المثل القرآني من شخصية وغير شخصية تؤدي إلى تفاعل السّامع بنوعيه مع صفات ومظاهر الله تعالى، وتساهم في تدعيم القوة الإقناعية للمثل، مستمدة قوتها من كماله سبحانه وربوبيته، لكون سلطة الله تعالى مطلقة ومعترف بها من طرف السّامع المؤمن عين الحقيقة واليقين فالمؤمن

« في النص القرآني لا يملك حرية الاختيار أمام خطاب يملك فيه المتكلم سلطة مطلقة»¹، وسلطته سبحانه وتعالى سلطة تغيير نحو الإيمان والطاعة والتوجه نحو نظام الاستخلاف المقرر في الدين الإسلامي.

6- الاتصال الرمزي/ الحجة الرمزية:

ينتمي الاتصال الرمزي أو الحجة الرمزية* إلى وجوه الاتصال التواجدي. لأن قيمة الرمز ودلالته تُستمدان مما يوجد من ترابط واتصال تزامني بين الرّامز والمرموز إليه، القائم على علاقتي المشاركة أو التبرير، ويشار في هذا المجال أنّ استخدام هذا النوع بالذات من العلاقات الحجاجية لا يمكن استخدامه في أي مقام، لأن إدراك العلاقة بين أطراف الرّمز يمثل لبّ الفكرة الحجاجية²، والمقصود بإدراك العلاقة بين أطراف الرّمز هو أنّ نفهم الصورة الرمزية ذهنياً ونحدد نقاط أساسية تكشف نوع العلاقة بين المتكلم والسّامع وندرك الرابطة المشتركة بين الرّمز والمرموز له بحسب الدلالة المنسجمة مع السياق؛ لأنّ الرّمز وليد السياق، يقول (لوغرين): «الرّمز يفرض المرور من التصور الذهني للكلمة المجازية لالتقاط الخبر المنطقي الموجود في المراسلة»³، وهذه الكلمة المجازية هي الوسيلة التي تنشأ العلاقة الرمزية، حيث إنّ

¹ - محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، مرجع سابق، ص 247.

*- قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)﴾ آل عمران [7]، من خلال الآية نعلم أنّ عملية التأويل في الخطاب القرآني عامة والمثل خاصة يعلمها الله والراسخون في العلم، وفي الدراسات المعاصرة كثيراً ما تعلق مصطلح الرّمز بالبعد التأويلي في الخطاب إلا أنّنا سنكتفي بتفسير علمائنا المفسرين ونهتم بتأويلهم فهم الرّاسخون في العلم وأهل التأويل والنظر.

² - ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، مرجع سابق، ص 53. ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 131.

³ - عبد العزيز لحويديق، نظرية الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لاكوف إلى جونسون، دار كنور للمعرفة، عمان، ط1، 2015، ص 111.

«الرمز لا يعني مجانية اللفظ وإنما له ارتباط وثيق به»¹، وكثيرا ما نجد في المثل القرآني العلاقة الرمزية التي تدعو للتعلل والتفكر والفهم والتي لها حضور حاجي ملائم لتقافة السامع الخاص والكوني، لتحويله إلى القصد.

على سبيل المثال: نأخذ آية من سورة الحشر وهي مدنية. في موضوع "التأمر على المسلمين" ذلك في واقعة «مصادقة واتفاقية اليهود؛ بنو قريظة والنضير والمنافقين على القتال مع محمد-صلى الله عليه وسلم- لما أجبرهم على ترك قبيلتهم فراسلهم المنافقين على أن يقاتلوهم ويقفوا في صفوفهم»²، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17)﴾ الحشر [15-17].

يذهب بنا (الطبري) أن: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود النصرة والخروج معهم إن أخرجوا، ومثل اليهود في غرورهم إياهم بإخلاف الوعد وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم، كمثّل الشيطان الذي غرّ إنسانا فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه وتبرأ منه، فكان عقبي أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه أنّهما خالدين في النار، وذلك ثواب اليهود والمنافقين أنّهم في النار مخلدون³.

يدافع المثل القرآني عن أطروحة وجوب الالتزام بالتقوى، وعدم الوثوق بالمنافقين واليهود، والابتعاد عن مغريات الشيطان، ليدحض أطروحة إتباع الشيطان وتلمس العون من المنافقين واليهود فهم أصحاب إغواء ومكر.

¹-طلال الحسن، الرمزية والمثل في النص القرآني، من أبحاث المرجع الديني، مرجع سابق، ص30.

²-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والمنهج والشريعة، ج28، مرجع سابق، ص ص 474-475.

³-ينظر: الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح:بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مج 7، الأحقاف إلى الناس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، ص ص 266-265.

يخاطب المثل القرآني الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- حول حقيقة خطر المنافقين وغرور اليهود وذلك بالاستناد إلى الترابط الرمزي الذي ينطلق من الرمز إلى المرموز له، محملاً بمشاعر معبرة عن السياق الذي ورد فيه، هذا الترابط أسنده الله تعالى إلى المواضع الثقافية المتعلقة بالسّامع الخاص (محمد-عنه السلام-) والكوني رغبة في تحقيق التأثير القوي، يقول (عبد الله صولة): «إن المقومات الرمزية في ثقافة مجموعة بشرية ما قد تتحول في كلامها إلى مواضع أو ما يشبه المواضع التي لا يمكن للفرد إلا أن يخضع لها ويتقيد بها ويوافق عليها»¹، أي؛ تقديم الرموز كحقائق ثابتة تنتمي للمقدمات والمنطلقات المسلم بها لدى السّامع الخاص والكوني، لإدراك العلاقة المشتركة ومعرفة القصد من المثل القرآني.

نجد رمزية عظيمة في المثل القرآني تتجلى في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ ولأجل الإحاطة بما تحيل إليه نحلل العلاقة الرمزية الموجودة في المثل كالتالي:

يحتاج المثل القرآني المنافقين واليهود الذين جمعوا شملهم لمحاربة المسلمين مبينا نتيجتهم من هلاك وخلود في النار، حيث اتخذ سبحانه وتعالى لهؤلاء رمز (الشيطان) فقد «سمي كل خلق ذميم للإنسان شيطاناً»²، والمعنى التداولي للشيطان هو رمز للعصيان والفسوق* وهو رمز كوني ثابت ومتوارث يحمل قيمة سلبية، تم ربطه بالمنافقين واليهود لعلاقة مشتركة بينهم؛ لعصيانهم لله تعالى ومكرهم فهم يعرفون طريق الحق ويحيدون عنه، ويؤيئون الشر لغيرهم، والرمز بدوره يحدد نقطة

¹- عبد الله صولة، الحجج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 528.

²- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الشين، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، ص 261.

* كما نرى في قوله تعالى: كما نرى في قوله تعالى: ﴿وَرِيَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة النمل: الآية 24، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ سورة فاطر: الآية 06

أساسية في المثل القرآني هي وضع السامع أو نوع العلاقة بين الله تعالى والمنافقين واليهود التي تتمثل في علاقة العداوة.

وعليه، فالشيطان يوحى في التصور الذهني للسامع* في هذا الموضع وكأنه دال لمدلول المنافق واليهود، يقول (لوغرين): «نستطيع القول بوجود رمز عندما يكون المدلول القياسي للكلمة المستعملة يعمل وكأنه دال لمدلول ثان يصبح لاحقاً الشيء الرمزي. وبدقة أكثر ليست كلمة "شجرة" هي الرمز، بل مدلولها، أي تمثيل الشجرة»¹ هذا، لينقل الله تعالى المعنى للسامع (محمد-صلى الله عليه وسلم-) والكوني ويرشدهم إلى طبائع وقبح فعل المرموز له (المنافقين واليهود) فينتقل مدلول الرمز للمرموز له، ليعيد بناء هوية المنافق واليهود بعيداً عن المعنى المعجمي لذلك الرمز (الشيطان: خلق من نار، جني، لا يرى...)، بل ليعطي للمرموز له (المنافق واليهود) معنى مناسب ومنسجم مع السياق ويهمل الأخرى، لأن المتحكم في طبيعة الرمز (الشيطان) وإنتاج المعنى المناسب له هو السياق والظاهر في المثل القرآني أنه سياق المكر والإغواء، وسيظل هذا الحكم وهذه الصفة ثابتة على المنافقين واليهود طول الزمن لأنه حكم الله وحكم الله ثابت.

* صورة الشيطان أو التصور الذهني له تتجسد حسب القرآن في سورة الصافات قال تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)﴾، الصافات [62-65]، إن الله قد بين لهم شجرة الزقوم وعرفهم بها، وأخبرهم بأنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، فأصبحت بهذا معهودة ومعروفة لهم، ثم بعد ذلك شبه الله لهم ثمرها برؤوس الشياطين، وذلك أن للشيطان صورة ذهنية عند العرب، وهي ما كان في منتهى الفبح والشناعة. من موقع في 15-05-2024 الساعة 11:42

https://www.alukah.net/personal_pages/0/99236/%D8%B7%D9%84%D8%B9%D9%87%D8%A7-%D9%83%D8%A3%D9%86%D9%87-%D8%B1%D8%A4%D9%88%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D9%86/#ixzz8aI9qkR4k

¹ - عبد العزيز لحويديق، نظرية الاستعارة في البلاغة الغربي من أرسطو إلى لاكوف إلى جونسون، مرجع سابق، ص 110-109.

تسمح لنا العلاقة الرمزية الانتقال من واقعة حصلت لرجل كفر بالله استجابة للشيطان فلما كفر تبرأ منه الشيطان وقال إني أخاف الله رب العالمين، إلى ما يريد سبحانه وتعالى إثباته في الواقع للسامع بنوعيه أن المنافق واليهود أيضا يأمر بالكفر والعصيان ويخذل ويترك صاحبه كما فعل المنافقون مع بني النضير حين حرصوهم على الحرب ولما حصلت الهزيمة لليهود نظروا إليهم نظرة الشيطان إلى صاحبه، فعادوا أدراجهم وأخبروهم بأنهم لا يستطيعون نصرهم وأنهم يخافون النبي والمسلمين يقول (جعفر السبحاني): «كان وعد المنافقين كاذبا ولقد صدق الخبر فأجلأهم الرسول بقوة وشدة فما ظهر منهم أي نصر ومؤازرة ودعم فكان وعدهم كوعد الشيطان»¹.

كذلك فعل اليهود مع المسلمين في نقض العهد، وعليه، فعمل الشيطان مع الإنسان والمنافقين مع اليهود كانت نتيجته الخيانة وعدم الوفاء بالوعد، والأمر نفسه بالنسبة لليهود في نقض العهد مع المسلمين فكانت نتيجتهم النار قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17)﴾ الحشر [17].

جاء الاتصال الرمزي في صورة التشبيه التمثيلي، لبيان درجة قبح المنافقين وهذا ما زاد الرمز تعميقا للدلالة وتبريرا لها، فتشبيه المنافقين بالشيطان «دلالة على تنأهيه في الكراهية وقُبْح المنظر لأن الشيطان مكروه، مستقبح في طباع الناس، لا اعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خيرا، فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه الشيطان، كأنه رأس الشيطان»²، ليصل السامع لوجه الشبه وهو غاية القبح والإغواء والفسق، ومحاربة الله ورسوله، مما يثير أهواء الترهيب وعواطف التنفير من أعمال المنافقين واليهود، والحذر منهم، فالمثل في ظاهره بيان لخطرهم وفي باطنه نصح للسامع بالحذر من المعاملة معهم وهذا جلي في الأسلوب الخبري للمثل الذي يروم

¹ - جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن، مرجع سابق، ص 263.

² - الزمخشري، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، ج23، مرجع سابق، ص907.

تأسيس واقع معرفي جديد يُبين حقيقة ثابتة هي عدم الوثوق بالمنافقين واليهود انطلاقاً من واقعة الرجل والشيطان.

إنّ هدف الاتصال الرمزي القرآني ليس التأثير في النفس والعقل فحسب، بل إنّّه يقوم بخلق علاقة متوازنة بين الرموز والمرموز إليه ثابتة عبر الزمن، لجذب السامع الخاص والكوني وجعله يتجاوب معها تجاوباً كلياً، فيحصل التصديق والإذعان بالأطروحة.

- في سياق متصل، تحاول الأمثال القرآنية أن تقرب لنا حقائق من القرآن الكريم- بحسب فهمنا- باستعمال العلاقة الرمزية باعتبارها المفتاح الرئيسي لفهم المثل القرآني، لما تسعى إليه من «تحريك الدلالات اللفظية باتجاه غاياتها التي روعت في مقاصد المتكلم الحكيم»¹ وترسيخ القيم الإيجابية، القابلة للتداول إذ تتخطى حدود الزمان والمكان، مجسدة في مجالات عدّة: المجال الثقافي، الزراعي، الظواهر الكونية، من المعتقدات الدينية، من الحشرات والحيوانات...

من مجال الحشرات انتخب بيت حشرة العنكبوت رمزا في الآية [41] من سورة العنكبوت للمرموز له وهو الأصنام، من بين سائر بيوت الحشرات السامة لما فيها من صفات الوهن والضعف ما ليس في غيرها، فأصبح (العنكبوت وبيته) مدلول المشرك بالله وآلهته اعتماداً على صفة ثابتة تجمع بين الرمز (العنكبوت/ بيته) والمرموز له (المشرك بالله/ الأصنام) هي صفة الضعف والوهن، والعلاقة التي تجمعهما هي علاقة الاحتواء، فمثلما تحتوي الأصنام العاجزة المشرك بالله تماماً مثلما تحتوي شبكة الخيوط الضعيفة العنكبوت، هذا العلاقة يراها السامع بنوعيه في بيئته وهي تجربة واقعية يدرك حقيقتها من أنّها حشرة سامة وبيتها يخرب بالهواء

¹- طلال الحسن، الرمزية والمثل في النص القرآني، مرجع سابق، ص 21.

لهوانه وقبح صورته، وحضورها كان ملائماً لموضوع الشرك بالله، كونها تساهم في توجيه السّامع بنوعيه للعودة إلى طريق الإيمان بالله وحده، وبناء واقع جديد يخدم نظام الاستخلاف المقرر على البشرية.

لذا، وصف الله تعالى المشركين بالعنكبوت والأصنام ببيت العنكبوت، لأنّ الموضوع المطروق عند السّامع الخاص هو الشرك به وهو من أكبر الكبائر ورمز له بأضعف الحشرات وأوهن ملجأ لها فهو لا يقي من حرّ ولا من برد ليقدم تصورا عميقا لعمل المشرك بالله وآلهته انطلاقا من هذه العلاقة الرمزية التي زاوجت بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي للرمز، حيث يمثل العنكبوت بوصفه دالاً يقابله تصور ذهني، هذا التصور الذهني للعنكبوت يتحول إلى دال لمدلول هو المشرك بالله، أما بيت العنكبوت فيمثل بوصفه دالاً يقابله تصور ذهني معيّن في ذهن السّامع بنوعيه يتحول إلى دال لمدلول هو الصنم. ورؤية الله لا تقف عند هذا المعنى أو التأويل فهذا قول الله تعالى وهو أعلم بحال عباده سبحانه.

من هنا، تتضح قيمة العلاقة الرمزية في المثل القرآني أنّها تكمن في نقل مفاهيم ومعان بطريقة مجازية لتوصيل الأطروحة بشكل مختصر، فهي تفتح ذهن السّامع للتفاعل وربط المعان بين الرمز والمرموز له.

تظهر العلاقة الرمزية أيضا في سورة الأعراف الآية [176]، حين اختار الله تعالى رمز الكلب ليكون مدلولاً للمرموز له وهو من آتاه وعلمه آياته فأثر إتباع الهوى وترك العمل بها، لعلاقة جامعة بينهما نستقرؤها من وضع الكلب هي علاقة الحرص؛ حرص الكلب على اللهث هذه الصورة الذهنية تعبر وتدل على حرص المنسلخ على الدنيا لانقطاع فؤاده عن الله تعالى، وتم اختيار هذا الرمز (الكلب) كمدلول لأنّه؛ يعبر عن أخبث الحيوانات وأوضعها قدراً وأخسها نفساً وهمته لا تتعدى بطنه ومن حرصه أنّه لا يمشي إلّا وخطمه في الأرض يتشمم، وهو من أمهن

الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا والجيف القذرة والمروحة أحب إليه من اللحم الطري¹، لتحل هذه الصورة ذهن السّامع بنوعية وتعبر عن الرجل المنسلخ عن آيات الله تعالى، وشدة حرصه وتعلقه على الدّنيا سواء عرف آيات الله تعالى أو لم يعرفها فهو حريص على تفاصيل الدّنيا، تماما كحرص الكلب على اللهث.

استناداً إلى المتاح المعرفي، فإن الرمز هو كلمة مركزية في المثل القرآني تلتصق في ذهن السّامع بكل تفاصيلها وتجلياتها ويمتدّ تأثيرها إلى باقي الكلمات لما لها من سيطرة مبنية على التصور الذهني للسّامع الخاص والكوني تعزيزاً للأطروحة وعليه، أفضى الأمر إلى أن العلاقة الرمزية لم تلغ المعنى الظاهر من المثل القرآني، بل عمقته واحتجت للأطروحة لتقود السّامع نحو التأييد والإذعان، كون «الرمز ضروري لإثارة الحمية الدينية»²، فالعلاقة الرمزية لا تتكر الحقيقة ولا تغيرها إنّما تعمقها وتجسدها وتثبتها، كما تمنحها طابع الحجّة البالغة التي لا مجال للردّ عليها أساساً.

¹ - ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 215 - 216.

² - شايم بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية، تر: الحسن بنو هاشم، مرجع سابق، ص 183.

ثانياً: الحجج المؤسسة لبنية الواقع في المثل القرآني:

إذا كانت حجج التعاقب والتعايش تُبنى على الواقع، فإنّ الحجج المؤسسة على بنية الواقع تقوم بابتكاره أو تُكمله بإظهار علاقات جديدة بين الأشياء وهي علاقة يحكمها مبدأ التشابه؛ تشابه بين وقائع حدثت نستدل بها على قاعدة عامة وتشابه مرن بين وقائع متنافرة نستخلص منها روابط¹، ونجد المثل القرآني كثيرا ما يسعى لبناء واقع يخدم نظام الاستخلاف القائم على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى أسس دينية عظيمة، مستعينا بالحجج المؤسسة على بنية الواقع بنوعيتها:

1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

أ- حجة المثل:

يقوم الخطاب القرآني على مجموعة من الآليات الحجاجية المتعددة من حيث نوعيتها ليحقق غاياته ومقاصده. فقد جاء في وقت كان فيه معظم الناس قد رفضوا الدعوة المحمدية وجادلوا في ذلك وطلبوا الحجة والبرهان، فكثيرا ما ترد هذه الحجة في الخطاب القرآني لتشير إلى السلوك المرغوب نحو الدعوة ولتقرب المعنى عن طريق التجسيد والتشخيص وحمل السامع على الإيمان بآيات الله تعالى والعمل بها، وقد وردت حجة المثل بشكل كبير فيه، بل إن حجة المثل هي الأبرز في الخطاب القرآني، وفي ذلك يقول (عبد المجيد الصغير) في عنوان بحثه "التمثيل وخطاب التبرير": «ربما مثل القرآن الكريم نصّا غنياً في ذاته من حيث تدشينه داخل هذا الفكر لأدب "ضرب الأمثال" أسلوباً في الإقناع ينبغي التقريب واختزال المعنى، وإفهام بأقصر طرق الاستدلال»².

¹ - ينظر: محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 70.

² - جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص ص 58-59.

وأن يكون هناك حجاج بالمثل يعني وجود أمور قابلة للتصحيح والتقويم، يتم فيها استحضار حالة خاصة أو واقعة لدعم قاعدة ما والكشف عن الحقيقة. وهنا تظهر وظيفة المثل في تقوية القاعدة المقبولة وتأكيد بناء على ما يمتلكه المثل من خصائص إقناعية وهي الوظيفة الحقيقية له في البلاغة¹، ومن بين الأمثلة القرآنية ما نقرؤه في مثل ضربه الله تعالى حول العقيدة في سورة الكهف وهي مكية في موضوع "الدنيا في عيني الكافر والمؤمن". لَمَّا كَانَ الرَّسُولُ -صلى الله عليه وسلم- فِي الْمَسْجِدِ وَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: خَبَابٌ وَعِمَارٌ وَأَبُو الْفَكِيهَةِ يَسَارٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَةَ بْنِ مَحْرَثٍ، وَصَهيبٌ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَزَّتْ بِهِمْ قَرِيشٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "هؤلاء أصحابه كما ترون، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا"²، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

¹ - ينظر: محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 72.

² - ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، دار الصحابة للتراث بطنطا، مج 1، ط1، 1995م، ص 491.

فِنَّهُ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) ﴿الكهف [33-44]﴾، فقد مثل الله تعالى للمؤمنين برجل مؤمن فقير موحد لله صالح، أثر الآخرة على الدنيا، فاتاه الله الجنة والثواب العظيم، ومثل الكافرين برجل كافر مغتر بدنياه مستتكف عن مجالسة المؤمنين، هذان الرجلان هما أخوان مخزوميان كما ذكر الكلبي من أهل مكة أحدهما كافر وهو الأسود بن عبد الأشد بن عبد ياليل والآخر مسلم وهو أخوه أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد بن عبد ياليل، كان للغني الكافر بستانان فيهما الأشجار والزرع والثمار والأنهار وأموال، فكفر بأنعم الله وتفاخر على صاحبه بالمال والأولاد وشك في البعث فدمر الله ثروته وأتلف البساتين بالمطر الشديد وبالصاعقة، فندم وتحسر على ما أنفق وقال: يا ليتني لم أشرك وعرفت نعم الله علي وعرفت أنها كانت بقدرة الله¹.

يدافع المثل عن أطروحة المؤمن المستمسك بإيمانه رغم فقره واحتياجه إلا أنه أثر الآخرة عن الأولى معتزا بعقيده، ليدحض أطروحة الكافر الطاغي الذي استهوته الدنيا وغرته وأخذت به إلى متهاتات الضلال والشرك.

ضرب الله تعالى المثل للكافرين برجل غني مشرك وجاحد لنعمه، وللمؤمنين بالرجل المؤمن الفقير العارف بسنن الله تعالى للإقرار بحقيقتين: أن الدنيا زائلة فلا تغتروا بها وأنّ الولاية والنصر من عند الله تعالى، فأمر الله تعالى الرسول الكريم بضرب هذا المثل للسامع الخاص (الكافر/ المؤمن) والكوني ليؤكد تلك الحقائق، وليحذرهم من سوء العاقبة، لأنّ حضور المثل في الخطاب يكتسي «صفتي الثبات والاستدلال غير القابلين للشك أو الطعن فيهما وبهذا يصبح المثل قاعدة عامة»² فيذعن السامع

¹ -ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 15، مرجع سابق، ص 280، وينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، مرجع سابق، ص 316.

² - جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص 58.

للأطروحة مباشرة، بعبارة أخرى حجة المثل هي «الحجة التي تذهب من الواقعة إلى القاعدة»¹، والقاعدة التي جاء المثل ليرسيها هي وجوب شكر الله على النعم، لأن الله هو من يمنّ على عباده، أمّا الغرور والتفاخر بنعم الله تعالى من باب الكفر بالله نتيجته الهلاك والضلال.

حين أراد الله تعالى إثبات تلك القاعدة، اقتضى المثل القرآني اختيارات دقيقة تلائم المقام وحال السّامع (الكافرين والمؤمنين) ليبرهن على الأطروحة، فحدثنا سبحانه عن تجربة واقعية في سياق الغرور والتكبر والمفاخرة للكافر الغني على المؤمن الفقير ليكشف السّامع الخاص (الكفار والمؤمنين) والكوني الصلة بين السياقين.

من هنا، انتقل المثل القرآني من حالة خاصة تتمثل في الأخوين المخزوميين إلى حالة خاصة أخرى موقف المستكبرين أو المشركين مع المؤمنين، وهما حالتان خاصتان متشابهتان لتشابه السياق مبنية على قاعدة مضمرة ومقبولة تقتضي بأن الرضا والإيمان بالله أساس الحياة الدّنيا لا الشرك بالله وإنكار البعث، فاختار الله تعالى لتأسيس واقع مماثل لهؤلاء المشركين الانطلاق من قصة واقعية لرجل غني أوتي من كل شيء من جنة ورهط وعزّ إلا أنّه استكبر وكفر بالله واليوم الآخر فقال لصاحبه (أخيه) وهو ظالم لنفسه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)﴾ الكهف [34] ثم تناول في كفره فقال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)﴾ الكهف [35-36]

المعنى؛ إن رجعت إلى ربي على سبيل الفرض والتقدير وكأنّه يزعم، لألفين في الآخرة عند ربي خيراً وأحسن مما في حظّ الدنيا ادعاء لكرامتي عنده ومكانتي لديّه وأنّه لولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا ولولا استحقاقي واستئھالي ما أغناني في

¹-المرجع نفسه، ص 59.

الدنيا¹، فهو وصف لواقع الكافر ومدى ظلمه لنفسه وإنكاره يوم البعث وتجبره ولمّا كانت هذه حالته استدعى الرجل المؤمن نكر أصله ومراحل الخلق وذلك بالاستعانة بحجّة الاتجاه الواضحة، فرد عليه وبين له ضعف الإنسان فذكر مراحل خلقه وضعفه وقدرة الله تعالى، فأخبره بالعقيدة الصحيحة وهي الإقرار بالوحدانية والربوبية، والثبات عليها، ثم، علّمه دعاء الشكر وحفظ النعمة قائلاً في صيغة استفهام كما في قوله تعالى: ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ الكهف [37-39]، أكفرت وجددت بأنعم ربك الكريم عليك؟ ألا تعلم يا صاحبي بأنّ الله تعالى قد خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ووهبك من قوّة الفكر وأمدك بكلّ الأسباب التي جعلتك تنشئ ما تنشئ ووهبك ربك الأهل والأولاد الذين تُقرّ بهم عينك وتستوي بوجودهم حياتك فهل فكرت بأنّ ذلك من عطاء الله القدير² ونحن نعلم أن الاستفهام في أصله يتطلب جواباً لكن هنا تعدى حقيقته إلى الاستتكار وفي ذلك نلمح بعداً حاججياً يسعى إلى التمكن من إفهام السامع للقاعدة ودفعه نحو الإيمان بالله واليوم الآخر وأنّ العطاء بيد الله تعالى، كما أن الاستفهام باعث على ربط اتصال مع السامع الخاص (الكافر/ المؤمن) وحمله على المشاركة في الأطروحة. واستعمل الرجل المؤمن أداة «لولا بمعنى هلاً للتوبيخ»³، ليبين له أنّه ظالم لنفسه بكفره وجحوده لنعم وفضل الله تعالى وليوبخه على قوله وفعله اتجاه النعمة واتجاه خالقه.

ثم، استمر المؤمن في استدراج الكافر نحو قدرة الله وأنّ دوام الحال من المحال باستخدام الحجّة النفعية لتوجيه سلوكه وحثه على الإيمان من خلال إنشاء علاقة

¹ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ص 275.

² - ينظر: سميح عاطف، معجم الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 417.

³ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 15، ص 324.

بين عمل الكافر وبين عاقبته كما يظهر في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُّؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)﴾ الكهف [39-41]، فعسى ربي يعطيني خيرا من جنتك فتخرب فلن تتمكن من إدراكها، وتحقق للكافر ما أشار إليه الرجل المؤمن ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ثم، يؤكد المثل ذلك الجزاء وتلك النتيجة بما ورد على لسان ذلك الكافر من ندم واعتراف واستسلام لله تعالى يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)﴾ الكهف [42]، وحرف النداء مستعمل في التلهف، وليتني تمن مراد به الندم وأصل قولهم يا ليتني أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل كأنه يخاطب كلمة (ليت) يقول: احضري فهذا أوانك¹، من شدة ندمه على الكفر بالله تعالى، ونتيجة الرجل الكافر أنه قد أذعن لربه، وعرف أنه لا نصير من دون الله بعد فوات الأوان وخضع للأطروحة التي يدافع عنها المثل القرآني وآمن بالله وباليوم الآخر.

والحال؛ أن «القصود من هذا المثل العظة والعبرة فقد آل الكافر المغرور إلى الدمار والإفلاس لكفران النعم وعصيانه»²، والأمر ذاته، سيحصل للسامع الخاص (الكافر) والكوني أمثال «عبينة والأقرع حين قالوا لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-نحن سادات العرب وأرباب الأموال فنحّ عنا سليمان وخبابا وصهيبا احتقارا لهم وتكبرا عليهم»³.

إن حضور هذا المثل جعلهم يعرفون الحجّة والنتيجة، وجعلهم يدركون حقيقة أنه لا نصير للكافرين وبهذا، يعلموا أنّ قولهم قد قاله الذين من قبلهم، فما أغنى عنهم ما

¹-ينظر: المرجع نفسه، ص328.

²- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ص 275.

³- الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرسانس، مج 5 من الإسراء إلى النمل، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، ص 101.

كانوا يظنون به ويستمسكون به فأصابهم ما أصابهم وهذه نتيجتهم ونتيجة أمثالهم، ونلاحظ أنّ المثل يتحدث عن جلسائه-صلى الله عليه وسلم- المؤمنين ويثبت أنّ لهم قولاً يناسب الكافرين ويردّ عليهم، بأنّ الله هو من يمينّ على عباده وأنّ تلك النعمة من عنده سبحانه فلا داعي لمحاكاة الرسول-عليه الصلاة والسلام- بطرد المؤمنين الفقراء من المجلس فالحجة بينة والنتيجة واضحة.

أساساً يمكن فهم أنّ حجة المثل قد حققت فاعليتها الإقناعية، لأنّ الحالة الخاصة-الواقعة التي ذكرت- تناظر حالة السامع الخاص (الكافر/ المؤمن) فالذي جعل من النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة وأصابه الذهول عن ذكر الله تعالى وظلم نفسه باحتقاره للمؤمنين وبالشرك وإنكار البعث، سيكون له مصير الهلاك أمّا الذي استمسك بالإيمان فسيكون له نصيب من ولاية الله سبحانه، وحسن ثواب وبالتالي يذعن السامع للأطروحة ويستسلم لله وحده لا شريك له، وهذا ما يسعى إلى تأكيده سبحانه وتعالى بحجة المثل ليؤسس الواقع ويبنيه على الحقيقة المطلقة والإيمان الثابت لا على الحقيقة الزائلة والاعتقاد المضلل، فقد كان حضور حجة المثل أن تثبت وتنع بالإيمان بالله وحده وبالיום الآخر، ليبنى واقعا عاما بواسطة حالة خاصة مدعماً ومحتجاً ومبرهنناً لأطروحته.

استند المثل القرآني إلى جانب هذه الحجة العقلية إلى ما يحرك الأهواء ويثير الانفعال وتهتزّ له النفوس إلى التشبيه التمثيلي الواضح في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ الكهف [33]، وعلى الكناية في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ الكهف [43]، وهي تعبير حاجي يدل على التحسّر والنّدم، فهذه الصورة تجعل السامع يتهيأ للاقتناع من خلال ما توحى إليه من أهواء التحسّر.

من الواضح أن مطلع هذه الحجّة جاء بالأسلوب الإنشائي في صيغة الأمر له صدى تحذيرياً، قال تعالى: ﴿؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟﴾، كأنّه يحذّر فقد كان من قبل أمثالهم لم يؤمنوا بي واليوم الآخر فخسروا، فادعوهم إلى عبادتي وشكري. فهذا الآية تحمل خطاباً للنبي-صلى الله عليه وسلم- بأنّ يضرب مثلاً لأولئك المشركين الذي سألوه أن يطرد من المجلس المؤمنين و«إنّ الرسول-صلى الله عليه وسلم- عندما يُأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، يقصد بذلك مستوى فهمهم وإدراكهم لأنّ الأيمان لا يتولّد إلا عن فهم وإدراك، والفهم والإدراك لا بُد أن يتفقا مع العقل والمنطق والواقع»¹، وهذا مجسد في المثل القرآني إلى أبعد حد كما جاءت الحجّة مستعينة بالأسلوب الحوارية الظاهر في المثل بين الكافر والمؤمن كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾، للوقوف عند حدود الكافر والمؤمن وليتعلم السّامع بنوعيه طريقة الحوار والمحاورة وأنّ دور المؤمن يتحدد في تفاعله وليس في تحايدته، فقد وقف المؤمن وقفة حزم محاوراً الكافر والتي هي أحسن لهدف تغيير قناعاته ولقد كان لحواره وحجته الأثر على الحمل للإقناع والوصول للحقيقة دون أن يفرضها على الكافر، فحقق بحواره وحجته ما لم تحقّقه القوة البدنية من إقناع واقتناع، لقد دعا صاحبه دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض مرتبة في تقديمه ترتيباً دقيقاً بحجج مقنعة حسب مقتضى الحال، والسّامع الخاص ما يحفز السّامع بنوعيه على اختيار الإيمان بالله واليوم الآخر. أي؛ انطلق المثل من محاورّة السّامع إلى محاصرته فقد كان «موجهة توجيهها عملياً تتداخل فيه الوقائع مع القيم والمعطى مع المبنى والمعنى مع المبنى المحاور»²، لبيّن المثل القرآني أن عطاء الله للكافر عطاء

¹ - كريمة أحسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، دار أسامة للنشر والتوزيع، نبلأ ناشرون وموزعون، الأردن - عمان، ط1، 2015، ص337.

² - المرجع نفسه، ص 37.

استدراج لا استحقاق، وعلى هذا، نجد الحالة الخاصة (الأخوين) تتضمن ثلاثة أمور كلّها تسعى للوصول إلى الرضا والقناعة، أولهما الإيمان بالله تعالى، ثانيهما الشكر لله تعالى، ثالثهما الدعاء. وعليه، بُنيت حجة المثل على هرمية بديعة تتوسم، ببناء مجتمع منشود هو إنسان شاكر لله تعالى ومؤمن به وباليوم الآخرة.

ومثيل هذه الحجة كثير ونختار الآية [113] من سورة النحل التي تناولت موضوع "جزاء الكافر" في مثل القرية التي كانت آمنة فكفرت بنعم الله وبرسوله، فضربها الله تعالى مثلاً لغيرها ليدعم أطروحة، وجوب الشكر والامتنان لله تعالى واحترام النعمة وإتباع رسوله الكريم، فاستند لبناء واقع جديد على ربط الحالة أو الواقع الخاص بالسّامع بحالة أخرى استدعاه من ثقافتهم وهي؛ أن قوماً من بني إسرائيل توتى لهم من طعامهم حتى جعلوا منه تماثيل بمدن كانت في بلادهم يستنجون بها فلما كانت هذه فعلتهم بعث الله على أرضهم دواب من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلا أكلته من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستنجون به فأكلوه¹، ولمّا كانت هذه حالة بني إسرائيل بعد أن وسّع الله عليهم فقابلوا ذلك بالفساد كانت نتيجة الزوال والعذاب، فكذلك الأمر بالنسبة للسّامع الخاص (القرية) الذي كفر بنعم الله وبرسوله المبعوث لأنّ القاعدة المستشفة من الحالة المماثلة لهم تتأسس على: أن جزاء كل جاحد بنعم الله أن يبذل حاله حزناً ويذوق مرارة العيش بعد سعة. ويفهم السّامع أن الله تعالى يحذرهم من البطش ومن التمادي في طغيانهم لأنّ النتيجة ستكون الزوال والعذاب.

أراد الله تعالى بحجة المثل أن يوصل السّامع بنوعيه أنّ الحالة الخاصة التي تعود لعهد قديم (بني إسرائيل) تفصح عن أعمال السّامع (القرية) بل تمثله إلى حدّ كبير ليحثهم على حفظ النعمة وتقديرها وأنها لا تدنّس ولا ترمى فهذا أمر محظور وكفران

¹ - ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 186.

بها، لذا، أتى الله تعالى بحالة خاصة لدفع السامع بنوعيه نحو التصديق والافتناع بالأطروحة، تأسيساً لواقع جديد قائم على حفظ وشكر الله على النعم والإذعان لدعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم.

ب- حجة القدوة وعكس القدوة:

تسعى حجة القدوة إلى تحديد السلوك الذي ينبغي محاكاته وإتباعه، في حين تتغنياً حجة عكس القدوة ترك ذلك السلوك؛ لأن طبيعة الإنسان يتأثر بالنماذج الإنسانية فتدفعه للمحاكاة أو للابتعاد وهي غير معرضة للرد أو الشك¹، والمتتبع للمثل القرآني يجد حضور قوي لحجة القدوة وعكس القدوة كون الخطاب القرآني عامة يسعى لإقناع السامع بإنجاز فعل واتخاذ قرار، وخلق الرغبة لمحاكاة النماذج التي تحوي قيم إيجابية وبيان عاقبة عكس النموذج ودم أفعاله.

أمّا عن عكس النموذج فنجدّه واضحاً في سورة التحريم في موضوع "المرأة الضعيفة والمرأة القويّة" في خطاب قرآني للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولأهل بيته حين تظاهروا عليه -صلى الله عليه وسلم-، فأُنزل الله تعالى قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرُ الْوَيْدِ الْعَذْبِ إِذْ تُسَيِّرُ شَنْجِيرًا (12)﴾ التحريم [10-12]

المأثور في تفسير امرأة نوح وامرأة لوط، أنها كانت خيانية في الدعوة، وليست خيانية الفاحشة، امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه وتقول للناس أنه مجنون وإذا آمن أحد بنوح أخبرت الجبابرة وامرأة لوط تدل القوم على ضيوفه وهي تعلم شأنه

¹-ينظر: عبد السلام أحمد الراغب، الصورة الفنية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 297.

مع ضيوفه، والمأثور عن امرأة فرعون أنها كانت مؤمنة في قصره، ومريم بنت عمران في طاعتها لله تعالى وطهارتها وإيمانها بعباسي بأنه كلمة الله وتصديقها بالتوراة والإنجيل¹.

الأطروحة التي يثبها المثل القرآني ويدعو إليها هي المرأة المؤمنة القويّة الواعيّة إلى ما تسعى إليه والتمسكة بإيمانها، لنيل رضا ربها، ودحض أطروحة المرأة الكافرة المتشبثة بمتاع الدنيا.

جاءت حجة القدوة وعكس القدوة لمدح قوتين مؤمنتين وذم شخصيتين كافرتين ونقدهما، حيث تناول المثل القرآني حقيقة "المسؤولية الفردية"، فالإنسان مسؤول عن نفسه وتصرفاته وسلوكاته، ولأهمية هذه الحقيقة جعل سبحانه وتعالى في قالب حجة القدوة وعكس القدوة لما لها من قوة إقناعية في أثناء التخاطب فاشتغل المثل القرآني بداية على حجة عكس القدوة التي تتمثل في شخصيتين كافرتين: امرأة نوح وامرأة لوط«وعلى كل حال فقد شاركت هذه الزوجات في إذاعة أسرار أزواجهن وبذلك صرن نموذجاً بارزاً للخيانة، وكن يتصورن أن صلتهم بالرسول تحول دون عذاب الله»²، وهما حالة خاصة تحمل سلوك مستهجن يحذرهم المثل القرآني من إتباعه تم استدعاؤهما في سياق إفشاء سره-صلى الله عليه وسلم- وتظاهر زوجاته عليه، وطلب السعة في النفقة وهي أيضا حالة خاصة واستدعاء هذه الشخصيات (امرأة لوط وامرأة نوح) موجه لزوجاته لتبخيس ذلك الطلب والانتهاز عنه، فلو تمسكوا في طلبهن ستكون نتيجهنّ مثل تلك الشخصيات: لا شفاعاة ولا كرامة لهم في قضية

¹-ينظر: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك، توفيق الرحمان في دروس القرآن(السلسلة السلفية للرسائل النجدية 9)، عبد العزيز بن عبد الله الزبيرال حمد، ج4، من سورة الشورى لسورة الناس، دار العليان، دار العاصمة، د. ت، د. ط، ص 321. وينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 28، ص 3621. وينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 271-274.

²-جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 271.

الكفر والإيمان ولو كانتا من المقربين للنبي «كما لم ينفع إيمان وصلاح نوح ولوط امرأتها الكافرتين الخائنتين»¹، إذ يبين أن قربهن لرسول الله لا يمنع عنهن العقاب.

جاء المثل القرآني واصفاً لنتائج الواقعة بين الرسول وزوجاته محذراً من التمسك بقرارهن، فوظف حجة عقلية مؤسسة للواقع ليبيّن واقعاً جديداً قائماً على القوانين التي أنزلها الله تعالى من طاعته وطاعة رسوله الكريم-عليه الصلاة والسلام-

مثلاً يقوم المثل القرآني على استدعاء نموذج معكوس لنقده والحض على عدم الاقتداء به، فإنه استدعى كذلك حجة القدوة لغرض الاقتداء بها ومدح أفعالها والخطاب القرآني في أغلبه يتبع هذه الهرمية حيث إنه لا يقدم لنا سلوكاً رديئاً إلا وأتبعه بسلوك حسن ليجعل السامع بنوعيه يؤيد ويقنع بالأطروحة التي يدعو إليها.

تتمثل حجة القدوة في عرض قdotين مؤمنتين وهما امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهما حالة خاصة جيء بهما كنموذج يصلح لتأسيس قاعدة عامة على صعيد السلوك الاجتماعي كونهما يجسدان قيمة الاستعلاء وقيمة العفة، ومن خلالهما يدعو المثل القرآني السامع الخاص(عائشة وحفصة)والكوني إلى الاقتداء بهما والتمسك بسلوكهما ليُعَلِّمهما أساس العلاقات الزوجية والاجتماعية، فالنماذج الإنسانية في القرآن الكريم «أرقى من أي نموذج، لأن الله سبحانه هو أعلم بالإنسان من الإنسان نفسه، فحين يصور لنا كتابه نموذجاً إنسانياً، فإن تصويره يكشف أعماق النفس الإنسانية، ويوضح خفاياها وأسرارها، لأنه هو خالقها، وهو أعلم بها»²، ليكون للسامع بنوعيه نمطاً في حياته.

¹-أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص 391.

²-عبد السلام أحمد الراغب، الصورة الفنية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 298-299.

إنَّ آسية امرأة فرعون؛ كانت تحت أعظم ملوك الأرض يومئذ في أمتع مكان تجد فيه المرأة ما تشتهي، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان، واعتبرته دنساً وشرّاً وبلاءً تستعيدُ بالله منه وكان دعاؤها مثلّ للاستعلاء على عرض الدنيا¹ وهي نموذج للمرأة التي تربطها صلة لكن لم تضرها، وكانت نتيجتها الجنة.

أمّا مريم بنت عمران هي كذلك مثل للتجرد منذ نشأتها كما قصّها القرآن الكريم، كونها عفيفة محصنة في وقت عمّ البغاء والزنا ديار بني إسرائيل فأجرى سبحانه روح المسيح فيها إكراماً وتشريفاً لها، فهي امرأة لا زوج لها أنجبت ولدا صار نبياً من أنبياء الله العظام². فهي نموذج للمرأة الصالحة التي لا تربطها أي قرابة أو صلة، جعلها الله تعالى صفوة مصطفىة وميزها بقدرات تخرق العادة.

وينبغي ألا ننسى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «كَمُلْ من الرجال كثيرٌ ولم يكمل من النساء إلاّ أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»³.

يظهر دور حجة القدوة في خلق رغبة الاقتداء بالنماذج القرآنية لدى السامع الخاص (عائشة وحفصة) والكوني تشبهاً بها، باعتبارهما معياراً مطلقاً يرشد ويوجه إلى القيمة المطلوبة والسلوك الذي ينبغي محاكاته وإتباعه وهو المحافظة على قيمة الاستعلاء والعفة، فامرأة فرعون رغم عيشها في كنف الظلم وطغي ورغم قوة فرعون وبطشه إلاّ أنّها حافظت على قيمة الاستعلاء على الدنيا، وكذلك مريم في زمن يغلب عليه الشرك والظلم تظهر بمظهر العفيفة المؤمنة الطائعة، فاخترتهما للسامع

¹ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 28، مرجع سابق، ص 3622.

² - ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 275، ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص 391.

³ - الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، مرجع سابق، ص 1124. وينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 276.

الخاص(عائشة وحفصة) كقدوة ونموذجاً ضامناً للسلوك المطلوب، لأنهما يمثلان نموذجاً متعالياً في سلوكياتهم، تخلق الرغبة للتشبه بهما لامتثالهما القيمة المرغوب فيها، وإتباعهما يحقق معنى الإيمان والوصول به لأعلى مراتبه وهي الإحسان، وبالتالي يتحقق الاستسلام والإذعان للأطروحة التي يدعو إليها المثل القرآني.

استند المثل القرآني على هرمية مميزة في إطار تهيئة العلاقة الأسرية والاجتماعية، بداية بعكس القدوة، امرأة كافرة مع رجل صالح، استهوتها الدنيا، ثم انتقل لحجة القدوة امرأة صالحة مع رجل كافر متمسكة بإيمانها وقيمتها، ثم ذكر امرأة صالحة لا صلة ولا قرابة لها، محتاطة لنفسها وتمسكة بالتعاليم الدينية وحريصة على قيمتها، وقد جاءت هذه النماذج مرتبة بهذه الطريقة ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات عليها والصبر عند الشدائد، وتصحيحاً لوضع السامع الخاص(عائشة وحفصة) وحثه على الاقتداء بتلك النماذج الصالحة.

يشكل التشبيه التمثيلي عماد حجة القدوة وعكس القدوة كما نرى في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وَامْرَأةً لُوطٍ﴾[10]، شبه المثل القرآني حال المرأة الكافرة(المشبه) بحال امرأة نوح وامرأة لوط (مشبه به) بالأداة"مثل"، ويعزز هذا المعنى تشبيه آخر كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ﴾[11]، حيث شبه حال المرأة المؤمنة (المشبه) بحال امرأة فرعون ومريم بنت عمران(المشبه به) باستعمال الأداة "مثل"ففي هذا التشبيه بعد حاجتي مؤثر في قرارات السامع إيجاباً من أجل تغيير سلوكياته فهو الذي يبحث عن وجه الشبه المُستبطن في الحجة في أنه لا يغني في الآخرة أحدٌ ولا ينفع حسبٌ ولا نسبٌ، فكما لم يُغنِ سيدنا نوح ولوط عن زوجاتهم ولم تغني آسيا بنت مزاحم عن زوجها كذلك أنت أيها السامع الخاص والكوني فعلاقتك بالكافر لا تضرّك وعلاقتك بالمؤمن لا تنفعك.

من هذا التصور البلاغي الحجاجي للتشبيه يظهر محسن بديعي في المثل القرآني يتمثل في المقابلة الحجاجية لما تروم إليه من استمالة السّامع نحو الأطروحة والعمل بها وترك نقيضها.

استمد المثل القرآني حجاجيته الإقناعية من الأسلوب الخبري المقنع ويتمثل هذا الإقناع في تقديم نصيحة تعليمية إرشادية تتعلق بالعلاقة الأسرية والاجتماعية وكيفية التعامل معها فالمثل القرآني يحذر السّامع الخاص (عائشة وحفصة) والكوني بالأّ يستمر وألّا يُبالغ في تلك السلوكات، فلا كرامة ولا شفاعة في حدود الله.

2- الاستدلال بواسطة التمثيل:

إذا كانت حجة المثل في الخطاب القرآني تقوم على تشابه في الحالات، فإنّ حجة الاستدلال بالتمثيل كالتشبيه والاستعارة وغيرها تقوم على تشابه في علاقيتين لإثبات حقيقة ما في المثل القرآني، حيث تُسقط علاقات سابقة في حالة معروفة على علاقة أخرى غير معروفة لإبداع مفهوم جديد من المنطقة الجامعة بينهما، ما يحمل السّامع بنوعيه على الاقتناع بالأطروحة، ومن ثمّ، فالخطاب القرآني عامة والمثل خاصة «يتضمن إقرار بقيمة التمثيل بصفته أداة لتقريب مقاصده الإصلاحية ونهيمها إلى الجمهور المتلقي في نفس الوقت الذي يُنيط بهذا التمثيل دورا يتجاوز مجرد حصول المعرفة وإدراك العلاقة بين النموذج والواقع، وتقريب المسافة بينهما، بل إنّ التمثيل في مواطن عديدة من القرآن، علاوة على بعده المعرفي من شأنه أن يحمل المتلقي على إدراك المقاصد الأخلاقية والالتزام العملي بها»¹. فمن ذلك، ما ظهر في المثل القرآني من بناء علاقة بين متشابهين لإقامة نظام الحياة على حكمته سبحانه وتعالى ولتجري أمور النّاس بحسب تعاليمه وبالتالي تأسيس الواقع المنشود.

¹ -جميل حمداوي، بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص ص 58-59.

من نماذج هذه الحجّة ما جاء في سورة الحج وهي سورة مدنية، في موضوع "عناد المشركين" لقد كان العرب في العصر الجاهلي موحدين في الخالقية (الربوبية) ويعربون عن عقيدتهم، بأنّه لا خالق في الكون سوى الله سبحانه، ولكنهم كانوا مشركين في التوحيد والألوهية، وكأنّه سبحانه -بزعمهم- خلق السماوات والأرض وفوض تدبيرهما إلى الآلهة المزعومة¹، وبحجّة بالغة جاء المثل القرآني رداً على هذه الشبهات وبيّن جهلهم وعجز آلهتهم فأنزل عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)﴾ الحج [73]

المعنى؛ ضرب الله المثل لأهل مكة ليعتبروا به ويعلموا أنّ ما يعبدون من أصنام وغيرها من دون الله لن يخلقوا ذباباً، ولو جمعوا أصنامهم كلها على أن يخلقوه ما خلقوه، وإذا أخذ الذباب شيئاً مما عليهم من طيب لم يقدروا على إنقاذه منه، فالله هو القويّ ومن قوته وقدرته خلق السماوات والأرض ومن فيهما، والله هو العزيز ومن عزّته لا يغالبه أحد².

الأطروحة التي يفدها المثل القرآني هي الشّرك بالله تعالى وعبادة الأصنام، ليثبت أطروحة أن الله تعالى على كل شيء قدير وهو من يستحق العبادة وحده.

كان نزول المثل القرآني بحجّة الاستدلال بالتمثيل مناسباً لزمّن كثير فيه الباطل وعبادة الأصنام، زمن عمّ فيه الجحود عن عبادة الله وحده لا شريك له، رغم أن المشركين كانوا على علم بأنّ الله قادر ويرون قدرته في الكون إلاّ أنّهم اتّجهوا

¹-ينظر: جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 201.

²-ينظر: نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، الرياض-السعودية، 1436، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ص341.

للأصنام العاجزة، فتحداهم الله -عزّ وجلّ- بخلق الذبابة، وبين أن هذه الأصنام أعجز وأحقر من أن تخلق حشرة الذبابة فضلاً عن أن تخلق إنساناً كاملاً، حتى لا يدع لهم فرصة للمعارضة، ويقرّ بحقيقة أنّهم ما عظموا الله حق تعظيمه.

ومنه، فغرض المثل يتجلى في المحاجة والإذعان، وبيان سفه السّامع الخاص (المشركين)، رغبة في تأسيس قاعدة كونية هي:

أنّ الله وحده هو القادر على كل شيء، وهو من يستحق العبودية.

فاستدل - عزّ وجلّ- على حال السّامع الخاص (المشركين من أهل مكة) وصفتهم من خلال التداخل بين الموضوع (أ-ب) وبين الحامل (ج-د) لأن التسليم بالحامل يقود السّامع للتسليم بالموضوع:

الموضوع:	الحامل:
أ- المشرك	ج- الصنم
ب- آلهته	د- الذباب

هذا التداخل يحمل تفاعلاً ويحدّد مفهوماً جديداً للموضوع أبعده السّياق التداولي للإطار الخاص لهذه العلاقة، فإسناد الله تعالى الحامل (علاقة الصنم بالذباب) للموضوع (علاقة المشرك بآلهته) يُكسبه قيمة حجاجية سلبية انتقلت من الحامل إلى الموضوع، بالمعنى الدقيق، بواسطة حجّة الاستدلال بالتمثيل ينتقل السّامع بنوعيه من المعنى المجرد لعلاقة المشرك وآلهته إلى المعنى الحسي علاقة الصنم بالذباب المعروفة والمتفق عليها سلفاً، حيث شبه الله تعالى علاقة المشركين بآلهتهم بعلاقة الصنم بالذباب رغبة في «بيان ضعف الآلهة لتنزلها منزلة أضعف الحيوانات في

الشعور والقدرة»¹ وهو وصف دقيق يبيّن عبر هذه الصورة الحسية أوجه المماثلة بين الموضوع والحامل، ويتجلى دور هذا الأخير في تأكيد الموضوع الذي ينتمي لمجال روحي متعلق بين العبد والإله، كما يتغيّر توضيح المعنى من زاوية أكثر حجاباً وإقناعاً، أي؛ أنّ عجز الصنم عن خلق الذباب وعن مقاومته واستعادة ما سلبه منه، يماثل عجز آلهة المشرك التي لا حول ولا قوة لها و«العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل»²، كما يدل على ضعف عابدها «لأنّ العابد يتأمل عادة النّفع أو دفع الضّر من المعبود وعابد الصنم لا يحقق لنفسه شيئاً مما يدلّ على حقارة الصنم وضعفه وغباء عابده»³، وذلك أنّ أقلّ درجات الآلهة أنّ تحقق النّفع لعابدها لكنّ الأصنام لم تحقق ذلك ولو طلب منها خلق أضعف الحشرات ما خلقته وإذا سلب منها شيء لا تستنقذه ولا تسترجعه، فلا الأصنام قادرة على نفع نفسها ولا على نفع عابدهم، فكيف يستحسن العاقل عبادتها من دون الله تعالى؟ فما أعجز هذه الأصنام وما أضعفها وما أجهل من يعبدها!

من هذا التصور الذي يوحى لنا بقيمة سوء تقديرهم لله -عزّ وجل-، تسعى الحجّة في المثل القرآني إلى استدراج السّامع للوصول لمرحلة الاقتناع، فيقف موقف المقيم لموضوع المشرك بالله تعالى، ليحكم بنفسه على علاقته بالهته، وبالتالي تفرض حجة التمثيل على السّامع بنوعيه قبول الأطروحة اعتماداً على العلاقة المستشفّة بين المتشابهين المدركة واقعياً، الأمر الذي يُمكن من تأسيس واقع آخر قائم على عبادة الله وحده ومن ثمة، تسعى هذه الحجّة لبناء واقع جديد يخضع له السّامع بنوعيه فيلزم ويذعن لأحكامه.

¹ - جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 204.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 244.

³ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 17، مرجع سابق، ص 303.

إنّ التمثيل عملية استدلالية برهانية بها يصل السّامع للاقتناع من خلال ربط حاجته لإله قادر على كل شيء لا عاجز ضعيف. فالعلاقة بين المشرك وآلهته استطاعت أن تؤسس واقعا مماثلا انطلاقا من حقيقة واقعية هي علاقة الصنم بالذباب والعلاقة بينهما معروفة لدى السّامع هي علاقة الضعف والعجز، فهذه العلاقة هي التي مهّدت للسّامع بنوعيه طريق الاقتناع بالعلاقة بين المشرك وآلهته، فالمثل اعتمد على الصورة ذات الطبيعة الواقعية ليؤكد الأطروحة ويثبتها، ومن هنا نفهم، أن حجّة الاستدلال قائمة على تشابه علاقة وظفها الله تعالى ليوضح للسّامع الخاص (المشرك) علاقته بآلهته.

إنّ المثل القرآني يضطلع بدور إقناعي إيهامي حيث انطلق من الواقعة لتعميم القاعدة، فالسّامع الذي يعارض ويشك في الأطروحة "عبادة الله وحده" كان يحتاج لهذه الحجّة لتُثبت الأطروحة وتُدفع الاستكار والاعتراض عنها وهو ما تكفل به هذا الاستدلال الذي بدد الشكوك وأجاب عن الاعتراض فأبان للسّامع بنوعيه وحاججه بما يعترف به مما هو حسي واقعي.

حجّة الاستدلال بالتمثيل وسيلة حاجية تقوم على المماثلة بين ما يريد الله تعالى دحضه وبين ما يريد إثباته لبناء واقع جديد. وعليه، جاءت بالأسلوب الإنشائي في صيغة الأمر المحملة بالطّاقات الحاجية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الحج 73]، فالسّامع الخاص (المشركين) إذا سمع النداء وجد نفسه أنه أمام مثل عام يُضرب للعظة والتذكير والتنبيه من الغفلة¹، فهو نداءً عامٌ ودعوةٌ للسّامع بنوعيه ولجميع الأحزاب، غايته تحقيق الاستمالة وتهيئة السّامع لتلقي المثل وفهمه وتدبره، كذلك لحثهم على عبادة الله وحده وصيغة النداء صيغة مناسبة للتقرير والتفريع في أشدّ المواقف ومناسبة للسياق الذي وردة فيه وهو سياق العناد والإنكار.

¹-ينظر: سميح عاطف الزين، الأمثال والمثل والتمثيلات في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 362.

كان حضور حجة الاستدلال بالتمثيل من أجل التوضيح للسامع بأن إله الناس واحد وأن ما يعبدون من دونه باطل، فعمد سبحانه لهرمية مميزة بديعة بواقعهم السائد الذي يدلّ على عدم تعظيمهم لله، ثم انتقل إلى قدرته وجبروته، وهو ما يريد أن يُسلّم به السامع وجعله يُغيّر نظرتَه للأصنام، فيذعن ويخضع لعبادته سبحانه.

ونظير هذه الحجة ما نقرأه في سورة هود وهي سورة مكّية في آية نزلت حول موضوع "أفضلية المؤمن على الكافر": «رداً على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله»¹، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24)﴾ هود [24]

وصف المثل القرآني الكفار بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم، فجعل أحد الفرقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحقّ أصم عن سماعه، والفرق الآخر بصير القلب سميع كبصير العين وسميع الأذن².

الأطروحة التي يدعو إليها المثل القرآني تتمثل في عدم المساواة بين الفريقين، وإثبات أفضلية المؤمنين على الكافرين، ودحض الأطروحة التي تدعو إلى المساواة بينهم.

اعتمد المثل القرآني في سياق الاحتجاج بأفضلية المؤمن على الكافر على حجة الاستدلال بالتمثيل التي تظهر في تركيبته، لتثبت المؤمنين وتنبه الكافرين لما هم فيه من الضلالة لعلهم يرجعون، فانطلق المثل القرآني من المبادئ المسلّم بها واقعياً أي؛ من حقيقة واقعية تتمثل في تفضيل الإنسان السميع البصير على الأعمى والأصم وهذا أمر واضح لا يمكن إنكاره من طرف السامع الخاص (محمد) والكوني (الأمة)

¹—وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، مرجع سابق، ص 1033.

²—ينظر: ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ص 186-187.

فوصفهم-عزّ وجلّ- استناداً للتداخل بين الموضوع (أ-ب) وبين الحامل (ج-د) الذي تقوم عليه حجّة الاستدلال بالتمثيل كالتالي:

الموضوع:	الحامل:
أ- الكافر	ج- الأعمى والأصم
ب- المؤمن	د- السميع البصير

يحدد هذا التداخل قيمة ومفهوم جديد للموضوع، استناداً للسياق التداولي الخاص لهذه العلاقة، فإسناد المثل القرآني الحامل (أفضلية السميع البصير على الأعمى والأصم) للموضوع (أفضلية المؤمن على الكافر) يكسبه قيمة حاجبية ايجابية انتقلت من الحامل إلى الموضوع حيث؛ شبه حال فريق الكافر في عدم الانتفاع بالنظر في دلائل وحدانية الله الواضحة بحال الأعمى وفي عدم الانتفاع بأدلة القرآن الكريم بحال الأصم، وشبه حال فريق المؤمنين بحال من كان سليم البصر سليم السمع فهم على هدى ويقين¹، يُظهر للسامع حكم حال الكافر والمؤمن.

فنفي الاستواء بين الأعمى والأصم والسميع البصير هو نفي المساواة بين المشركين والمؤمنين، حيث أدت صورة الأعمى والأصم الموحية إلى فقدان الإدراك وغياب الوعي إلى بيان مكانة المشرك والذي نتيجته الضلال، وبيّنت صورة السميع البصير المدرك للنعم نتيجته النور والهدى، وقد ورد هذا المثل بهرمية مناسبة للسامع الخاص بداية بالكافر ثم المؤمن، لأن أغلب السامعين آنذاك ما زالوا مستمسكين بكفرهم ودينهم، والأفكار المسيطرة عليهم هي عبادة غير الله تعالى وهي قيمة سلبية، لبيّن الله تعالى قيمة إيجابية مقابلة لها أعلى منها وهي الإيمان به والدعوة إليه، ووثّق هذا

¹-ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 12، مرجع سابق، ص 42.

المعنى تركيب آخر تمثل فيالتشبيه المجمل لغياب وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هود [24]، ليعرف السّامع وجه الشبه ويكشف مكانة المؤمن بالله والمشارك به، كما تم تقديم النتيجة على شكل استفهام، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (24) هود [24]، أنّها واقعة موقع البيان للغرض من التشبيه وهو نفي استواء حالهما ونفي الاستواء كناية عن التفضيل والمفضل منهما معلوم من المقام¹، فمحل "هل" للنفي والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي²، لتنبية السّامع الخاص (المشركين) لما هم فيه من الضلالة لعلهم يتداركون أمرهم، باعتبار عملية الاستفهام تقود السّامع بنوعيه إلى القيام بعملية استنتاج والمثل القرآني أراد دفع السّامع إلى استنتاج حكم الفريقين ونتيجتهم لتعزيز حجته بشكل قويّ، لأنّ توجيه السؤال يسمح للسّامع بأن يرى في المثل القرآني نتيجة مؤكدة يطلب الله منهم استنتاجها بأنفسهم وهي أفضلية المؤمن على الكافر ونفي المساواة بينهم؛ فالكافر مصيره الخسران والهلاك والمؤمن الفلاح والنجاة، فشتان بين هذا وذلك فكيف تجعلون منهم في خط واحد وأنتم تعلمون الفرق بين الفاقد للحواس والمالك لها؟ وعليه، جاء طرح السؤال مناسب للسياق ولإثارة انفعال السّامع نحو الأطروحة ومعرفة النتيجة، والعمل بالجواب.

لقد أعطى حضور النفي مع الاستفهام لحجّة الاستدلال بالتمثيل حضوراً في وعي السّامع ليصبح تفاعله في هذه الحالة نوعاً من الاندماج مع الأطروحة مما يؤدي إلى العمل بالمطلوب والإيمان بحقيقة أفضلية المؤمن على الكافر، ودحض فكرة المساواة بين الفريقين من خلال دحض المساواة بين الفاقد للحواس والمالك لها.

¹ -ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 12، مرجع سابق، ص 42.

² -ينظر: عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، توزيع مكتبة الغزالي، ط1، 2000، ص 64.

أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها:

لا مجال لإنكار حضور المقاربة الحجاجية في المثل القرآني، ما يعني أنها تُشكل وحدة متكاملة في البنية محققةً تأثيراً من ناحية القلب وحجاجاً إقناعياً من ناحية العقل وعليه، يُمكننا الآن النظر إلى المثل القرآني كخطابٍ حجاجي في بنيته يلخص رؤية الرسالة السماوية الخالدة. وهذه أهم النتائج المتوصل إليها:

- جمعت الأمثال القرآنية بين عدة أنماط من انساق المنطق والبلاغة والأسلوب مستهدفةً تفعيل مختلف أنواع السامعين، باختلاف طبائعهم وقدراتهم للحمل على الإقناع والتأثير أي جاءت مناسبة لحال السامع، حيث:

- إنَّ السامع المؤمن لديه تقبل مسبق، فهو مستعد للاقتناع بأطروحات المثل القرآني والعمل بها، فكانت الحجج المقدمة له تتدرج ضمن الحجج المؤسسة على بنية الواقع كالحجة النفعية وحجة الاتجاه وحجة الشخص وأعماله وغيرها، ليطمسك بها ويتعلم ويستفيد القيم المطلوبة التي تعود عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة وتأتي في صيغة الإخبار أو التأكيد وقلما تعتمد على الأساليب الإنشائية لأنَّ غرضها زيادة الإذعان والتأييد.

- أمَّا السامع المنكر، والكافر بآيات الله تعالى تستلزم محاججته أدلة وبراهين قويّة تُوجد له سكتة عقلية وشللا عاطفيا، لكونه معترضا على حجج الله تعالى ورافضاً للحق أصلاً، إذ لا سبيل لإقناعه سوى بتضافر حجج من شبه منطقية وحجج مؤسسة لبنية الواقع وحجج مؤسسة للواقع، كتقديم العمليات المنطقية والوقائع والأحداث لأنها بديهية لدرجة أنها لا يحتاج لتبرير، وبالتالي يحصل تضعيف الإقناع، واستمالة السامع واستدراجه بالتّي هي أحسن، رغبة في الاهتمام إلى فهم الآيات البيّنات والمواظب القرآنيّة.

- إنَّ الحجج المؤسسة للواقع في المثل القرآني لا تستبعد المنطق والواقع والتجارب وإنَّما تُدمجهم مع الواقع لتُفسر وتوضح الأحداث وتُبين العلاقات الرابطة بين عناصر الواقع، ما يجعل من المثل حجة مضعفة لا تقبل الجدل أو الدحض.

- هناك تقارب وثيق بين الحجّة السببية والحجّة النفعية لاعتمادهما على بيان النتيجة من الفعل وحرصهما على منفعة ومصلحة السّامع.

- بعد تحليلنا لحجّة السلطة في المثل القرآني أدركنا أن حجة السلطة بأشكالها المتنوعة كانت خاضعة لأعراف السّامع بنوعية لأنّ الخطاب القرآني خطاب كونيّ يشمل جميع الثقافات، وهو مؤهل للسّامع الخاص والكونيّ على السواء.

- إنَّ العلاقة الرّمزية وسيلة توضح المعنى وتعمّق المفهوم وتجسد القيم، غايتها تأكيد المعنى واختصار موضوع الأطروحة، تخضع للنشاط فيصبح الرّمز دالاً للمرموز له، وهي علاقة خلّدها القرآن الكريم فلا يمكن أن تتحل في ظل المواضع الاجتماعية أيّاً كانت لأنّها علاقة كونية ثابتة.

- حجة الشخص وأعماله تجعل من السّامع في حالة قبول كليّ؛ فهي تأتي لتقدم فكرة شاملة وتعرض نتائجها الحتمية، وهذا ما يرغم السّامع على الاستسلام والتأييد للأطروحة.

- هناك التقاء بين حجة الشخص وأعماله والحجّة السببية في بيان الحكم والنتيجة، فمن المنطقي أن السبب لا يكون إلا بفعل فاعل أي بحضور شخص، بمعنى هناك تداخل بينهما، كما تظهر حجة القدوة في التحليل أنّها قريبة من حجة الشخص وأعماله لأنّ العمل مرتبط بالشخص ذاته، إلا أن مصطلح القدوة أشمل من مصطلح الشخصية، بينما احتلت حجة السلطة وحجة الاستدلال بالتمثيل في الأمثال القرآنية

الجزء الأكبر عن باقي الحجج ما يحمل السّامع على تصديق الأطروحة والخضوع لها.

- هناك تقارب بين حجّة القدوة وحجّة السلطة لكونهما يتميزان في الواقع بخصائص مميزة ذات حظوة تستدعي الخضوع لهما والإذعان للأطروحة.

- حجة القدوة وعكس القدوة جاءت لتذكر السّامع بنوعيه بصفات أصحاب منهج الاستخلاف الحقّ كامرأة فرعون ومريم بنت عمران، وهو النموذج الصالح في الأرض والقادر على عمارتها، أمّا حجة عكس القدوة جاءت لتضع الحدود وترسم الإطار الخاص للعلاقات الاجتماعية والأسرية.

- إنّ الهدف من الاستدلال بالتمثيل في المثل القرآني هو توجيه السّامع الخاص والكوني نحو مفهوم محدّد لا مفاهيم عدّة، فحضورها حضور حاجي لأنها تخلق في السّامع حركة الاستجابة فتجعله يقبل ويفعل وتجعله يرفض ويترك، أي تحمل بُعد تغييريّ.

- يبقى حضور حجة السلطة بأنواعها وحجة الاتصال الرمزي وحجة المثل والاستدلال بالتمثيل حاضر في كل المثل القرآني، الأمر الذي يجعل السّامع خاضع للأطروحة بيقين.

- تردّ الوجوه البلاغية في المثل القرآني على معنى حقيقة الشيء وهيئته، وصفته فسبحان الله، أعطى لكل شيء صورته الخاصة وهيئته المتفرّدة بها بحسب السّياق الذي ورد فيه، وجعلها وسيلة توضيح وبيان لمفاهيم جديدة وأفكار جديدة.

- تشترك الوجوه البلاغية والأسلوبية مع الحجاج في إبراز الحقائق والقيم والنتائج والأطروحة ونقل الصورة إلى الوقائع المعيش، واستحضار الصور بكل إيحاءاتها لإعادة الأحداث والوقائع على السّامع الكوني، كي تكون وسيلة حجاجية إقناعية

الفصل الرابع: الحجج المؤسسة على بنية الواقع والمؤسسة للواقع في المثل القرآني

فنحن نرى جزء المضاعفة بإخلاص ونرى حال زوال الحياة الدنيا، وحال قوم المشركين في عنادهم ماثلة أمام أعيننا محملة بمشاعر الأمن أو الخوف أو الزجر وغيرها، ما يجعلنا ندرك بوعي ما المطلوب منّا بالتحديد.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد الدّراسة والتحليل لموضوع "بلاغة الخطاب الإقناعي في المثل القرآني - مقارنةً حجاجيةً" - في ضوء المنهج التداولي المعضود بالوصفي والتحليلي، والذي رأينا أنه -الموضوع- كان مطلباً مهماً في حياتنا، نظراً لما نراه من سلبيات أخلاقية شتى، وشريعتنا العزّاء هي الملاذ المناسب في سبيل استعادة كثير من القيم الأخلاقية التي افتقدناها، وفهم الكثير من الحقائق والأطروحات الإيمانية الهادية، توصلنا إلى نتائج علمية يمكن أن نوجز أهمها فيما يلي:

- الحجاج وُلد من رحم الفلسفة والقانون، ومن ثمة ارتبط بعلوم البلاغة، فجعلته هذه الأخيرة أداة وتقنية في الخطاب، فهو لا يتعدى كونه جزءاً متصلاً بدراسة الأطروحات والأفكار وما يتعلق بها، أمّا البلاغة فقد كان تاريخها مع الشعر والنثر إلى أن ولدت ولادة جديدة في أحضان الدراسات القرآنية فأخذت مساراً متفوقاً على تاريخها بتفوق علومها في مسار دراسة الإعجاز القرآني.

- الحجاج واحد من التقنيات التي تسهم في بناء الخطاب، ويتحكم فيه؛ لذا ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعناصر التواصلية المساعدة على تفعيله ومن هذه العناصر: الإيتوس كمتكلم، وباطوس كسامع، ولوغوس كخطاب والمقام.

- الحجاج والبلاغة وجهان لعملة واحدة، كلاهما أداة تأثير وإقناع وتغيير، وهما قرينان لا يمكنهما الانفكاك عن بعض؛ لأنّ الحجاج بكل أشكاله يستمد جزءاً من شرعيته من خلال البلاغة، والبلاغة تحمل في نفسها مضموناً حجاجياً تتحرك عن طريقه.

- إنّ الإقناع لا ينحصر في الدلائل المنطقية فحسب، بل يمتد لإثارة العاطفة ومخاطبة الوجدان أيضاً، ويرتبط بالمتكلم فهو الذي يجعل المعترض أو الخصم

يعترف بأطروحته، في حين يرتبط الاقتناع بالسّامع نفسه لأنّه متعلق بكيّنونته فهو الذي يُقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة.

- يُقصد ببلاغة الخطاب الإقناعي ذلك الخطاب التأثيري، لأنّ التأثير في النفوس هو المقدّمة الطبيعية للاقتناع، وهو الخطاب الذي يتمتع بالبنية المنطقية والبلاغية والأسلوبية وأدائها بشكل دقيق يخدم المقصد.

- يتحدد معنى المثل القرآني في المشابهة بين حالتين، واستقراء حال الصورة الثانية بحالة الصورة الأولى لحصول المعنى المراد، ويسعى لتأسيس قاعدة والبرهنة عليها، لأنه حجة والحجّة خاصية العقل.

- خطاب المثل القرآني خطاب كوني حاضر في كل الثقافات وشامل لكل من السّامع الخاص والكوني، يخاطب العقل ومخاطبة العقل واحدة، مادام عقل الإنسان واحدا لا يتغير على الرغم مما للظروف من تأثير، به نعرف مصيرنا، فهو خطاب مفتوح على الأمة أجمع.

- خطاب المثل القرآني خطاب مسؤولية. لا معرفة وشرح وإعلام وتفسير وتقريب المعنى فحسب؛ لأنه يتجاوزهم إلى خلق اليقين والتّوجيه والإقناع، ذلك بالكشف عن الأطروحات المثبتة في المثل القرآني والأطروحات المضادة، واستنباط النتائج، والمفاهيم الخاصة لتوجيه السّامع بنوعيه نحو الخدمة الدينية والمجتمعيّة والعلمية وغيرها، وبالتالي يحدد درجات إيماننا بمدى تأييد الأطروحة والنتيجة.

- للمثل القرآني جملة من الخصائص منها خصائص عامة تتعلق بالخطاب كله وخصائص فنية تخص لغته وبلاغته وتركيبه وخصائص أدائية تتجلى في منهج تركيبته اللغوية والأسلوبية المعجزة والمؤثرة، أضف إلى ذلك خاصية حاجية إقناعية.

-يتأسس المثل القرآني على بنية حجاجية نسقية تتجلى في؛ الأطروحة والأطروحة المضادة، والحجة والنتيجة، وقانون العبور.

- تلعب الحجة في المثل القرآني دوراً فاعلاً في التواصل فهي تجعل السامع بنوعيه يتفاعل معه ويحدث ردة فعل مناسبة، في حين يبدو البرهان قطعياً لا جدال فيه ولا تواصل، فهو يفرض الأطروحة على السامع فيخضع ويستسلم.

- يجمع المثل القرآني تحته كل القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية العليا التي تمثل ثقافة الإنسان المؤمن وحضارته فهو يحمل قيماً وأحكاماً وإرشادات وتوجيهات نحو الهدى ودين الحق، فهناك قيم الإيمان والصدق والحياء والصبر والإحسان والعدل، الطاعة والإنفاق...

- سعى بيرلمان في نظريته هذه لوضع منطوق للقيم، والقيم في المثل القرآني هي جملة من المقاصد الإصلاحية التي تحمل صفات أصحاب منهج الاستخلاف والعمران والتزكية وتحقيق النصر والتمكين.

- استند المثل القرآني في حجاجه على مجموعة من المبادئ والمنطلقات الحجاجية من وقائع، ومواضع، وحقائق، وقيم وهمية، الأمر الذي يحقق الاستمالة والافتناع بالأطروحات وأن الذين لم يقتنعوا بالأطروحات الإيمانية ليسوا من أهل الإيمان والتفكير ولا كان تفصيل هذه الأمثال لأجلهم.

- في الغالب يظهر شكل هرمية القيم المعتمدة في المثل القرآني خاصة إذا كان السامع هو الكافر تتخذ شكلاً تصاعدياً لإحداث نقلة بهدم القيمة الرديئة وبناء القيمة المترفعة.

- إنَّ المثل القرآني ينفرد ببناء حجاجي خاص يراعي المدارك المتفاوتة والطبائع المتباينة بين السّامعين، وهذه الخاصية القرآنية هي التي جعلت المثل القرآني كفيلا باستخلاص أهم أفكار المقاربة الحجاجية.

- أغلب ورود الحجّة في المثل القرآني كان بصيغة إخبارية في حين كان ورود النتيجة بصيغة إنشائية كونها توجه السّامع بنوعيه للاستجابة، والاستجابة للمثل القرآني تعني العمل بالمطلوب وترك المحذور، فالنتيجة تعد دليلا على صحة الحجّة وتساهم في التأثير والإقناع لأن العقل يأخذ بالنتائج.

- في المثل القرآني حضور قوي للأفعال الكلامية من الإخبارية، التوجيهية، الإلزامية، التصريحية، التعبيرية، التي تجاوز دورها البعد السطحي الظاهري إلى التداولي الحجاجي لتأكيد الأطروحات، وإيضاحها والاحتجاج لها بغية إقناع السّامع بما جاء به القرآن الكريم.

- بيّنت المقاربة الحجاجية في المثل القرآني على مجموعة من الحقائق الإيمانية والكونية والعلمية التي من شأنها أن تهدّب النفس الإنسانية، وتقوي الإيمان بقدرة الله المطلقة، كحقيقة زوال الدّنيا وحقيقة المضاعفة للمنفق بإحسان، وحقيقة إنكار اليهود نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم- وحقيقة أن القوة والنصر والعزة لله، وحقيقة خطر المنافقين وغرور اليهود.

- تعد الوجوه البلاغية والأساليب التعبيرية في المثل القرآني أحد مسالك الحجاج وهي مجالات متداخلة ساهمت في بناء خطاب المثل القرآني وفي انتظامه، بوصفها تجمع بين الجمالي والحجاجي والإقناعي من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه، وأساليب خبرية وإنشائية كلّها آلية حجاجية برهانية تعمل على إقناع السّامع وإشباع مشاعره

وعقله معا، حتى يتقبل الأطروحة أو يرفضها، نظرا لكونها أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في الأذهان والأسماع وأسرع وصولا إلى القلوب.

- تستجمع دراستنا بين الدراسات البلاغية والحجاجية والأسلوبية ولا يمكن الاستغناء عنهم وهذا من بديع القرآن الكريم، حيث تجعل هذه الآليات الخطابية السامع يستجيب للمثل القرآني، لكونها تشكل بكل أبعادها الجمالية حلقة حجاجية في المثل القرآني.

- تستلزم الأساليب الخبرية والإنشائية في المثل القرآني على التفاعل والبحث عن الجواب، والجواب يكون عن طريق الفعل بالمأمور لأن الحجاج لا يقتصر على المعنى والأطروحة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى مكونات الأسلوب كلها.

- يظهر الأسلوب الخبري والإنشائي في المثل القرآني من حيث البنية اللغوية والشكلية منفصلان، إلا أنّهما يلتقيان في الهدف والغاية وهي الخضوع للأطروحة والانقياد لأوامر الله تعالى.

- الأسلوب الخبري يضيف تأثيرا ومصداقية ويقينا للخبر الإلهي الوارد في المثل القرآني، أما الأسلوب الإنشائي وأنواعه فيضيف قوة جمالية رغبة في الاستمالة والتأثير، والبحث عن الجواب، والجواب في المثل القرآني هو العمل بالمطلوب والابتعاد عن المحظور.

- قيمة الأساليب الخبرية والإنشائية يتحدد في دعمها للقصد الحجاجي وجعل السامع الخاص والكوني يتفاعل مع المثل، والتفاعل مع المثل يكون بالبحث عن الجواب وهو العمل بالمطلوب وتعديل السلوك.

- يتصدّر التشبيه التمثيلي بشكل كبير بنية المثل القرآني فهو عامل مهم في التحفيز والحثّ أو الرهيب والتنفير، وأداة تعبيرية ومصدر للإقناع والتوجيه تتمثل قيمته في قدرته على تخطي الواقع المعيش، وإحداث علاقات جديدة بين الأشياء والكشف عن العلاقات المنطقية الخفية، فهي تحرك الخيال، وذلك مناط التأثير في السّامع بنوعيه.

- علينا أن نعيّ أن تلك الحجج العقلية مناسبة للمقام الذي وردت فيه، وعلينا أن نأخذ بها في تواصلنا وتعاملاتنا فقد جعل سبحانه وتعالى لكل مقام حجة مناسبة له فهو العالم بحال عباده، والواجب منّا الاقتداء بتلك الحجج وملاءمتها للسّامع وللمقام لأنّها؛ تعد نموذج للإنسان المؤمن في تواصله لما تحقّقه من استمالة وإيقاع التصديق بالأطروحة المعروضة مثلاً: في المواضيع المتعلقة بالأسرة نستطيع أن نقدم حجة الشخص وأعماله أو حجة القدوة وعكس القدوة لما لها من دفع نحو التقليد أو الابتعاد، أيضاً في المواضيع المتعلقة بالعبادة الإسلامية نعتد على حجة التعدية وحجة المقارنة لكونها ترفع من شأن وتحتط من آخر، ولما تحدثه من تأثير بيداغوجي من أجل الدّعم والإفهام على نحو أفضل، وحجة الاستدلال بالتمثيل، وحجة التعريف، وحجة الاتجاه، وفي العلاقات التعاملية الاجتماعية لا بد من إتباع حجة العدل، والحجّة النفعية وغيرها، للاستدلال على الأطروحة وبالتالي خضوع السّامع لها.

- لا نغفل أن المثل القرآني أخذ أشكالاً حجاجية متنوعة من حوار وقصة وغيره، لا من باب الفن والمتعة، بل لحمل السّامع على الأخذ بالأطروحة من خلال تفاعله مع الأحداث، ذلك لأنّ المثل القرآني المصبوغ بصبغة حوارية أو قصصية تدفع بالسّامع إلى التفاعل والحركية المستمرة فالله يحتاج بوقائع وأحداث لا سبيل لتفنيدها والاعتراض عليها.

- تفاوت ظهور الصور البيانية والأساليب البلاغية في المثل القرآني يعود لطبيعة السامع ومكانته وعلاقة بالموضوع أو بالأطروحة فقد يكون كافر أو مؤمن أو منافق وهي طبيعة أصناف البشر.

- استطعنا تحديد ثلاثة وظائف حجاجية للمثل القرآني:

وظيفة حجاجية إخبارية: تتجسد في نقل أخبار الأمم السابقة للاعتبار.

وظيفة حجاجية قانونية: كالقوانين التي جاء بها وحثّ على الالتزام بها فهي عهد موثوق وهي للتذكير بمهمة الاستخلاف والعمران، منها قانون شكر الله تعالى، قانون الإحسان في العلاقات، قانون التوحيد، قانون اللجوء إلى الله تعالى، قانون عدم المساواة بين المؤمن والكافر، قانون التزكية.

وظيفة حجاجية تواصلية: تتجلى في وعود الله تعالى لعباده من ممارسات عقائدية وشرائع إسلامية وطاعات.

- إن مسار الحجاج في المثل القرآني جعلنا نقف على أطروحات هامة حصرناها في مختلف الحجج التي اعتمدها الله تعالى لإثباتها والدفاع عنها أو لدحضها ونفيها وهي:

أطروحة الإيمان بالله واليوم الآخرة: استند إلى تأكيدها على حجة التقسيم وحجة التعدية، وحجة الاتجاه وحجة العدل.

أطروحة الشرك بالله: وقد ورد في المثل القرآني للدفاع عن هذه الأطروحة حجتين؛ حجة المقارنة، حجة نفعية.

أطروحة الصدقة والعمل الصالح، وقد اعتمد في الدفاع عنها على ثلاث حجج عقلية وهي: حجة المقارنة، حجة التعدية، الحجة النفعية.

أطروحة حال الدنيا وقد اعتمد على إثباتها حجتين عقليتين ظاهرتين هما: حجة التعريف، حجة الاتجاه.

أطروحة صفات محمد وأصحابه وردت هذه الأطروحة بحجة التعريف وهي مناسبة للمقام الإنكاري.

أطروحة إعمال العقل والاحتكام إليه جاءت بحجة العدل.

أطروحة عدم الوثوق في المنافقين وقد جاءت هذه الأطروحة في شكل حجة الاتجاه.

أطروحة التمسك بآيات الله والعمل بها ووجوب شكر الله تعالى والامتثال له والتصديق بدعوة الرسول، اعتمد للاستدلال عليها على الحجّة السببية.

أطروحة المسؤولية الفردية، وأطروحة المرأة القوية والضعيفة وأطروحة عدم المساواة بين المؤمن والكافر، وللدفاع عنها وإثباتها تم الاستناد إلى ثلاثة حجج عقلية هي: حجة الشخص وأعماله، وحجة القدوة وعكس القدوة وحجة الاستدلال بالتمثيل

- إنَّ حاجية المثل واضحة لا لبس فيها خلافا لما يعتقد غير ذلك، فهو يسعى إلى تغيير أفكار السّامعين بحجج منطقية وعقلية وبثوب الإمتاع لتكسب تأثيرا وإقناعا على النفوس فاتحاد التأثير بالإقناع أجلب للإذعان والاستسلام.

- إنَّ تحليل المثل القرآني وفق نظرية بيرلمان التي تنفتح على علم المنطق وعلم البلاغة وعلم القانون كشفت لنا عن منطقية المثل وبلاغته؛ فإذا كانت غاية المثل هي ضبط القيم الدينية وبيان الأطروحة الهادية فإن أهداف المنطق تنحصر في ضبط قواعد التفكير البشري وجعل الأفكار واضحة. كذلك كشفت النظرية الحاجية على القوانين التي جاء المثل القرآني ليقمها في الواقع، وبالتالي تم إنجاز الدراسة بشكل مختلف عن الدراسات السابقة.

- أبان التحليل الحجاجي للأمثال القرآنية حضور التقنيات الحجاجية البرلمانية بكل أبعادها ومدى مساهمتها في حصول الإقناع واستمالة السامع باعتبار أن التقنيات الحجاجية جزءٌ محوريٌّ وأصيلٌ في المثل القرآني، وعلى هذا النحو يكون المثل قد استثمر المقاربة الحجاجية على نحو يزيد من قوته الإقناعية والتأثيرية، وهذا واضح في نوعيّة الأمثال؛ فالأمثال التي ضربت للمؤمنين غير الأمثال التي ضربت للكافرين والحجّة التي قدّمت لأهل المدينة غير تلك التي عرضت لأهل مكة، والوجوه البلاغية والأسلوبية التي رسمت لأهل المدينة غير التي رسمت لأهل مكة. أي؛ أنّ ورود الحجج في المثل القرآني كان بشكل مخصوص مناسب للسامع الخاص والكوني، والأمر ذاته بالنسبة للصور البيانية والوجوه الأسلوبية، فاختيار الحجج يكسب القوة الحجاجية للمثل القرآني.

يتميز أسلوب المثل القرآني الصريح المكّي في الغالب بقوة المحاجة وشدة الخطاب وإيجاز الخطاب لأن السامع معارض ومنكر لمواضيع التوحيد والعقيدة والجهاد والبعث والأمور الغيبية، في يتميز أسلوب المثل القرآني المدني بالحجة اللينة والأسلوب السهل؛ لأن السامعين مؤمنين بالدعوة.

- وخلاصة القول وصلنا من خلال تحليل نماذج من خطابات المثل القرآني الصريح، إلى أنّ المقاربة الحجاجية كانت حاضرت بمختلف الحجج، وكانت نافعة حقا لمتدبري المثل القرآني وفهم غاياته ومقاصده وتحقيق أهدافه في الاستخلاف. إذًا، التركيز على المقاربة الحجاجية هو إحدى الطرائق الناجعة في تحليل وتفسير المثل القرآني.

ولأجل ذلك يمكننا القول: إنّ هذا البحث المتواضع هو محاولة لتقديم المثل القرآني تقديماً حجاجياً، ساعدتنا في فهمه وتدبره المقاربة الحجاجية، ولا حاجة لكي

نذكر بأننا لم نكن نملك هذه المعرفة التي تؤهلنا لكي نتدبر المثل القرآني على هذا النحو، وبفضل هذه المقاربة الحجاجية أمكننا إضاءة مناطق من المثل القرآني نكاد نجهل تفاصيلها، ولا ننسى أنّ أسرار القرآن الكريم فوق هذا وأجلّ منه ولاسيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلاّ العالمون.

- اقتراحات وتوصيات:

وفي ظل الخاتمة تمّ تدوين عديد من المقترحات والتوصيات المجدية بمشيئة الله؛ أملاً في دراستها من طرف الباحثين الجدد ذلك في سبيل تحقيق أهداف دقيقة وواضحة تؤدّي بالضرورة إلى توسيع مداخل ومخرجات موضوع الدراسة، لكون حاجتنا لا تزال تزداد نحو إعادة قراءة الخطاب القرآني عامة والمثل خاصة. فالقرآن الكريم ثري بال نماذج التي تستحقّ منّا الدراسة، وأسارته لا تنتهي، فهناك الكثير من الجوانب التي يمكن أن يفصلها الباحثون والباحثات فيما يتعلق بتطبيق التقنيات الحجاجية في أبحاثهم مثلاً:

- أنّ تكون هناك دراسات قرآنية على النهج نفسه وتتم إعادة دراسة وتحليل المثل القرآني وفق نظرية المساءلة بالتركيز على نوعية السؤال الذي جعل من الجواب هي تلك الحجّة الواردة في المثل ومدى مناسبتها لنوع السّامع، لعلّ ذلك يعينها على فهم والتدبر والتفقه أكثر.

- كما توصي الباحثة بالبحث عن حجة التعريف في الخطاب القرآني أجمع ودراستها دراسة استدلالية قائمة على توضيح المبادئ والمفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم ليتعلمها الناس ويأخذوها من الأصل والمصدر.

- توصي الباحثة كذلك أنّ تكون هناك دراسة في الخطاب القرآني لحجة الشخص وأعماله كفرعون وهامان، وأبي لهب، وقريش، وأصحابه-صلى الله عليه وسلم- لناخذ

العبرة ونتعلم منهم وحجة القدوة وعكس القدوة من تفصيل الحديث عن مريم بنت عمران وعن والدتها، وإمرأة فرعون وزوجات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والبنات مع سيدنا موسى -عليه السلام- لسقي الماء وغيرها، لأننا في زمن ساد فيه إتباع والاقتداء بغيرهن.

- أن تكون الدراسة قائمة على استخراج حجة العدل وحجة التعدية من الخطاب القرآني كله، لمعرفة أحكام الشريعة وفهمها لكونهما يعتمدان على العقل بشكل كبير.

- إعادة قراءة الأمثال القرآنية الكامنة والأمثال المرسلّة المعبرة عن الواقع بنفس النظرية الحجاجية التي اتبعتها لإثبات أطروحات أخرى وحقائق وقوانين أخرى خادمة للإنسان في كل جوانبه فبالحجاج البلاغي (البلاغة الحجاجية) نستطيع أن نضع الأمور في موضعها ونتعرف على النهج القويم للحياة الطيبة.

- وأخيرا توصي الباحثة نفسها والقارئ أن يأخذوا بأطروحات المثل القرآني ويوثقوا الصلة به، كي ينالوا من بركاته وخيراته، فإذا أقبلنا عليه أقبل علينا وملا حياتنا أنساً وفرحاً بالله وسروراً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص بن عاصم.

1- المعاجم والموسوعات:

- 1 - أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، مج 01، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.
- 2 - أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، مج 5، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960.
- 3 - أحمد عمر مختار، المعجم الموسعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ط1، 2002.
- 4 - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1 (أ-ب)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2002.
- 5 - إنعام فوال عكاوي، المعجم المفضل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 2006.
- 6 - بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة للنشر والتوزيع، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، جدة، الرياض، ط3، 1988.
- 7 - التهانوي، اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع عبد النعيم محسن حسين، ج3، تراثا الهيئة المصرية العامة للكتب، 1902.
- 8 - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم: رفيق العجم، تح: علي دحروج، ج1 (أ-ش)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1996.

- 9 -توماس.أ.سلوان، موسوعة البلاغة، إشراف : عماد عبد اللطيف، ج1، ج2، ج3، المركز القومي للترجمة، مطبعة جامعة اكسفورد الفرنسية، القاهرة، ط1، 2016.
- 10-جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.
- 11-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: محمد محمد تامر وآخرون، مج 1، دار الحديث القاهرة، 2009.
- 12-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1979.
- 13-الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج 3.
- 14-الفيومي، المصباح المنير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977.
- 15-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005.
- 16-ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1.
- 17- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج1(أ-ب)، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2003.

2- المصادر:

أ-التفاسير وعلوم القرآن:

- 1 -أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، ج 2 (ض-ي)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2.
- 2 -الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن في تفسير الكتاب العزيز، تح: مجد مكّي، مج 1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1423هـ.
- 3 -الأندلسي، تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، د.ط 1423هـ.
- 4 -الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معرض، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993.
- 5 -البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، مج2، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1989.
- 6 -بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مج 3، ط3، 1990.
- 7 -الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تح: السيد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت-لبنان، دار أسامة، دمشق، ط2، 1987.
- 8 -جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز، مؤسسة الإمام صادق عليه السلام، إيران، 1420 هـ.

- 9 -الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد النمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1981.
- 10-الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط 1، ج2، دار الفكر، 1981
- 11-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الشين، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، د.ت.
- 12-الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ج14، ج23، بيروت- لبنان، ط3، 2009.
- 13-السعدي، تفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002
- 14-السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ج 3، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 2002.
- 15-سميح عاطف الزين، معجم الأمثال في القرآنية الكريم والمثل والتمثل والمثلات، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، لبنان، ط2، 2009.
- 16-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج3 ج 15، ج، 27، ج 28، ج 25، ط1، 1972.
- 17-السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأنثووط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان ، ط1، 2008.
- 18-الشعراوي، تفسير الشعراوي، راجعه: أحمد عمر هاشم، مج1(سورة الفاتحة وسورة البقرة)، دار أخبار اليوم، د.ط، 1991.

- 19- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف،
عصام فارس الحرشاني. مج3، مج4، مج6، مؤسسة الرسالة- بيروت،
ط1، 1994.
- 20- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: بشار عواد معروف،
عصام فارس الحرسانس، مج7(الأحقاف إلى الناس)، مج5 (الإسراء إلى
النمل)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994.
- 21- الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مج14، دار المعارف،
1992.
- 22- عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه
وإعرابه، توزيع مكتبة الغزالي، ط1، 2000.
- 23- عبد الله بن عبد الرحمان الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة
للإيمان بالله مع نماذج من بعض الأمثال، ج1، المدينة المنورة، ط1،
2003.
- 24- عمر سليمان عبد الله الأشقر، المعاني الحسان، مج1، ج3، مج2،
ج8، مج4، ج4، درا النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.
- 25- فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك، توفيق الرحمان في دروس
القرآن(السلسلة السلفية للرسائل النجدية 9)، تح، عبد العزيز بن عبد الله
الزيرال حمد، ج4، من سورة الشورى لسورة الناس، دار العليان، دار
العاصمة، د. ت، د. ط.
- 26- ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: عادل بن يوسف العزازي
وآخرون، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2017.

- 27- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ج3، ج 4، ج11،
ج12، ج13، ج14، ج15، ج17، ج19، ج 27، الدار التونسية للنشر،
1884.
- 28- محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، ج14، وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية، قطر، 2007.
- 29- محمد لخضر سعيدات، ضرب المثل من كلام الكبير المتعال، ط1،
2016.
- 30- الميداني، الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها
وقواعدها ومناهجها، دار القلم، دمشق-بيروت، ط1، 1980.
- 31- نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير
للدراسات القرآنية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض-
السعودية، ط3، 1436.
- 32- النيسابوري، أسباب النزول، تخريج: عصام بن عبد المحسن الحميدان،
دار صلاح، الدمام، ط2، 1992.
- 33- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مج1، ج1-
2، م7، ج13، ج14، مج9، ج17، ج18، مج10، ج 20، مج 13، ج
25، ج26، دار الفكر، دمشق، ط2، ط10، 2002، 2009.
- 34- وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج1، دار الفكر المعاصر، دار الفكر،
دمشق، ط1، 2001.
- ب- السيرة النبوية والأحاديث النبوية الشريفة:
- 1 - ابن هشام، سيرة النبي، دار الصحابة للتراث بطنطا، مج 1، ط1، 1995م.

2 - صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوب، كشف المنهاج والتتايح في تخريج أحاديث المصابيح، تح: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العلمية للموسوعة، 1425هـ.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1 - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنيه الخطاب من الجملة إلى النص، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الرباط.
- 2 - أحمد أمين، فجر الإسلام (في الحياة العقلية)، مطبعة الاستمداد، مصر، ج1، ط2، 1933.
- 3 - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، 1938.
- 4 - أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت، 1975.
- 5 - أعلى المودودي، تفسير سورة النور، تعريب: محمد عاصم الحداد، دار لفكر بدمشق، 1960. أبوا الاعلى
- 6 - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القسم الأول، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، د.ت.
- 7 - أماد كاظم البرواري، المحاجة العقلية في برهنة حقائق القرآنية مطارحات النورسي للفكر المادي، مؤسسة السبيل، د.ت، د.ط.
- 8 - أمينه الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011.

- 9 -أيمن أبو مصطفى، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، سلسلة الرسائل الجامعية، كليات الفرابي، الرياض، د. ت.
- 10-الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1987، 2، ط3، 2000. ابن
- 11-بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، كليات رسائل النور، تر: إحسان قاسم الصالح، سورلز للنشر، القاهرة، ط6، 2011.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سوق الأزيكة، العمدة في الطبع، ط1، 2006. أبو
- 12-توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.
- 13-ثناء عباس، كلود سباك، الحجاج والمجتمع من اجل حوار بناء وخطاب بلا عنف، البحوث العلمية لمؤتمر الحجاج جامعة السوربون أبو ظبي، 12-13 فبراير 2019، دار كنوز، ط1، 2021.
- 14-جابر العصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
- 15الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د. ت.
- 16-جرجاني، دلائل الإعجاز، علق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1984.
- 17-جميل حمداوي، الصورة الحجاجية في ضوء البلاغة الجديدة، دار ركاز للنشر والتوزيع، اربد-الأردن، د.ط، 2021.

- 18- جميل حمداوي، شايم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان-المملكة المغربية، ط1، 2020.
- 19- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014
- 20- جواد بحر المنتشة، عالم الأنفس حركة العلاقة بين النفس والقلب والسلوك، فلسطين مطبعة بابل الفنية، ط1، 2006.
- 21- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة العامة للهيئة الإسكندرية، مج7، ط2، 1994.
- 22- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج5، إربد-الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010.
- 23- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، حقوق النشر والتوزيع محفوظة، ط1، 2011.
- 24- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014.
- 25- حسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، تقديم: محمد العمري، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، ط1، 2014.
- 26- حسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2014.
- 27- رشيد شجيع، الحجاج وتحليل الخطاب دراسات مهداة إلى الدكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2017.
- 28- سامر جابر كامل خليل بشير، الأمثال في القرآن موكب الإيمان، مراجعة، طارق فتحي عبد الهادي أبو بكر، ط1، 2018. ابو

- 29- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2011.
- 30- السكاكي، مفتاح العلوم، علق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ط2، 1983، 1987، ص 288.
- 31- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، سوريا-دمشق، الإصدار الأول، 2008.
- 32- صابر حسن محمد أبو سليمان، غاية البيان في أمثال القرآن، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2001.
- 33- طلال الحسن، الرمزية والمثل في النص القرآني، من أبحاث المرجع الديني السيد كمال الحيدر، د.ط، 1434هـ.
- 34- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998.
- 35- عبد الحق دادي، في فلسفة البلاغة العربية حفريات في البنية المعرفية والوظيفية عند ابن البناء المراكشي، تقديم: إدريس مقبول، دار نشر المعرفة، المغرب، ط1، 2019.
- 36- عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، مكتبة لسان العرب، ط1، 2001م.
- 37- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، لبنان، ط3، 1982.
- 38- عبد السلام غشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006.

- 39- عبد العالي قاده، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، كنوز للمعرفة، ط1، 2016.
- 40- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2009.
- 41- عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مكتبة الأدب المغربي، مؤسسه أفاق للدراسات والنشر والاتصال، المغرب ط1، 2017.
- 42- عبد الله صوله، في نظريه الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
- 43- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004.
- 44- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1981.
- 45- عشتار داوود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني-دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005.
- 46- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية(النموذج الشبكي- البنية التصويرية-النظرية العرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014.
- 47- علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، سكياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008.
- 48- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، بحث في الإشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.

- 49- عميش عبد القادر، الخطاب بين فعل التثبيت وآلية القراءة مركزية البنية وامبريالية الدلالة، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، د.ط، 2012.
- 50- فريد الأنصاري، جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح، دار السلام (منتديات مجلة الدين)، د.ط، د.ت.
- 51- فضيلة قوتال، حجاجية الشرح البلاغية وأبعادها الحجاجية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2017.
- 52- القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، شرحه: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904.
- 53- كريمة أحسن شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، دار أسامة للنشر والتوزيع، نبلاء ناشرون وموزعون، الأردن - عمان، ط1، 2015.
- 54- لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
- 55- الماوردي، الأمثال والحكم، تح : فؤاد عبد المنعم احمد، دار الوطن للنشر، قطر، ط2
- 56- مجموعة مؤلفين، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ج 1، تعليق: طه جابر العلواني، سلسلة مفاهيم ومصطلحات4، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2008.
- 57- محمد التونجي، الجامع في علوم القرآن، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2013.
- 58- محمد الحيرش، النص وآليات الفهم في علوم القرآن دراسة في ظل التأويلية المعاصرة، تقديم: عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، ط1، 2013.

- 59- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.
- 60- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، (الخطابة في القرن الأول نموذجاً)، (منشورات سوق الأزيكة)، إفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 2002.
- 61- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن؟، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط7، 2005.
- 62- محمد الولي، الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، تقديم: محمد العمري، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2020.
- 63- محمد بازي، صناعة الخطاب الأنساق العميقة للتأويلية العربية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 64- محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشيد للنشر، (سلسله دراسات 228)، منشورات وزارة الثقافة والأعلام-الجمهورية العراقية، 1981.
- 65- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2008.
- 66- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، ط1، 2005.
- 67- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان د.ط، 2019.
- 68- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، تح: عبد الحميد الداخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 2000.

- 69- محمد مشبال، البلاغة والأصول دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2007.
- 70- محمد مشبال، بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية-الخطابة في القرن الأول أنموذجا- إفريقيا الشرق، ط 2، 2002.
- 71- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز للمعرفة، عمان، ط1، 2017.
- 72- محمد مشبال، محاضرات في البلاغة الجديدة، دار الرافدين، لبنان- بيروت، بغداد- العراق، ط1، 2020.
- 73- محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002.
- 74- معتصم بابكر مصطفى، أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب سلسله الأمة، العدد 95، السنة 23، ط1، 2003.
- 75- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002.
- 76- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي، دار النهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 77- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2014.
- 78- ابن هب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، (الذي نشر قبل تحت اسم "نقد النثر" لقدامة بن جعفر)، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1938.

79- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 2، د.ت.

80- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه: أحمد عبد السلام، أبو هاجر محمد سعيد بن بيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1988.

81- أبو يعقوب عبد الرحمن بن عبد الله بن صالح السحيم، مسائل في علوم القرآن تهم الدعاة والمناضلين، الرياض، د.ط، 1439هـ.

ب- المراجع المترجمة:

1 -أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، (سلسة الكتب المترجمة 14)، 1980.

2 -أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، مج (a- g)، منشورات عويدات بيروت باريس، ط2، 2001.

3 -أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبه، إفريقيا الشرق، المغرب، 2017.

4 -باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب من كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009.

5 -بلانتان كريستيان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، منشورات دار سينارترا، المركز الوطني للترجمة(مقالات اللغوي)، تونس، 2010.

6 -جورجدينا بوربيا، الايتوس أو بناء الهوية في الخطاب، تر: أحمد الوظيفي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط ترجمات قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 17 يوليو، 2019.

- 7 - ديف لاكاني، الإقناع فن الفوز بما تريد، تر: زينب عاطف، مؤسسه هنداوي للنشر، ط1، 2016.
- 8 - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994.
- 9 - شاييم بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية صناعة الخطابة والحجاج، تر: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2022، (نشر لأول مرة باللغة الفرنسية سنة 1977)
- 10- شاييم بيرلمان، فلسفة البلاغة الجديدة، تر: أنوار الطاهر، عالم الكتب الحديث، بيروت، لبنان، 2020.
- 11- فليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.
- 12- فيليب بروتون، جيل جونييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح نادي الغامدي، مركز النشر عبد العزيز، جدة، ط1، 2011.
- 13- فيليب بلانشيه، التداولية من أوسيين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، 2007.
- 14- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان ط1، ط2، 2001، 2005.
- 15- ميشيل مايير، البلاغة، تر: محمد أسيدة، سلسلة نصوص، دار الكتاب الجديد المتحدة، دار المطبوعات الجامعية الفرنسية، فرنسا، ط1، 2021.
- 16- هاري ميلز، فن الإقناع، كيف تؤثر في الآخرين وتغيير آراءهم وتؤثر عليهم، مكتبة جرير، ط1، 2001.

17- هنري بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل الخطاب، تر:

محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1989.

18- يان هوانغ، معجم اكسفورد، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب

الجديد المتحدة، ط1، 2020.

ج- باللغة الفرنسية:

- 1 -Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca ; traite de l'argumentation la nouvelle rhétorique, ,5 edition, edition de l'universite de bruxelles, 1988 ,1992,2000.
- 2 -Chaïm Perelman ; l' empire rhétorique ; rhétorique et argumentation
من موقع
https://books.google.ws/books?id=FwVTQ77hgz4C&printsec=frontcover&source=gbs_vpt_reviews#v=onepage&q&f=false
- 3 -Martin Hinton ,Evaluating the language of argument, Argumentation library, Volume 37, springer,university of lodz
- 4 -Oxford, dictionary of English , etymology, c. t. onions, r. w. burchfield, at the clarendon press, oxford university press, 1966,
- 5 -Pragmatique du discours: passe , présent ,futur . jacques moescler, département de linguistiques, université de Genève
- 6 -Stephen Toulmin, the uses of Argument, Updated Edition, Cambridge university press, 2003
- 7 -Jean Dubois , dictionnaire de linguistique , larousse2,2002.

3- المجلات والدوريات:

- 1 Exploring the Aristotelian rhetoric strategies in some speeches by Mechelle Obama and Melana Trump a political discourse analysis, hala sedky ali, prof. shaker rizk taky edine, rehem farouk el shozly, department of English, مجلة بحوث، ع 5، ج 3، ماي 2021.
- 2 -الشريف مرزوق، مصطلح الخطاب بين التراث العربي والفلسفة الحديثة تنوع في الدلالة وثناء في المعاني، مجلة النص، جامعة أم البواقي، مج 06، السنة 2020
- 3 -بليط رضوان، مقارنة بلاغية حجاجية لقصيدة شعرية لأبي تمام، ع 42، يناير 2016، مجلة جذور، (موقع الشارخ <https://archive.alsharekh.org/Articles/174/19792/446033>)
- 4 -حامد ناصر الظالمي وعايد جدوع حنون، نشأة الحجاج، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ع 73، 2015.
- 5 -شيماء فاخوري، لغة القرآن ورؤيته للعالم أساس منهجي لبناء المفاهيم مفهوم التعارف نموذجاً"، مجلة تجسير، دار نشر قطر، مج 1، ع 1، 2019.
- 6 -عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، عبد الكريم حسين عبد السعداوي، التوجيه الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء-عليها السلام-، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج 25، ع 4، 2017.
- 7 -كمال الزماني، حجاجية القيم في خطبة الوداع، مجلة أبوليوس، جامعة القاضي عياض، مراكش-المغرب، مج 6، ع 1، 2019
- 8 -محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، فصول مجلة النقد الأدبي علمية محكمة، ع 60.

10- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج28، ع3، يناير، 2000.

4-المواقع والمنتديات:

1- محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنارة، ط2، 1999.

من موقع المكتبة الشاملة: <https://shamela.ws/book/10002>

5-الرسائل العلمية:

1-ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه العلوم في اللغة، إشراف: السعيد بن إبراهيم، جامعة لحاج لخضر باتنة، 2009-2010.

2-عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه: كلية الآداب بجامعة القاهرة، إشراف: مراد كامل، دار مصر للطباعة، ط1، 1956،

3-سعد قدور سعد، بلاغة القرآن: دراسة في الأساليب، جماليات المثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: زراي نور الدين، قسم اللغة والأدب العربي، جامع وهران، 2015م.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
مُقَدِّمة:	Erreur ! Signet non défini.
الفصل الأول: بلاغة المثل القرآني: الحدّ والبعد الحجاجي	
تمهيد:	13
أولاً: البلاغة والحجاج	14
1- البلاغة لغة واصطلاحاً:	14
أ- البلاغة لغة:	14
ب- البلاغة اصطلاحاً:	15
2- الحجاج (الخطابة/ البلاغة الجديدة):	19
أ- الحجاج لغة:	19
ب- المفهوم الاصطلاحي للحجاج:	21
3- البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة: حدود وتقاطعات	26
4 - ماهية الخطاب الإقناعي	29
أ- مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً:	30
ب- مفهوم الإقناع لغة واصطلاحاً:	33
ج- مفهوم الخطاب الإقناعي:	35
د - إستراتيجيات الإقناع في القرآن الكريم:	36

ثانياً: المثل القرآني والبعد الحجاجي	40
1- المثل القرآني: المفهوم والأصناف	40
أ- المثل لغة واصطلاحاً:.....	41
ب- أصناف المثل القرآني وأقسامه:.....	45
2- بلاغة المثل القرآني وعناصره الحجاجية:.....	47
أ- بلاغة المثل في الخطاب القرآني:.....	47
ب-العناصر الحجاجية في المثل القرآني:	49
3- البنية الحجاجية في المثل القرآني:	54
ثالثاً: قيمة المثل القرآني وأهم خصائصه:.....	58
1- قيمة المثل القرآني في الثقافة العربية:.....	58
2- خصائص المثل القرآني:.....	62
أ- الخصائص العامة للأمثال القرآنية:.....	62
ب- الخصائص الفنية للمثل القرآني:.....	65
ج-الخصائص الأدائية للمثل القرآني:	69
الفصل الثاني: المنطلقات والتقنيات الحجاجية في النظرية البيرولمانية	
تمهيد:	73
أولاً: الحجاجُ: بحثٌ في أدبياته ومُنطقاته.....	75

فهرس الموضوعات

- 1- أدبياتُ الحجّ في التواصلِ: 75
- 2- المنطلقات الحجاجية وفعاليتها الإقناعية 86
- أ- المنطلقات الحجاجية: 87
- ب- فعالية المنطلقات الحجاجية: 95
- ثانياً: أنواعُ الحجّ في الخطابِ الحجاجي 99
- 1- الحجّ شبه المنطقية: 101
- 2- الحجّ المؤسّسة على بنية الواقع: 105
- أ- روابط التعاقب أو التابع: 106
- ب- روابط التعايش: 108
- 3- الحجّ المؤسّسة لبنية الواقع: 111
- ثالثاً: حجاجية الصورة البلاغية والأسلوبية 115
- 1 - مفهوم الصور البلاغية ودورها الحجاجي 116
- أ- مفهوم الصورة لغة واصطلاحاً: 116
- ب- شروط الصورة الحجاجية: 118
- ج- حجاجية الصُور البلاغية: 119
- 2- الدور الحجاجي للأسلوب الخبري والإنشائي: 126
- أ- مفهوم الأسلوب من المنظور الحجاجي: 127

ب-حاجية الأساليب الخبرية والإنشائية: 128.....

الفصل الثالث: الحجج شبه المنطقية في المثل القرآني.

تمهيد: 137.....

أولاً: الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية..... 139

1- حجة المقارنة:..... 139

2- حجة التعدية:..... 148

3- حجة إدماج الجزء في الكل:..... 154

4- حجة تقسيم الكل إلى أجزائه:..... 164

ثانياً: الحجج التي تعتمد على البنى المنطقية..... 173

1- حجة التعريف:..... 173

2- حجة العدل أو الحجّة التبادلية:..... 186

أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها:..... 193

الفصل الرابع: الحجج المؤسّسة على بنية الواقع والمؤسّسة للواقع في المثل

القرآني.

تمهيد: 197.....

أولاً: الحجج المؤسّسة على بنية الواقع في المثل القرآني:..... 199

1- الحجّة السببية:..... 199

فهرس الموضوعات

- 206..... 2- الحجّة النفعية:
- 211..... 3- حجّة الاتجاه:
- 216..... 4- حجّة الشخص وأعماله:
- 221..... 5- حجّة السلطة:
- 229..... 6- الاتصال الرمزي/ الحجّة الرمزية:
- 237..... ثانياً: الحجج المؤسّسة لبنية الواقع في المثل القرآني:
- 237..... 1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:
- 237..... أ- حجّة المثل:
- 246..... ب- حجّة القدوة وعكس القدوة:
- 251..... 2- الاستدلال بواسطة التمثيل:
- 259..... أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها:
- 264..... الخاتمة:
- 273..... اقتراحات وتوصيات:
- Erreur ! Signet non défini.** قائمة المصادر والمراجع:
- 313..... فهرس الموضوعات:
- 302..... الملخص:

المُلخَص

المخلص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة: "بلاغة الخطاب الإقناعي في المثل القرآني-مقاربة حجاجية-" إلى إعادة التفكير في المثل القرآني باعتباره فعل ومسؤولية. انطلاقاً من تجلّي النظرية البيرولمانية في المثل القرآني الصريح، بتقنياتها ومنطقاتها وكيف ساهمت في إقناع السّامع الخاص والكوني ودفعه نحو التأييد والإذعان وذلك من خلال وقوف الدراسة على أربعة فصول؛ الفصل الأول: وفيه تم تحديد بلاغة المثل القرآني وبعده الحجاجي والتعرف على مصطلحات ذات صلة بالدراسة من بلاغة، وحجاج، وخطاب إقناعي، والمثل القرآني، والبحث عن العناصر التواصلية في المثل القرآني وبعده الحجاجي الذي يظهر في كل من الأطروحة والأطروحة المضادة والحجّة والنتيجة وقانون العبور، مع عرض لخصائص المثل القرآني المتنوعة ثم قيمته لكونه ينتمي لكتاب الله تعالى وهو أحق العلوم وأولها بالتعلم أمّا الفصل الثاني: وفيه تطرقنا للمنطقات الحجاجية وأدبياته ثم ذكر التقنيات الحجاجية في النظرية البيرولمانية، من حجج عقلية تحرك العقل والمنطق وأخرى انفعالية قائمة على تحريك الخيال والانفعال، ثم عرجنا للدور الحجاجي للوجوه الأسلوبية. ولقد أثرنا في الفصل الثالث لهذه الدراسة، دراسة حجاجية للمثل القرآني باستخراج الحجج شبه المنطقية، وهي حجج تبحث في المقومات الخطابية المنطقية والرياضية. أمّا الفصل الرابع فهو كذلك دراسة تطبيقية للمثل القرآني بالتركيز على الحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة للواقع.

إذاً، مع المقاربة الحجاجية فمنا بتجسير الفجوة بين دراستنا والدراسات السابقة للمثل القرآني من خلال مدارسته وفق هذه النظرية الحديثة القائمة على مبدأ الإقناع والتأثير والإذعان والتأييد للمثل القرآني والخضوع لأطروحاته من أجل تحقيق نظام الاستخلاف.

الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ الحجاج؛ الخطاب؛ الإقناع، الاقتناع؛ الحجّة؛ المثل القرآني.

Summary :

This study entitled: "The Rhetoric of Persuasive Discourse in the Qur'anic Proverb- An Argumentative Approach" seeks to rethink the Qur'anic parable as an action and a responsibility. Based on the manifestation of the parliamentary theory in the explicit Qur'anic Proverb, with its techniques and starting points and how it contributed to convincing the special and universal listener and pushing him towards support and submission, through the study standing on four chapters; Chapter One: In it, the eloquence of the Quranic Proverb and its argumentative dimension were defined, and terms related to the study were identified, including eloquence, argumentation, persuasive discourse, and the Quranic Proverb, and the search for the communicative elements in the Quranic Proverb and its argumentative dimension that appears in each of the thesis, the counter-thesis, the argument, the result, and the law of passage, with a presentation of the various characteristics of the Quranic Proverb and then its value because it belongs to the Book of God Almighty and is the most deserving and first of the sciences to be learned. As for Chapter Two: In it, we addressed the argumentative starting points and its literature, then mentioned the argumentative techniques in the parliamentary theory, from rational arguments that move the mind and logic and others that are emotional based on moving the imagination and emotion, then we turned to the argumentative role of stylistic aspects. In the third chapter of this study, we preferred to study the Quranic Proverb argumentatively by extracting quasi-logical arguments, which are arguments that examine the logical and mathematical rhetorical components. Chapter Four is also an applied study of the Quranic parable focusing on the arguments based on the structure of reality and the arguments that establish reality. Therefore, with the argumentative approach, we have bridged the gap between our study and previous studies of the Quranic Proverb by studying it according to this modern theory based on the principle of persuasion, influence, submission, and support for the Quranic Proverb and submission to its theses in order to achieve the system of succession

Keywords: rhetoric; pilgrims; the speech; persuasion, conviction; argument; Quranic proverb.